القصيدة الفزاريّة

في مدح الخليفة الفاطمي المنصور

لأبي القاسم الفزاري (ت 345 هـ/ 956 م)

دراسة وتحقيق

مصطفى الزمرلي

(1901-1976)

تقديم ومراجعة

حمّادي السّاحلي و محمّد اليعلاوي



دار الغرب الإسلامي

أبو القاسم الفزاريّ
المتوفّى سنة 345 هـ/ 956 م

القصيدة الفزاريّة
في مدح الخليفة الفاطمي المنصور

دراسة وتحقيق
مصطفى الزّمرلي

تقديم ومراجعة
حمّادي السّاحلي ومحمّد اليعلاوي



الطبعة الاولى : 1995

دار الغرب الإسلامي
ص. ب. 5787-113 بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـد

1 ـ نبذة من حياة صاحب الكتاب:

إنّ صاحب هذا الكتاب الذي نتشرّف بتقديمه إلى قرّائنا الكرام هو أستاذنا الجليل المغفور له مصطفى الزمرلي، شقيق الكاتبَيْن التونسيَّيْن الصّادق وحسن الزمرلي، وصهر العلاّمة حسن حسني عبد الوهّاب، رحمهم الله جميعاً.

وقد وُلِد المترجم له يوم غرّة يونيو 1901 بمدينة تونس في حيّ دار الباشا، وسهر على تربيته والده محمد بن مصطفى الزمرلي الذي كان يشغل خطّة عدل إشهاد (مُوَثّق)، ثم ألحقه بكتّاب الحيّ حيث حفظ نصيباً من القرآن الكريم، وانتقل إثر ذلك إلى فرع المدرسة الصّادِقية لمزاولة دراسته الابتدائية. وبعد حصوله في سنة 1913 على الشهادة الابتدائية انخرط في سلك التعليم الثانوي بنفس المدرسة حيث استرعى انتباه أساتذته وأقرانه بحسن سلوكه ودماثة أخلاقه وإقباله على الدراسة. وفي آخر السنة الدراسية 1919 ـ 1920 أحرز شهادة ختم الدروس بالمدرسة الصادقية، فالتحق بمعهد كارنو بتونس حيث قضى سنتين في الدراسة. وبعد حصوله على شهادة الباكالوريا بجزأَيْها في سنة 1922 تمّ تعيينه موظّفاً بإدارة جمعيّة الأوقاف وأُلحِق بقسم الترجمة.

وإلى جانب قيامه بمهامّه الإدارية كان الفتى يتابع دروس معهد الجمعيّة الخلدونيّة، ثم شرع في دراسة الحقوق ونجح في جميع

الامتحانات التي اجتازها في جامعة الجزائر إلى أن أحرز الإجازة في الحقوق سنة 1926. فانتقل عندئذ من قسم الترجمة إلى قسم النزاعات بإدارة جمعيّة الأوقاف حيث شغل منصب رئيس مصلحة طوال عدّة سنوات إلى أن ارتقى إلى خطّة مدير مساعد.

وبعد حلّ جمعية الأوقاف إثر استقلال البلاد التونسية سنة 1956 عُيّن مديراً بإدارة أملاك الدولة واستمرّ في الاضطلاع بتلك المهمّة إلى أن أحيل على المعاش.

وإلى جانب مباشرته لوظائفه الإدارية اشتغل الأستاذ مصطفى الزمرلي بالتدريس مدّة طويلة من الزمن، حيث كان مكلّفاً بتدريس الحقوق في معهد الجمعيّة الخلدونيّة، وتدريس الترجمة الإداريّة والتشريع التونسي في المدرسة الصادِقيّة. وقد حصل لنا شرف التتلمذ إليه بهذه المدرسة في أواخر الأربعينات، واسترعى انتباهنا بتمكّنه من اللغتين العربيّة والفرنسيّة وتضلّعه في الأدب العربي والقانون التونسي على وجه الخصوص.

وإثر تأسيس الكليّة الزيتونيّة للشريعة وأصول الدّين سنة 1962 كلّفه عميدها الأوّل شيخنا المنعّم المبرور محمد الفاضل بن عاشور برّد الله ثراه بتدريس القانون الدستوري. كما ألقى في نفس الكلية دروساً في اللغة الفرنسيّة وتاريخ الأديان.

2 ـ نشاطه الثقافي والأدبي:

كان المترجم له مولعاً بالمطالعة منذ شبابه الباكر، فكان يطالع بلهفة كلّ ما تقع عليه يداه من كتب ومجلّات ودواوين شعريّة، ومن آثار القدماء والمحدثين. وتمكّن طوال حياته المليئة بجلائل الأعمال من

جمع عدد كبير من الكتب في مكتبته التي تُعتبر من أهمّ المكتبات الخاصّة في تونس، حيث كانت تحتوي على أكثر من 3000 كتاب من الكتب العربية والفرنسية التي تبحث في شتّى الفنون والاختصاصات، كالأدب العربي والعلوم الإسلامية (من فقه وحديث وتفسير) والتاريخ والفلسفة والحقوق والآداب الفرنسية إلخ. . .

ولكن رغم سعة معارفه وما اكتسبه من ثقافة ممتازة باللغتين العربيّة والفرنسيّة، فإنه لم ينشر في حياته أيّ تأليف، خلافاً لشقيقه الأكبر المرحوم الصادق الزمرلي الذي اشتهر بمؤلّفاته حول تراجم الأعلام التونسيّين، وشقيقه الأصغر المرحوم حسن الزمرلي الذي نقل إلى اللغة العربية مجموعة كبيرة من المسرحيّات الأجنبية، فضلاً عن البحوث والدّراسات التي كان ينشرها في الصحف والمجلاّت حول تاريخ المسرح.

فقد اقتصر نشاط أستاذنا في الميدان الثقافي على التدريس وإلقاء بعض المحاضرات من حين لآخر، من بينها المحاضرة القيّمة التي ألقاها باللغة الفرنسية أمام جمهور غفير من المثقّفين التونسيين والفرنسيين، وكان عنوانها: «دفاعاً عن الشرق». وقد سلّط فيها الأضواء على الحضارة العربيّة الإسلاميّة ودورها في تقدّم الحضارة الإنسانية.

كما ساهم في تأسيس جمعيّة «بيت الحكمة» التي أنشأها العلاّمة حسن حسني عبد الوهّاب سنة 1944 لإحياء التراث العربي الإسلامي في تونس والتعريف به.

ومع ذلك فقد ترك الفقيد عند التحاقه بجوار ربّه يوم 4 فبراير 1976، مجموعة من الآثار المخطوطة التي لم يُكتَب لها النّشر إلى يومنا هذا، نخصّ بالذكر منها:

ـ تحقيق القصيدة الفزاريّة لأبي القاسم الفزاري.

ـ دراسة حول تاريخ الخلافة الفاطميّة بالمغرب.

ـ دراسة حول القانون الدّستوري، تضمّنت المحاضرات التي ألقاها المؤلّف حول هذا الموضوع في الكليّة الزيتونية للشريعة وأصول الدّين.

3 ـ القصيدة الفزاريّة:

ونزولاً عند رغبة نجل المؤلّف الأستاذ المنصف الزمرلي الصيدليّ، ووفاءً لروح أستاذنا الجليل، قمنا ـ أنا وصديقي محمد اليعلاوي المتخصّص في الأدب الفاطميّ ـ بمراجعة المخطوط المتعلّق بالقصيدة الفزاريّة وإعداده للنّشر. وهو يحتوي على قسمَيْن اثنين:

أ ـ القسم الأوّل: يتضمّن الدّراسة التي وضعها المحقّق للتعريف بالشاعر أبي القاسم الفزاريّ، وتسليط الأضواء على الحياة السياسيّة والثقافيّة بإفريقية في عصره، أي في عهد الخلفاء الفاطميّين الثلاثة الأوائل بالمغرب: المهدي (909 ـ 934) والقائم (934 ـ 946) والمنصور (946 ـ 953). وقد أطنب صاحب الدراسة في الحديث عن الاضطهادات وأعمال القمع التي تعرّض لها عهدئذ فقهاء القيروان وصلحاؤها، معتمداً على المصادر السنيّة المناهضة للفاطميّين، لا سيما منها **رياض النفوس** للمالكي. ولكن بقدر ما كان قاسياً في أحكامه على الخليفة الثاني القائم وخصمه اللّدود أبي يزيد «صاحب الحمار»، كان معجباً بالخليفة الثالث المنصور الذي مدحه الفزاريّ بقصيدته الشهيرة، إثر انتصاره على أبي يزيد ونجاحه في إخماد ثورة الخوارج.

وتتمثّل أهمّ المصادر التي اعتمدها المحقّق ونقل عنها، فيما يلي:

- نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة.
- طبقات النحويّين واللغويّين للزّبيدي.
- طبقات علماء إفريقية للخشني.
- أخبار ملوك بني عبيد لابن حمّاد.
- وبالخصوص، رياض النفوس للمالكي.

ب - **القسم الثاني**: يتضمّن شرح الجزء الأوّل من القصيدة الفزاريّة لمحمد بن عبد الرحمن العُتَقي. ويحتوي هذا الجزء على ستّة وثلاثين بيتاً (من مجموع سبعة وستين) مخصّصة للإشادة بمآثر أبطال العرب وفرسانهم لا سيما في الجاهلية، قبل التخلّص لمدح المنصور. ويبدو أن العتقي لم يَرَ فائدة في شرح الجزء الثاني من القصيدة لأنّه ربّما اعتبره في متناول سائر المثقّفين.

على أنّ المحقّق لم يقتصر على نصّ الشارح بل أضاف إليه عدّة فقرات مطوّلة في كثير من الأحيان، اقتبسها بالخصوص من المصادر التالية التي أشار إلى أصحابها بصريح العبارة، وهي:

- معجم البلدان لياقوت الحموي.
- العقد الفريد لابن عبد ربّه.
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للآلوسي.
- مروج الذهب للمسعودي.
- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.
- الكامل للمبرّد.
- الوافي بالوفيات للصفدي.
- يتيمة الدهر للثعالبي.
- كتاب الأغـاني لأبي فرج الأصبهاني.

- الصحاح للجوهري.

- الكامل في التاريخ لابن الأثير.

كما نقل بعض الأخبار والنصوص والأبيات دون الإشارة إلى المصادر التي اقتبسها منها.

4 ـ الاعتناء بالقصيدة الفزاريّة:

نظراً إلى أهميّة القصيدة الفزاريّة التي اشتهر بها أبو القاسم الفزاري أكثر من غيرها، فقد اعتنى بنشرها كثير من الكتّاب القدماء والمحدثين. فنشرها للمرّة الأولى على حدّ علمنا الداعي إدريس في كتابه **عيون الأخبار**[1]. ثم نشر حسن حسني عبد الوهاب بعض أبيات منها في الطبعة الأولى من كتابه: «**مجمل تاريخ الأدب التونسي**» الصادر بتونس سنة 1918، بعنوان: «**المنتخب المدرسي من الأدب التونسي**»، وأعاد نشرها في الطبعة الثانية الصادرة بتونس سنة 1968.

ونشر محمد اليعلاوي القصيدة الفزارية كاملة في «**حوليات الجامعة التونسية**» عدد 10 سنة 1973 ص 128 عن مخطوطة المتحف البريطاني[2]، ثم أعاد نشرها في كتابه «**الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي**» الصادر سنة 1986 عن دار الغرب الإسلامي ببيروت، ص 219 ـ 234. كما نشرها أيضاً إبراهيم الدسوقي جاد الربّ ضمن كتابه «**شعراء المغرب حتى خلافة المعزّ**» الصادر بالقاهرة سنة 1973، ص 68 و 263. ورغم ذلك لم نَرَ أيّ حرج في إعادة نشرها ضمن الكتاب الذي خصّصه لها المرحوم مصطفى الزمرلي وانتهى من إعداده حسب الاحتمال في أواخر

(1) انظر تاريخ الخلفاء الفاطميّين بالمغرب، تحقيق محمد اليعلاوي ص 456 ـ 458.

(2) وقد أمدّه بها مشكوراً صديقنا المشترك خادم البحث والثقافة أبو القاسم محمد كرّو.

الأربعينات، ولكنّ الظروف لم تسمح له بنشره آنذاك. فمن الجدير بالملاحظة في هذا الصّدد أنّ صاحب هذا الكتاب لم يقتصر على نقل القصيدة الفزارية وشرح مفرداتها، بل قدّم لها بدراسة تمهيدية ضافية حول أبي القاسم الفزاري وعصره، وأردفها بالشرح المنسوب إلى محمد بن عبد الرحمان العُتَقي، وقد أضاف إليه عدّة فقرات تنمّ عن إلمام بالأدب العربي ومعرفة بأيّام العرب ودراية بالتاريخ الإسلامي.

5 ـ منهجنا في العمل:

لقد قمنا بتصحيح أخطاء النقل وإعادة قراءة بعض المفردات والمقطوعات الشعرية للاقتراب أكثر ما يمكن من النصّ الأصلي، وذلك بالرجوع إلى المخطوطتين اللّتين اعتمدهما المحقّق، وقد رمزنا للأولى بعلامة «أ» وللثانية بعلامة «ب»، والمقابلة بينهما وبين المخطوطة التي اعتمدها محمد اليعلاوي في نشر القصيدة الفزارية، وقد رمزنا إليها بعلامة «ج».

ـ المخطوطة «أ»:

- **مصدرها**: غير مذكور.
- **مقاسها**: 28 × 18.
- **عدد الأوراق**: 18 ورقة.
- **في كل صفحة**: 25 سطراً.
- **الخطّ**: نسخي واضح.
- **اسم الناسخ**: علي بن إبراهيم الحمدي.
- **تاريخ الفراغ من نسخها**: 19 ربيع الآخر سنة 1093 هـ [1682 م].

ـ **المخطوطة «ب»:**

- **مصدرها:** دار الكتب المصريّة بالقاهرة.
- **مقاسها:** 26 × 16.
- **عدد الأوراق:** 18 ورقة.
- **في كل صفحة:** 25 سطراً.
- **الخط:** نسخي جميل وواضح.
- **اسم الناسخ:** علي بن الحسين بن علي بن إبراهيم بن المهدي.
- **تاريخ الفراغ من نسخها:** سنة 1055 هـ [1645 م].

ـ **المخطوطة «ج»:**

- **مصدرها:** المتحف البريطاني.
- **مقاسها:** 18 × 12.
- **عدد الأوراق:** 31 ورقة (مع الملاحظ أن النسخة المعتمدة بها ورقتان ناقصتان تتضمّنان شرح البيتين الخامس والسادس).
- **الخطّ:** نسخي واضح.
- **اسم الناسخ:** غير مذكور.
- **تاريخ الفراغ من نسخها:** غير مذكور.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ هناك اختلافات بين هذه المخطوطة والمخطوطتَيْن السابقتَيْن بالزيادة والنقصان، وتفاوتاً في القراءات.

وتمثّل عملنا من جهة أخرى في:

ـ تصحيح الأخطاء التي تسرّبت إلى الدراسة التمهيدية وإضافة بعض الهوامش والتعاليق والتعريف بالأعلام المذكورين فيها.

ـ تقسيم هذه الدّراسة إلى عدّة فقرات تيسيراً للمطالعة والمراجعة،

وقد أعطيناها عناوين فرعية مُرَقّمة لم تكن موجودة في النصّ الأصلي.

- الإحالة على المصادر، سواءً في الدراسة التمهيدية أو في شرح القصيدة، ولا سيما المصادر التي لم تكن مطبوعة عند إعداد الكتاب.

- المقابلة بين التاريخ الهجري الذي اعتمده المحقق في الدراسة وبين التاريخ الميلادي لمزيد التوضيح.

هذا وقد اعتمدنا مخطوط المحقّق أصلاً في شرح القصيدة وقابلناه بنسختي «أ» و «ب» واستَعَنّا بنسخة «ج» واخترنا أصلحَ القراءات. ورقّمنا في الطرّة صفحات مخطوط المحقّق.

* * *

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نتقدّم بالشكر إلى الأستاذ المنصف الزمرلي الذي أتاح الفرصة لظهور هذا الكتاب، تخليداً لذكرى والده ووفاءً لروحه الطاهرة. كما لا يفوتنا التنويه بجهود «دار الغرب الإسلامي» التي أخذت على عاتقها نشر هذا الأثر، خدمةً منها للتراث العربيّ الإسلاميّ بوجه عام والتراث المغربيّ بوجه خاص.

وبالله الاستعانة ومنه التوفيق.

تونس في 3 شوّال سنة 1414

الموافق للخامس عشر من شهر مارس سنة 1994.

حمّادي السّاحلي



صورة المحقّق

مصطفى الزمرلي

[3]

/ الاهـــداء

إلى أبي الرّوحي حضرة العلاّمة سعادة وزير القلم والاستشارة الشرفي بالحكومة التونسيّة والعضو بالمجمع العلمي الملكي المصري ورئيس بيت الحكمة التونسي سيّدي حسن حسني عبد الوهّاب(1) أدام الله علاءَه وشكر آلاءَه ولا انفكّت الأنفسُ مسرورةً مبتهجةً بفيض علمه وإنتاجه، والأيّامُ زاهيةً مَرِحَةً بتمام عافيته وبقائه، أرفع على كاهل المبرّة والتجلّة هذا العمل الضئيل الذي تناولتُه بإشارته وأنجزته بنصائحه وإرشاده، امتناناً بجمّ فضله وإجلالاً لعلوّ قدره وإعْجَاباً بسموّ مداركه ووفرة علمه.

ولا غرو فإنّه جرّ بأناته وعمله الأيّامَ جرّاً وفات بفرط ذكائه وسعة ذرعه الأقران طُرًّا [طويل]:

مَسَــاعٍ أَحَلَّتْــكَ العُــلاَ فكــأنّهــا   مَرَاقٍ إلى حيث السُّها ومعارجُ

فطوبى لمن كدّ وصَبَرْ. وسجّل لقومه مآثِر وأثَرْ. وسَمَتْ به الهمّة القعساء. فأفردته بين السّواء. وصيّرته المعجزة التي تعتزّ وتتباهى بها البلاد. فأقرّ له بالسّبق والتفوّق القاصي والدّاني بلا عِناد. ووفّته العباد أجْرَه حيًّا تعظيماً وتكريماً قبل المَعاد. وابتهاجاً عبق شذاه من الجموع والأفراد. فكيف ممّن طوّقته أياديه وكان من كلِفِ الفؤاد [بسيط]:

وكُلُّ خَيْرٍ تَوَخَّاني الزَّمَانُ بِهِ   فَــأَنْــتَ بَــاعِثُــهُ لِــي أَوْ مُسَبِّبُــهُ

مصطفى الزمرلي(2)

هوامش الإهداء

(1) لقد أهدى المؤلف دراسته إلى المرحوم العلاّمة حسن حسني عبد الوهاب (1884 ـ 1968)، انظر ترجمته الذاتية في الجزء الثالث من «الورقات»، ص 11 ـ 29، تونس، 1972. وقد تقلّد منصب وزير القلم والاستشارة بالحكومة التونسيّة من سنة 1943 إلى سنة 1947 في عهد آخر الملوك الحسينيّين محمد الأمين باي (1943 ـ 1957). ومن المعلوم أنّ مهمة وزير القلم والاستشارة كانت تتمثل بالخصوص في الإشراف على إدارة عمّال الأقاليم والشؤون الدينيّة وسير التعليم بجامع الزيتونة المعمور. وإثر تخلّي الأستاذ عبد الوهاب عن هذه المهمّة الوزارية عيّنته الحكومة التونسية وزيراً شرفيّاً كما جاء في كلمة الإهداء.

وهو علاوة على ذلك عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ تأسيسه في أواخر سنة 1932 إلى آخر حياته.

وهو أيضاً رئيس جمعية **«بيت الحكمة»** التونسية التي أُنشِئت في سنة 1944 لتحقيق الأغراض التالية:

أ ـ إحصاء المؤلّفات التونسية في شتّى المواضيع والتعريف بها ونشر ما يستحقّ التحقيق والنشر.

ب ـ وضع فهارس للمخطوطات العربية الموجودة في الخزائن التونسية والعمل على إحيائها.

ج ـ التعريف بتاريخ مختلف العهود الإسلامية بإفريقية التونسية عن طريق التأليف والنشر والمحاضرات والرحلات.

وقد كانت الهيئة المديرة لهذه الجمعية مؤلّفة على النحو التالي:

ـ رئيس: حسن حسني عبد الوهاب.

- **نائب الرئيس**: الشيخ محمّد العربي الكبادي.
- **أمين المال**: مصطفى الزمرلي.
- **الأعضاء**: محمّد الفاضل بن عاشور - العابد مزالي - محمّد الشاذلي النيفر - محمّد الصالح المهيدي - مصطفى زبيس.

(2) من الجدير بالملاحظة أنّ صاحب هذه الدراسة المرحوم مصطفى الزمرلي هو صهر العلامة حسن حسني عبد الوهاب. ويمكن أن نستنتج من كلمة الإهداء أنّه قد أتمّ عمله بعد سنة 1947 (تاريخ تعيين الأستاذ عبد الوهاب وزيراً شرفيّاً) وقبل شهر نوفمبر 1968 (تاريخ وفاة المعني بالأمر)، بل حتى قبل سنة 1956 (تاريخ استقلال البلاد التونسية). والغالب على الظنّ أنه قد شرع في إعداد الدراسة في سنة 1945 كما أشارت إلى ذلك الصحافة التونسية وقتئذ لمّا تحدّثت عن نشاط جمعية «بيت الحكمة» وعن الكتب التي تعتزم نشرها.



توطئة

أو

التعريف بأبي القاسم الغزاري

إذا كان سعيي اليوم لله وحده
ترانيَ أقاصي ما تحاج وما تخف

- أبو عبد الله محمد بن أحمد الحداد -

من شأن أصحاب النبوغ وأفذاذ العبقرية أن يخضعوا كغيرهم أو أكثر من غيرهم الى تأثير البيئة وخصوصا الى أحكام ناموس الوراثة لأن الطبيعة البشرية تأبى إلا أن توزع بينهم وتبرز فيهم في وضوح جلي وبهاء ساطع تلك القوى التي اختص بها آباؤهم وأجدادهم وامتازوا بها على من سواهم من أهل أمتهم من رفعة في الذكاء ودقة في الإحساس وتوقد في الشعور.

وبهذا الملك الضليل والشاعر الفحل جاء بما أفصح به في إبداع عن مكنون أخلاق قومه من فروسية وعزة النفس وإباء الضيم وأمانة في وصف ما اختصت به كندة قبيلته ومنشأ أرومته من شرف العناصر وطيب المعاني مع ما جبل عليه جيرانها أصحاب الترف والطرب من جميل العاطفة ورقة الحاشية. فكان امرؤ القيس وهو صاحب الشدة والبأس صاحب لين الطبع وشعور رقيق يسيل كالماء السلسبيل ويذوب صبابة وشوقا. ولذا عاش هذا الفحل لم يكن صاحب لواء الشعراء الجاهليين المبدع ومبتكر الوقوف على الأطلال والبكاء عليها وواضع الشعر القصصي الغرامي والغزلي فحسب بل كان قبل كل شيء ابن قبيلة كندة ولسان حال تلك الطائفة العتيقة من قومه النازحة شمالا ولهوا يترجم عن نزعة بطولتها العريقة في المجد والسؤدد وميول شبابها العاتي في حبها للحياة

صورة الصفحة الأولى من التوطئة بخطّ المؤلّف

[4]

/ توطئة
أو
التعريف بأبي القاسم الفزاري

إذا كــان سَعْــيُ المَــرْءِ للَّــهِ وحــده
تَدَانَتْ أقاصِي ما نَحَاهُ وما يَنْحُو

أبو عبدالله محمد بن أحمد الحدّاد [1]

1 ـ قبيلة كندة:

من شأن أصحاب النّبوغ وأفذاذ العبقريّة أن يخضعوا كغيرهم أو أكثر من غيرهم إلى تأثير البيئة وخصوصاً إلى أحكام ناموس الوراثة لأنّ الطبيعة البشريّة تأبى إلاّ أن تودع فيهم وتبرز منهم في وضوح جليّ وبهاء ساطع تلك القوى التي اختصّ بها آباؤهم وأجدادهم وامتازوا بها على ممرّ مراحل أسرتهم من رفعة في الذّكاء ودقّة في الإحساس وتوقّد في الشعور.

فهذا الملك الضِلّيل والشاعر الأمير جاء بما أفصح به في إبداع عن مكنون أخلاق قومه من الفروسيّة وعزّة النفس وإِبَـاءِ الضّيم، وأجاد في وصف ما اختصّت به كِندة قبيلته ومنشأ دوحته من شرف المقاصد ولُطف المعاني مع ما جُبِل عليه فتيانها أصحاب التّرف والظّرف من جميل العاطفة ورقّة الحاشية. فكان امرؤ القيس، وهو صاحب الشدّة والبأس، صاحب لين لطيف وشعور رقيق يسيل كالماء السلسبيل ويذوب صبابةً

(2) هٰذا الشاعر الأندلسيّ يلقّب بمازن الوادي آشي، توفّي سنة 480 والبيت في الذخيرة 1/727.

وشوقاً. ولذا فإن ذا القروح لم يكن صاحب لواء الشعـراء المفلق المبدع مبتكر الوقوف على الأطلال والبكاء عليها وواضع الشعر القصصي الغرامي والغزلي فحسب، بل كان قبل كلّ شيء أمير قبيلة كندة ولسان حال تلك الطائفة الفتيئة من قومه الزّاخرة نشاطاً ولهواً يترجم عن نزعة بطولتها العريقة في المجد والسؤدد وميول شرخ شبابها العاتي في حبّها للحياة/ حبًّا جمًّا والإدمان على لذائذها بإمعان وإفراط وفي تقديسها [5] لمبادىء المروءة العربيّة الكاملة والفروسيّة البدويّة الطّاغية.

وهذا بلبل الحجاز وعندليب قريش عمر بن أبي ربيعة شاعر الغَزَل، لقد جاء شعره أصدق مرآة لتلك النهضة الفتيّة الحجازيّة التي ازدهرت على عهد خلافة بني أميّة وحياة اللّهو والفنّ التي ولّدتها رفاهية العيش بمكّة والمدينة، إذ أنس بيوتات الشرف من قريش الترّف والدّعة بما أغدق عليهم خلفاء بني أميّة من عطايا جارية وأرزاق طائلة لصرفهم عن أمور السياسة والحرب فتطلّبوا أسباب لذائذ الدّنيا وزخرفها من قصور شاهقة ورياض فيحاء ونعيم اللّباس ومفاخر الأطعمة وعكفوا على مجالس الأنس والمجون والاستهتار، واصفاً وصفاً دقيقاً هذا العَيْش الخضل وتلك الخلاعة الباذخة التي روّجت سوق الغزل والتشبيب معبّراً أحسن تعبير عن خصائص وذوق تلك البيئة الفتيّة التائهة بكريم نجادها وخصب شبابها، وعن نزعتها العاطفيّة الرقيقة من إعلاء شأن الحبّ وفنون الجمال.

وهذا أبو القاسم الفزاري جاء آخر عقد لسلالة عريقة في المجادة والبسالة شديدة الشكيمة والعصبيّة تائهة باعتزازها بنبلها وقوّة بطولتها، شامخة برسوخ قدمها في الشعر والأدب. وقد أنجبت الكثير من رؤساء الكلام وصيارفة النثّار والنظّام، فتجمّعت في شاعرنا صفوة تلكم الشِّيَم والخصال العالية [وافر]:

وَرِثْنَاهُنّ عن آبَاءِ صِدْقٍ ونُورِثُهَا إذا مُتْنَا بَنِينَا[1]

فاكتسب بها وجاهةً امتازت بها شخصيّته القويّة فأفردتها بين شعراء أوانه، وذوقاً بَزَّ بِهِ أقرانَه حيث كان باقعة زمانه، وروحاً زكيّة نبيلة رقيقة سريعة التأثّر والاضطراب بقدر ما كانت تصبو إلى قِمَمِ المعالي/ [6] وسُمُوّ المدارك.

2 ـ بنو فَزَارَة:

انحدر أبو القاسم من أعظم بيوتات العرب وهم بنو فزارة. قال أبو عبيدة: «بيوت العرب ثلاثة، فبيت قيس في الجاهلية بنو فزارة ومركزه بنو بدر، وبيت ربيعة بنو شَيْبان ومركزه ذو الجدّين، وبيت تميم بنو عبدالله بن دارم ومركزه بنو زُرارة». وقال قيس بن زهير بن جذيمة العبسي في بني بدر بن فزارة: «إنهم أكفاؤنا في الحسب وبنو عمّنا في النسب وأشراف قومنا في الكرم».

وفزارة هذا هو ابن ذُبيان بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عَدْنان. ووَلَدُ فزارة: **عَدِيّ وظالم ومازن وشَمْخ**.

ـ أمّا ظالم ونسله فقد بادوا إلا قليلاً، منهم نعامة الذي كان يُحمَّق واسمه بَيْهس.

ـ وأمّا شَمْخ فولده **لأي وهلال**. فمن بني لأي سَمُرَة بن جُنْدَب الصحابي المشهور، ومنه عقبه الفزاريّ المُنجِّم واسمه محمد بن إبراهيم بن حبيب بن سليمان بن سَمُرَة بن جُنْدَب، وجعفر بن عبدالله المحدِّث. ومنهم المُسيَّب بن نجبة أحد أمراء التوّابين يوم عَيْن الوردة،

(1) معلّقة عمرو بن كلثوم، بيت 72.

وكان من أصحاب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وهشام بن صفوان بن مَرْثَد كان سيّداً، ومالك بن خيار بن حزن كان سيّداً، والربيع بن عملية كان هو وأبوه سيّدَيْن.

ـ وأما مازن فمنهم بنو العشراء ومن بني العشراء منظور بن زبّان وابن عمّه لحّا هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري الذي تحاكم إليه عامر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن علاثة في منافرتهما، وسعيد بن أَبان كان متديّناً متورّعاً.

ـ وأمّا عدِيّ فولده **ثَعْلَبَة وسعد**. فمنهم بغيض بن مالك بن سعد بن عديّ بن فزارة اجتمعت عليه قيس في الجاهلية. ومن بغيض يزيد بن عمر[1] بن هبيرة ولِيَ العراقَيْن هو وأبوه لمروان بن محمد ويزيد بن عبد الملك، وعبد الرحمان بن مسعود قاد الطوائف، والحُصين بن جُنْدَب بن حسن بن خارجة كان سيّد أهل البادية/ واعتزل حرب كلب [7] وفزارة يوم بنات قَيْن[2]، وكَرْدَم بن شُعْثَة الذي طعن دُرَيْد بن الصِّمّة[3]، وعديّ بن أَرْطَأة والي البصرة لعمر بن عبد العزيز.

وبنو بدر بن عمرو بن جُوَيَّة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عديّ بن فزارة بيتُ فزارة وعددهم ثمانية، وهم: **حُذَيفة** (سيّد غَطَفان وبيت قيس، وكان يقال له ربّ مَعَدّ وكان بفضل ثروته الطائلة وعدد أولاده وحميّة إخوانه

---

(1) عمرو عند المؤلف، والإصلاح من جمهرة أنساب العرب لابن حزم، نشر عبد السلام هارون، القاهرة 1982 (ذخائر العرب رقم 2)، ص 255. ويبدو أن المؤلّف اطّلع على الطبعة الأولى من الجمهرة سنة 1948 ونقل عنها هذه الأنساب، ولعلّ المرحوم ح.ح. عبد الوهاب قد أمدّه بنسخته من الكتاب، فقد طبعت الجمهرة بالقاهرة بتحقيق ليفي بروفنسال.

(2) «بنات قين» موضع بالشام دارت فيه وقعة بين فزارة وبني كلب، انظر معجم البلدان لياقوت في بنات.

(3) كان ذلك في وقعة يوم اللّوى، انظر خزانة الأدب نشر هارون، 11/280.

أعظم رجل ترأس على ذُبْيان) **وحَمَل**، قُتِلا يوم الهَبَاءَة[1]، وحَمَل لم يعقب، **ومالك وعَوْف** قُتِلا في حرب داحِس، **والحارث وربيعة وزبّان وزيد**.

وولد حذيفة: **حِصْن ونُدبة ومالك ووَرْد وشريك وعُقْبَة**. وولد حِصْن: **قيس وعُيَيْنَة وخارجة وحسّان وخليفة وعُقْبَة وعمرو**.

أما عُيَيْنَة فهو الذي كان رسول الله ﷺ يسمّيه الأحمق المُطَاع[2]، كان من حكّام العرب وعلمائهم الذين يحكمون بينهم إذا تشاجروا في الفضل وعلوّ الحسب والنسب وكان لكلّ قبيلة حَكَم. وولد عيينة: **عمران وأبّان وعلي وسعيد وعقبة وحبيب** (الذي قتله أبو قَتادة الأنصاري يوم ذي قَرَد[3]) **وزيد وعَنْبسة**. ومنهم سعيد بن أبّان بن عيينة القائم بحرب فزارة مع كلب يوم بنات قَيْن. وأسماء بن خارجة بن حِصْن بن حُذَيْفة من سادات أهل الكوفة ومن أجوادها. وعن أبي عبيدة: أجواد أهل الكوفة ثلاثة: **أسماء بن خارجة وعتَّاب بن ورقاء وعِكرمة بن رِبْعِيّ**. ومن ولده: الفقيه الفاضل أبو إسحاق الفزاري فقيه الثّغْر[4]، وهو إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة وابن عمّه لحّا المحدّث الثقة المشهور، مروان بن معاوية بن الحارث بن أسماء بن

---

(1) يوم جفر الهباءة بين عبس (قيس بن زهير) وفزارة (حذيفة بن بدر).

(2) في المخطوط «... الأحمر الذي» وهو تحريف، انظر خبر عُيَيْنة بن حصن الفزاري في المعارف لابن قتيبة، ص 303.

(3) في الأصل «يوم ذي قرّ»، والصواب ما أثبتناه، وذو قَرَد: ماء على نحو بريد من المدينة المنوّرة ممّا يلي غطفان، وقيل على مسافة يوم منها، انظر، سيرة ابن هشام، دار إحياء التراث العربي، ج 3، ص 294.

(4) هو ثغر المصّيصة على نهر جَيْحَان وهي اليوم مِسِيس بتركيا. وإبراهيم بن محمد الفزاري (ت 186) له ترجمة في سِيَر أعلام النبلاء للذهبي، 8/473 (رقم 142)، وفي العبر له أيضاً، 1/290.

خارجة[1]، والشاعر عُوَيْف القوافي[2]، وهو عَوْف بن معاوية بن عُيَيْنَة بن حِصْن أحد الشعراء المنتجعين بالشعر، المسترفِدِين للملوك، وهو مُجِيدٌ سُمِّي عُوَيْف القوافي بقوله: [طويل]:

سَأُكْذِبُ مَن قد كان يزعم أنّني   إذا قلتُ قولاً لا أُجِيد القوافيَا

والحرُّ بن قيس بن حِصْن بن حُذَيْفَة، كان له منزلة عند عمر بن الخطّاب وكان فاضلاً من القرّاء.

/ ومن بني بدر أيضاً أمّ مَرْبة بنت ربيعة بن بدر، وهي التي أمر النبيّ ﷺ أسامة بن زيد بقتلها وقتل جميع بنيها. [8]

وولد سعد بن ذبيان: **ثعلبة وعَوْف**. ومن ثعلبة بنو سُبَيْع وفيهم البيت والشرف، وولد عوف مُرَّة وفيه الشرف والسؤدد. ومن ولد مُرّة غَيْظ، فولد نُشْبة ويربوعا، فمن يربوع الحارث بن ظالم ومنهم النابغة الذّبياني. وأما نشبة فمن ولده هَرِم بن سِنان الجواد[3].

ومن شعرائهم الأصمّ والأفلح بن مالك وبيهس بن هلال وجميل بن المعلّى وزيّان بن سيّار وأبو الجليد المنظوري والحجاف بن حزن وزميل بن أمّ دينار وابن عنقاء سُوَيْد ومالك بن أسماء والمسيّب بن نجبة ومعاوية بن حذيفة بن بدر ونصر بن عاصم وعُميلة وعيينة بن أسماء وهذيل بن ميسر.

فهذا قليل من كثير ممّن حمل راية بيت فزارة باليمين وخلّد مَكْرُمَات هذه القبيلة العتيدة في سجلّ التاريخ الأمين سُؤْدَداً ومجداً

(1) توفّي سنة 193، انظر سِيَر أعلام النبلاء. 51/9 (رقم 15).
(2) مات عويف نحو سنة 100، الأعلام 279/5. وخبره في خزانة الأدب 884/6 وفي الأغاني، دار الثقافة 128/10.
(3) وهو ممدوح زهير بن أبي سلمى.

وزُهداً وصحابةً[1] وعلماً وفقهاً وبسالةً وسخاءً.

3 ـ مآثر بني فزارة في الجاهليّة وفي الإسلام:

أ ـ دورهم في الجاهليّة:

كانت لفزارة وقائع مع عَبْس، فضربت بسهم تحت قيادة حُذَيْفَة بن بَدْر وابنه حِصْن في حرب داحِس التي دامت بين عبس وذُبيان ابنَيْ بغيض أربعين سنة ثم أصلح بينهم عمرو بن هند مالك العرب وردّهم عن القتال. وأُضِيفت هذه الحرب إلى اسم فرس، وذلك أنّ قيس بن زُهير صاحب داحس تراهن هو وحذيفة بن بدر على عشرين بعيراً وجعلا الغاية مائة غَلْوَة والمضمار أربعين ليلة، فأجرى قيس داحساً والغَبْراء وحذيفة الخطّار والحَنْفاء، فوضعت بنو فزارة لرهط حذيفة كميناً في الطريق فردّوا الغبراء ولطموها وكانت سابقة. فهاجت الحرب بين عَبْس وذُبْيَان وهي حرب السِّباق التي بلغ عجاجُها السّبع الطِّباق.

[9] / وكان لفزارة ضلع في يوم ذي المُرَيْقب وكان إذ ذاك الشوكة في بني فزارة وفي يوم ذي حُسَا الذي كان لذُبْيَان على عَبْس تجمّعت فيه ذُبْيَان لما أصابت بنو عبس منهم فزارة ومرّة. فنزلوا بذي حُسَا وهو وادي الصّفا، فهرب بنو عبس فاتّبَعوهم حتى لحقوهم، فقالوا التّفانِي أو تُقَيّدون. فأشار قيس بن زهير أن يعطوهم رهائن من أبنائهم حتى ينظروا في أمرهم، فاصطلحوا على ذلك وكان الرّهن عند سُبَيْع بن عمرو وتكافأ الناس.

ثم إنّ حذيفة بن بدر احتال بعد موت سُبَيْع وأخذ الرهائن وغدر بهم فقتلهم. فلما بلغ ذلك بني عَبْس أتوهم باليَعْمُرِيّة، وفي هذا اليوم

(1) أي صحبةً للرّسول ﷺ.

قُتِل مالك بن سُبَيْع التغلّبي. فلم تكتف عبس بذلك وثارت ثائرتهم، إذ لم يكن همّهم غير حُذَيْفة. وكان على رأس عبس قيس بن زهير، فلحقت بالموضع المعروف بِجَفْرِ الهَبَاءة وكان فيه حذيفة وحَمَل ابنا بدر مستنقِعَيْن في الماء وقد اشتدّ الحرّ، فقال حَمَل: ناشدتك الله بالرّحم يا قيس! فقال: لبَّيْكم! لبَّيْكم! يعني إجابة الصبية الذين كانوا ينادونهم إذْ يُقتَلون. فعرف حذيفة أنه لن يَدَعَهم، فانتَهَرَ حَمَلاً وقال: اتَّقِ المأثور من الكلام. وجاءه قراوش بمِعْبَلَة فعصم صُلْبَه، وابتدره الحارث بن زهير وعمرو بن الأسلع فضرباه بسيفهما حتى ذفّفا عليه وقتل الربيع بن زياد حَمَلاً ومثّلوا بحُذَيْفة كما مثّلوا بالغِلْمَة. ولم يَرْثِ أحدٌ قتيلاً قتله قومُه إلا قيس بن زهير فإنه رثى حذيفة بن بدر وعبس تولّت قتله، فقال [وافر]:

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ خَيْـرَ النَّـاسِ أَضْحَـى ... علـى جَفْـرِ الهَبَـاءَةِ مـا يَـريـمُ
ولــولا بَغْيُــهُ مــا زِلْــتُ أبكِــي ... عليه الدَّهْرَ ما بَدَتِ النُّجُومُ[1]

وكان أغار حَمَلُ بن حذيفة على بني عَبْس فظفر بفاطمة بنت الخرشب أمّ الربيع بن زياد راكبة على جمل لها فقادها لترعى على إبله فلمّا أيقنت أنّه ذاهب بها رمت نفسها على رأسها من البعير فماتت خوفاً من أن يلحق بنيها الكَمَلَة عارٌ فيها.

وغزت بنو عامر بلاد غَطَفان بالرَّقَم وهو ماء لبني مُرَّة فركب عُيَيْنة بن حِصْن في بني فزارة ويزيد بن سنان في بني مرّة فانهزمت بنو عامر وهو يوم الرَّقَم.

/ وخرج خارجة بن حِصْن في جمع بني فزارة وهو يريد غزو بني **[10]**

(1) خبر داحس والغبراء مفصّل في نقائض أبي عبيدة، طبعة أوروبا ص 83 وما يليها.

عبس بن بغيض، فلقُوا جيشاً لبني تميم على ماء يقال له الكُفَافَة وتميم في جمع سعد والرّباب وبني عمرو فقاتلوهم قتالاً شديداً وهُزِمت تميم وأجفلت.

وكانت لفزارة وقائع مع هوازن وهم بنو جُشَم وبنو نصر وبنو عمير وبنو سليم. غزا عبدالله بن الصِّمَّة أخو دُرَيْد النجاء غَطَفان فأصاب منهم إبلاً عظيمة فأطردها وأبى على أخيه أن لا يبرح حتى ينتقع نقيعته فتتبعته فزارة فقاتلوه فكان يوم اللّواء[1]، ثم أن دريد بن الصِّمَّة غزا بالصّلعاء، فخرجت إليه غطفان (فزارة وأشجع وعبس) فتقاتلوا وكان الظّفر لهوازن على غَطَفان وقتل دريد ذُؤَابَ بنَ أسماء بن زيد بن قارب فكان يوم الصّلعاء[2]. وكان بين معاوية بن عمرو بن الشّريد وبين هاشم بن حرملة أحد بني مُرَّة غَطّفَان كلامٌ بعكاظ، فغزا قوم هاشم يوم حَوْزة فقتله دُرَيْد أخو هاشم. وفي يوم حَوْزَة الثاني طعن صَخْر أخو معاوية دريداً وقتل عمرو بن قيس الجشمي هاشماً. وفي ذات الأثل غزا صخر بن عمرو الشريد أخو الخنساء بني أسد ابن خزيمة واكتسح إبلهم فطعن ربيعة بن ثور الأسدي صَخْراً في جنبه وفاز القوم بالغنيمة ومات صخر من الطعنة.

وأتى عُيَيْنَة بن حِصْن سوق عكاظ فرأى الناس يتبايعون، فقال: أرى هؤلاء مجتمعين بلا عهد ولا عقد ولئن بقيت إلى قابل ليَعلمنّ، فغزاهم من قابل وأغار على سوق عكاظ فكان الفجار

---

(1) المشهور: اللّوى بالقصر. وقد مرّ بنا مقتلُ عبدالله بن الصمّة، انظر الهامش 3 من ص 23. وخبر دريد بن الصمّة مستفيض في الأغاني، ط. دار الثقافة، (ج 10، ص 3). وانتقع النقيعة: ذبح الدابّة من الغنيمة ليطعم منها أصحابه قبل أن يقسِم المغنمَ.

(2) في العمدة لابن رشيق، 202/2: هو يوم الصليفاء، وأقرّ الناشر الشيخ محيي الدين عبد الحميد الصلعاء اعتماداً على ياقوت (فصل الصلعاء). والمقتول ذُؤَاب بن أسماء ذكره دريد في شعره ولكن في غير يوم الصّلعاء. وانظر خزانة الأدب، 30/7.

الثاني[1] وكانت الحرب فيه بين كنانة وقيس والدائرة على قيس عَيْلان[2].

ب ـ بنو فزارة في عهد الرّسول ﷺ:

وأمّا في عهد الإسلام فإن فزارة امتنعت من الدخول في الدين الحنيف وقاومت صاحب الرّسالة ﷺ وناصبته العداء. أجدبت بلاد بدر بن عمرو حتى ما أبقت لهم في مالهم إلاّ الشريد وذُكِرَتْ لهم سحابة وقعت بتغلمين إلى بطن نخل فسار عُيَيْنَة ، وكان اسمه حُذَيْفَة فأصابته لقوة[3] فجحظت عيناه فسمّي عُيَيْنَة ـ ويكنّى أبا مالك ـ في آل بدر حتى أشرف على بطن نخل ثم هاب النبيّ ﷺ وأصحابه فورد وأتى الرّسول ﷺ فدعاه إلى الإسلام فلم يبعد ولم يدخل فيه وقال: إني أريد أن أدنو من / جوارك فَوَاعِدْنِي، فواعده ثلاثة أشهر فلما انقضت المدّة انصرف عُيَيْنَة [11] وقومه إلى بلادهم وقد أسمنوا وألبنوا وسمن الحافر وأعجبهم منظر البلد فأغار عيينة بذلك الحافر على لِقاحٍ للنبيّ ﷺ كانت بالغابة فلم يفلح بالغنيمة[4].

ولمّا أجلى الرّسول عليه الصلاة والسلام يهود بني النضير عن ديارهم بالمدينة[5] أخذوا يُؤَلّبون عليه العرب ويحزّبون الأحزاب ضدّه

---

(1) حروب الفجار: سمّيت بهذا الاسم نسبةً إلى الفجور لأنها جرت في الأشهر الحُرُم التي يحرّم فيها القتال.

(2) انظر تفاصيل هذه الوقائع المعروفة «بأيّام العرب» في الكتب والمعاجم المختصّة مثل معجم البلدان لياقوت، والتهذيب للأزهري والصحاح للجوهري وتاج العروس للزبيدي ونقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة ومجمع الأمثال للميداني والعقد الفريد لابن عبد ربّه إلخ. . .

(3) اللقوة: العُقاب، نقرت عينه.

(4) اللّقاح ج لقيحة وهي الناقة التي لها لبن. والغابة: موضع قرب المدينة المنوّرة من ناحية الشام. انظر، سيرة ابن هشام، المصدر المذكور.

(5) تم إجلاء بني النضير من المدينة المنوّرة في سنة أربع، نفس المصدر 3/ 199.

واعتمد اليهود على مناصرة قريش وغَطَفان، فخرجت الأحزاب إلى المدينة وكان قائد قريش أبا سفيان بن حَرْب وقائد مُرَّة من غَطَفان عُيَيْنَة بن حِصْن، ونقض بنو قريظة عهودهم مع النبيّ ﷺ فانضمّوا إلى المهاجمين، ولكن حال بينهم وبين المدينة الخندق الذي امتنع دونه المسلمون فتوقّفوا أمامه حتى ملّوا الانتظار في البرد القارس والأرياح العاتية في حين وقع نُعَيْم بن مسعود بين الأحزاب وشتّت جموعهم، فتخاذلوا وفشلوا ورجعوا على أعقابهم خاسرين[1].

وتحالفت غَطَفان مع اليهود، ولما سار النبيّ ﷺ إلى فتح خَيْبر همّت غَطَفان بنصرة حلفائها ولكن وجدوا الرسول قد نزل بوادي الرجيع فحال ذلك دون مساعدتهم إيّاهم فرجعوا.

وبعد تلك المحاولات العدائيّة أسلم الحارث بن عَوْف قائد مُرَّة من ذبيان وعُيَيْنَة بن حِصْن قائد فزارة وكان من المُؤَلَّفَةِ قلوبهم فتبعتهما القبائل.

وقسّم النبيّ ﷺ غنائم هوازن فأكثر العطايا لأهل مكّة وأجزل القسم لهم ولغيرهم ممّن خرج إلى حنين ووزّع كثيراً من القسم على أصحابه، فأعطى الأقرع بن حابس وعُيَيْنَة بن حِصْن والعبّاس بن مرداس عطايا فضّل فيها عُيَيْنَة والأقرع على العبّاس[2].

ج ـ بنو فزارة في عهد الخلفاء الراشدين:

وارتدّ العرب بعد وفاة الرسول ﷺ ولم يبق على دينه إلاّ قريش بمكّة وثقيف بالطائف. وكان النّاس في ذلك على قسمين فمنهم التّارك للدّين بالمرّة وهم بنو طيّـىء وأسد وغَطَفان وبنو حنيفة، ومنهم المعطّل

(1) جرت غزوة بني قريظة في سنة خمس، نفس المصدر، 3/ 244.
(2) المصدر المذكور، 4/ 136.

للزكاة. وكان رأي أبي/ بكر الصدّيق رضي الله عنه قتال مانعي الزكاة [12] كقتال المرتدّين، لأن تعطيل الزّكاة طعن على الصلاة بل على جميع منازل الدين.

وبينما كان أبو بكر ينتظر جيش أسامة عاجلته عَبْس وذُبْيَان، فنزل بعضهم بالأبرق ونزل آخرون بذي القصّة(1) وبعثوا وفداً لأبي بكر يطلبون الاقتصار على الصلاة دون الزّكاة فأبى أبو بكر وردّهم خائبين.

وارتدّ عُيَيْنَة بن حِصْن ولحق بطليحة بن خُوَيْلِد الأسدي حين تنبّأ واجتمعت إليه غَطَفان وهوازن وطيّ فسيّر أبو بكر خالد بن الوليد لقتالهم ودعا عدِيّ بن حاتم الطائي قومه للإسلام فأجابوه. والتقى خالد بالمرتدّين ببزاخة(2) فانهزم جيش طليحة ففرّ ثم أسلم حينما علم بإسلام بني أسد وغَطَفان. ثم اجتمعت قبائل غَطَفان إلى سلمى بنت مالك بن حذيفة بالحوأب فسار إليها خالد فقُتِلت وانهزم جيشها. ثم إن خالداً أخذ عُيَيْنَة بن حِصْن فبعث به إلى أبي بكر في وثاق، ولما قدم المدينة جعل الغلمان ينخسونه بالجريد ويضربونه ويقولون: أي عدوّ الله لقد كفرت بالله بعد إيمانك! فيقول: والله ما كنت آمنت. فلمّا كلّمه أبو بكر رضي الله عنه رجع إلى الإسلام فقبل منه وكتب له أماناً.

ودخل عُيَيْنة على عثمان في خلافته فقال له: يا ابن عفّان سِرْ فينا بسيرة عمر بن الخطّاب فإنه أعطانا فأغنانا وأخشانا فاتّقانا. فقال له عثمان: أما والله على ذلك ما كنت بالراضي بسيرة عمر(3).

---

(1) ذو القصّة: موضع يبعد عن المدينة المنوّرة أربعة وعشرين ميلاً.
(2) بزاخة: ماء لبني أسد دارت فيه الوقعة بين خالد والمرتدّين، انظر معجم البلدان في المادة.
(3) ارتداد عيينة ثم رجوعه إلى الإسلام في المعارف لابن قتيبة ص 303.

4 ـ اعتزاز فزارة ببطولة رجالاتها:

كانت فَزَارَة فخورة ببطولة رجالاتها وأفعالهم كما كانت تهتزّ تِيهاً بجميل خصالهم وقوّة نبوغهم. أنشد شاعر فزارة [طويل]:

أَلَا أيُّهَـا النَّـاهِـي فَـزارةَ بعـدمـا ... أجَـدَّتْ لِغَـزْوٍ إنّمـا أَنْـتَ حَـالِـمُ

أبَـى كـلّ ذي تَبْـلٍ يبيـت بِهَمِّـهِ ... ويُمْنَـعُ منـه النّـوم إذ أنـت نـائـمُ

قَعُوا وَقْعَةً مَنْ يَحْيَ لم يُخْزَ بَعْدَهَا ... وإِنْ يُخْتَـرَمْ لـم تَتْبَعْـهُ المَـلَاوِمُ(1)

وقال حذيفة بن بدر بمحضر النّعمان بن المنذر: قد علمت العرب أنّ فينا/ الشَّرَفَ الأَقْوَمَ والعزَّ الأعظَمَ ومآثر للصنيع الأكرم. فقال مَنْ حوله: وَلِمَ ذَاك يا أخَا فزارة؟ قال: أَلَسْنَا الدعائم التي لا تُرام والعزّ الذي لا يُضام؟ قيل له: صدقت! [13]

ثمّ قام شاعرهم فقال [طويل]:

فَـزَارَةُ بَيْـتُ العِـزِّ والعِـزُّ فِيهِـمُ ... فـزارةُ قَيْسٍ حَسْبُ قَيْسٍ نِضَـالُهَـا

لها العزّة القعساء والحَسَب الذي ... بنـاه لِقَيْـس فـي القـديـم رِجـالُهَـا

فمَـنْ ذَا إذا مَـدَّ الأكُـفَّ إلـى العُلَـى ... يَمُـدُّ بـأُخْـرَى مِثْلَهَـا فَيَنَـالُهَـا؟

فَهَيْهَاتَ قد أَعْيَـى القُرُونَ التي مَضَتْ ... مَـآثِـرُ قَيْـسٍ مجـدُهـا وفِعَـالُهَـا

5 ـ وَهَـلْ أحَـدٌ إنْ مَـدَّ يـومـاً بِكَفِّـهِ ... إلى الشَّمْسِ في مَجْرى النُّجُومِ يَنَالُهَا؟

فإنْ يَصْلُحُوا يَصْلُحْ لِذَاكَ جَمِيعُنا ... وإنْ يَفْسُدُوا يَفْسُدْ على النّاسِ حَالُهَا(2)

وأنشد أبو بكر بن الأنباري عن أبيه عن أحمد بن عبيد لهذيل بن ميسر الفزاري [طويل]:

---

(1) هذه الأبيات منقولة في ترجمة عويف القوافي في الأغانـي 19/136.
(2) هذه الأبيات في خبر عويف أيضاً غير منسوبة، الأغاني، 9/129.

وعـاذلـةٍ هبَّـتْ بِلَيْـلٍ تَلُـومُنِـي ... ولـم يَغْتَمِـزْنِي قَبْـلَ ذَاكَ عَـذُولُ

تَقُولُ اتَّئِدْ لا يَدْعُكَ الناسُ مُمْلِقاً ... وتُـزْرِي بِمَـنْ يـا ابـنَ الكِـرَامِ تَعُـولُ

فَقُلْـتُ أَبَـتْ نَفْـسٌ علـيّ كَـرِيمَـةٌ ... وَطَـارِقُ لَيْـلٍ غَيْـرَ ذاكَ يَقُـولُ

أَلَـمْ تَعْلَمِـي يـا عَمْـرَكِ اللّـهَ أَنّنِـي ... كَـرِيـمٌ علـى حِيـنِ الكِـرامُ قَلِيـلُ؟

5 ـ وأَنِّـيَ لا أُخْـزَى إذا قِيـلَ مُمْلِـقٌ ... سَخِـيٌّ وأُخْـزَى أن يُقَـالَ بَخِيـلُ

فَـلاَ تَبْتَغِي العَيْـنَ الغَـوِيَّـةَ وانْظُـرِي ... إلـى عُنْصُـرِ الأَحْسَـابِ أَيْـنَ يَـؤُولُ

وكـائِـنْ رَأَيْنَـا مِـن فُـروعٍ طَـوِيلَـةٍ ... تَمُـوتُ إِذَا لـم تُحْيِهِـنَّ أُصُـولُ

فإنْ لَا يَكُنْ جِسْمِي طَوِيلاً فإِنَّنِي ... لَـهُ بـالفِعَـالِ الصَّـالِحَـاتِ وَصُـولُ

وَلَـمْ أَرَ كَـا لْمَعْـرُوفِ أمّـا مَـذَاقُـه ... فَحُلْـوٌ وأَمَّـا وَجْهُـهُ فَجَمِيـلُ[1]

وأنشد أبو بكر ابن دُرَيْد قال: أنشدني رجل من فزارة [بسيط]:

لا يُبْعِـدِ اللّـهُ قـومـاً إن سَـأَلْتُهُـمُ ... أَعْطَوْا وَإِن قُلْتُ يَا قَوْمُ انْصُرُوا نَصَرُوا

وَإِنْ أَصَـابَتْهُـمُ نَعْمَـاءُ سَـابِغَـةٌ ... لَـمْ يَبْطَـرُوهَـا وإِنْ فَـاتَتْهُـمُ صَبَـرُوا

الكَـاسِـرُونَ عِظَـامـاً لا جُبـورَ لَهَـا ... والجَابِرُونَ فَأَعْلَى النّاسِ مَنْ جَبَرُوا

/ فقلت من يقول هذا؟ قال الذي يقول [طويل]: [14]

إذا نُشِرَتْ نَفْسي تَذَكَّرْتُ مَا مَضَى ... وقَوْمِيَ إِذْ نَحْنُ الذُّرَى والكَوَاهِلُ

وإِذْ لـيَ مِنْهُـمْ جُنَّـةٌ أَتَّقِـي بِهَـا ... وجُـرْثـومَـةٌ فيهـا حِفَـاظٌ ونَـائِـلُ

وإِذْ لَا تَـرُودُ العَيْـنُ عنّـا لِبِغْيَـةٍ ... وَلَا يَتَحطَّـانَـا المَـرُوعُ المُـوَائِـلُ

ولا يَجِـدُ الأَضْيَـافُ عَنَّـا مُحَـوَّلاً ... إذَا هَـبَّ أَرْوَاحُ الشِّتَـاءِ الشَّمَـائِـلُ

5 ـ إذا قيل أين المُشْتَفَى بِدِمَائِهِمْ ... وأَيْنَ الرَّوَابِي والفُروعُ المَعَاقِلُ

---

(1) الأبيات في أمالي القالي 1/38 منسوبة إليه في الهامش. وصحّح أبو عبيد البكري في سمط اللآلي 1/160 (نشر عبد العزيز الميمني الراجكوتي): يغتمِرْني إلى يَغْتَمِزْني بالزاي.

أُشيـرَ إلينـا أو رأى النّـاسُ أنَّنَـا ... لَهُـمْ جُنَّـةٌ إنْ قَـالَ بـالحَـقِّ قَـائِـلُ

فأَصْبَحْتُ مثلَ النَّسرْ تَحْتَ جَنَاحِهِ ... قَـوَادِمُ صَـارَتْهَـا إليـه الحَبَـائِـلُ

فَلَـوْ أنَّ قَـوْمِـي أَكْـرَمُـونـي وأَتْـأَقُـوا ... سِجَـالاً بِهَـا أَسْقِـي الـذيـن أُسَـاجِـلُ

كَفَفْتُ الأَذَى ما عِشْتُ عن حُلَمَائِهِمْ ... وناضَلْتُ عن أَعْرَاضِهِمْ مَنْ يُنَاضِلُ

10 - ولكنَّ قَوْمِي عَزَّهُم سُفَهَاؤُهُمْ ... عَلَى الرَّأْيِ حتّى لَيْسَ لِلرَّأْيِ حَامِلُ

تُظُوهِرَ بالعُدْوانِ واخْتِيل بالغِنَى ... وشُورِكَ في الرَّأْيِ الرِّجَالُ الأَمَاثِلُ

ثم قام مُغْضَباً متصاغِراً كأنّ المَحاجِمَ على أَخْدَعَيْهِ(1).

وإن كَانت بيتُ فزارة سبّاقة للمحامد ومحافظة على أجمل صفات المروءة العربيّة وأكملها، فإنّ كتب الأخبار قد حفظت لها منقصتَيْن لصِقَتَا بِهَا فكانتا لها أَتْبَعَ من الصّفة بالموصوف وأَلْزَمَ من العاطف للمعطوف، فكانت فزارة تُعَيَّرُ بأكل جُرْدَانِ الحمار لفعلة فعلها أحدُهُمْ يُسَمَّى حَذَقٌ على حين غفلة، وقد اقتصّ من صاحبه حالاً لرفع المعرّة عنه. وكذلك كانت فزارة تُهْجَى بغشيان الإبل كما قال الرّاجز الجاهلي:

إنّ بَنِـي فَـزَارَةَ بْـنِ ذُبْيَـانْ ... قَـد طَـرَّقَـتْ نَـاقَتُهُـمْ بِـإِنْسَـانْ

وقال سالم بن دَارَةَ [بسيط]:

لاَ تَـأْمَنَـنَّ فَـزارِيًّـا خَلَـوْتَ بِـهِ ... علـى قَلُـوصِـكَ وَاكْتُبْهَـا بِـأَسْيَـارِ

حتّى جاء الفرزدق يهجو عُمَرَ بنَ هبيرة فقال [وافر]:

أَأَوْ لَيْـتَ العِـرَاقَ وَرَافِـدَيْـهِ ... فَـزَارِيًّـا أَحَـذَّ يَـدِ القَمِيـصِ؟

---

(1) هذه الأبيات وسابقاتها في الأمالي 1/82. والمشتفى بهم في البيت الخامس هم الملوك، فقد كانت العرب تزعم أن دماءهم تشفي من الكلب والجنون. وأتأقوا سجالاً في البيت الثامن: ملأوا الدّلْوَ. وصارتها: أَمَالَتْها (بيت 7)، قال تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ (البقرة: 260)، وانظر السمط 1/270.

/ وَلَمْ يَـكُ قَبْلَهَـا رَاعِـي مخـاضٍ   لِيَـأْمَنَـهُ علـى وَرِكَـيْ قَلُـوصِ[1] [15]

ومن الإنصاف أن لا يتحمّل القوم أزر معرّة اقترفها الفرد منهم عمداً أو خطأ لو لم تكن هناك العصبيّة القبليّة والحميّة الجاهليّة، وبالتّالي فإن القصّتين صارتا لا تُذْكَرَان إلاّ على سبيل الفكاهة والنكتة، بحيث لم يُقَمْ لها وزن حتى تفتّ في عضد ما أقامه رجالات هذا البيت العتيد من مفاخر وفضائل، فيبقى صرحه قويّ العتاد رفيع العماد.

وهناك سِمَةٌ طبيعيّة تُفرِد بني فزارة عن سواهم بين القبائل وتفرزهم حتى بين بطون غَطَفان نفسها، وذلك أنهم «كانوا من الفُلْحِ أَفْوَاهاً»[2]. كما كانوا يُعرَفُون بكيفيّة ركوبهم على الخيل إذا خرجوا للغزو أو الحرب، «فكأنّهم الصبيان أستّهم عند آذان خيلهم».

5 ـ أبو القاسم الفَزَارِيّ[3]:

أ ـ نسبـه:

هذه أسرة فزارة وهؤلاء أجداد أبي القاسم الفزاري الأُوَل. أمّا هو فهو محمّد أبو القاسم بن عامر بن إبراهيم الفَزَارِي كما أثبته أبو بكر محمد الزبيدي القرطبي الأندلسي في كتابه «**طبقات النحويّين**»[4].

وكان والده عامر «شاعراً بصيراً باللّغة مع خبث وإقدام ورأي ومكر. وكان قد هرب بخراج السّاحل حتّى لحق بمصر ومالُ الخراجِ

---

(1) سالم بن دارة من غطفان قتله زميل بن أبرد الفزاريّ، انظر التنبيه على أمالي القالي لأبي عبيد، تحقيق الأب صالحاني ص 94 و 123. وبيتا الفرزدق في ديوانه نشر الصاوي، 487.

(2) الفلَح: شقّ في الشفة السفلى، والعلَم في العليا، فالرجل أفْلَحُ أو أعْلَمُ (اللّسان).

(3) انظر، ح ج عبد الوهّاب، مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص 83 ـ 87 والمالكي، رياض النفوس، 1/489 ـ 495.

(4) رقم 190 ص 250 (في ترجمة أبيه عامر، ولم يسمِّه الزبيديّ محمّداً).

معه». وكان ينتسب إلى حَمَل بن بَدْر حتّى أعلمه أبو بكر الحسن بن أحمد بن نافد أنّ حَمَل بن بَدْر لم يُعقِب وأراه ذلك في بعض الكتب، فخلّى عن ذلك وقال نحن ولد عُيَيْنَة بن حِصْن. في حين كان ابنه أبو القاسم يزعم أنّه من ولد أسماء بن خارجة.

وكان إبراهيم جدّ أبي القاسم شاعراً متفنّناً في كثير من العلوم ذكره محمد بن الحارث بن أسد الخشني في الجزء السّادس من كتاب «**طبقات علماء إفريقية**»، فقال: «والفزاري المقتول على ما شُهِد عليه من التّعطيل كان من أهل المناظرة والجَدَل. سمعت من يحكي أنّه دخل على أبي يحيى بن قادم، فقال له أبو يحيى: ما الذي تنظر فيه اليوم يا فزاري؟ فقال له: في كتاب ابن عليّة، فقال له: ذلك الذي يفتي بإجازة صلاة اليهود؟ فقال له الفزاري: وكيف ذلك؟ قال ابن قادم: لأنه يقول إنّ الصلاة بغير قراءة جائزة، وصلاة/ [16] اليهود هي صلاة بغير قراءة. قال له الفزاري: فما تقول أنت إن قرأ في ركعتين وترك القراءة في ركعتين؟ قال له ابن قادم: الصّلاة جائزة. فقال له الفزاري: فما أراك إلاّ وقد تقلّدت بعض ما أنكرت، أجزت نصف صلاة اليهود وأبطلت النصف. فقال له ابن قادم: ما أراك تموت موتك يا فزاري»[1].

وَذكره القاضي عياض في كتاب **الشّفاء**، فقال: «وكان ممّن يحضر مجلس القاضي أبي العبّاس بن طالب للمناظرة. فرُفِعَت عليه أمور كثيرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبيّنا ﷺ. فأحضر له القاضي يحيى بن عُمَر[2] وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه. فطُعِن بالسكّين

---

(1) هذا الجدل نقله الخشني في طبقاته، ص 220 من طبعة ابن أبي شنب، باريس 1915.

(2) يحيى بن عمر الكناني الأندلسي (213 ـ 289/ 828 ـ 883) من كبار فقهاء المالكية في إفريقية في العهد الأغلبي، اشتهر بالخصوص بكتابه أحكام السوق.

وصُلِب منكّساً ثم أُنْزِل وأُحْرِق بالنّار».

ولذا يقول محمّد التونسي الإيادي[1] يهجو أبا القاسم في بعض المواطن [متقارب]:

دَعِــيٌّ فَــزَارَةَ مِــنْ لُــؤْمِــهِ ... إلــى طَلْعَــةِ اللُّــؤْمِ مَــا أَسْبَقَــهْ

أَبٌ هــاربٌ بِخَــرَاجِ الإِمَــام ... وَجَــدٌّ قَتِيــلٌ علــى الــزَّنْــدَقَــهْ

فَمِنْ هذا البيت الذي كان ذا جِدّ ونشاط كما كان ذا بأس وإقدام والذي ملأ صفحات التاريخ بِفِعالِ أفراده وأقوالهم في ميادين الشعر والأدب والفقه والخطابة والحرب والسياسة نشأ أبو القاسم الفزاري متدّرعاً بأجمل الخصال التي امتاز بها قومه، ومن ذلك تكوّنت له تلك الرّوح القويّة والعبقريّة الفذّة.

ب ـ مولده ونشأته:

وُلِد محمد أبو القاسم بالقيروان وبها ترعرع وعن أبيه وفطاحل المشايخ تخرّج وتوفّر على اللّغة فأحكمها وعلى الأدب فبرع فيه في نباهة حقّقت له النبوغ في الشعر.

تأثّر أبو القاسم من بدء أمره بأشياء ثلاثة: تأثّر بتراث أجداده الأعلام وبالبيئة الاجتماعيّة لآخر عهد الأغالبة بالقيروان وبالحركة الدينيّة السنّيّة التي قامت على قدم وساق لمصادمة غشيان الحركة الشيعيّة والخارجيّة معاً.

---

(1) هو على الأرجح علي بن محمد الإيادي التونسي، وهو شاعر إفريقي معدود من فحول الشعراء في عصره، عاش في مدّة القائم وابنه المنصور وأدرك المعزّ لدين الله ومدحه، توفّي سنة 365 هـ/ 976م. انظر: ح.ح. عبد الوهاب، المرجع السابق ص 96 ومحمد اليعلاوي، الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص 136.

فكان وهو في مَيْعَةِ الشّباب يترنّم بدويّ الوقائع التي أثارتها فزارة أو تصدّت لدفعها صيانةً عن حوزتها أو ذبًّا عن شرفها وكانوا ضُرَّابَ [17] / السّيوف وشرّابَ الحُتوف وقُرَاةَ الضُّيوف وحُبَاةَ الألوف وحُمَاةَ السُّجوف، يطرب لانتصاراتها ويحزن لخيباتها ويلتذّ بأقوال فحولها وخُطَبِ خطبائها وشعر شعرائها ويبتهج لنبوغ أفرادها في العلوم اللغويّة أو الدينيّة، ويهتزّ فخراً لمن فاز منهم بدرجة الصّحابة أو التّابعين أو سلك طريق السّادة الزهّاد والمتصوّفين، فانفتحت قريحته واتّسع خياله وحفظ أيّام العرب وأنسابهم وتضلّع فيها. فكان في شعره علم جَمٌّ من النّسب وجملة وافرة من أيّام العرب وأنسابهم. وشبّ على حبّ الأهل وخصالهم يدأب على تكييف عقله وتنسيقه على غرار عظماء قومه والنّسج على منوالهم، وقد ارتضع ثدي كرائمهم واعتجر رداء مكارمهم، وكان لا يعمل إلاّ على توجيه مهجته وشعوره إلى أكمل المثل العليا. فتسامت ملكاته وتكاملت مواهبه وصار لا يجنح إلاّ للتّنويه بجميع ما تجود به طبيعة البشر من شعور نبيل وعاطفة لطيفة ومقاصد شريفة وتمجيدها وتعظيمها، فرسم لنفسه مقعداً منيعاً بين جمهور أقرانه.

وكان عزيز النّفس ذا روح زكيّة أمينة وفيّة، صقيل الفكر عصبيّ المزاج سريع التأثّر والانفعال، يثور أمام الكيد والبغي أو صدمات أصحاب الغايات على مبادىء الدّين والاعتقاد الحنيف فتبلغ الحدّة منه مبلغها فينطق اللّسان بالقول اللاّذع المقذع بلا رأفة ولا شفقة ويصبّ على العُتَاة ﴿نَاراً تَلَظَّى لاَ يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى﴾[1] في قوالب نهاية في متانة المبنى ورشاقة التلفّظ بعد أن واصل بين رفعة المعنى ورجاحة الفكر المتّزن.

---

(1) سورة اللّيل، آية 15.

نشأ أبو القاسم بتربة القيروان المباركة التي خيّمت عليها من بدء أمرها روح مؤسّسها وبانيها عقبة بن نافع القائد الصنديد والبطل الشهيد فكستها جلباب الرّوعة والوقار. كما أكسبها حُرْمَةً وفخاراً ما ضمّته من رفات السّادة الصحابة والتابعين الغُزَاة البَرَرَة وحجاجِحَة العرب المجاهدين الفاتحين، فضلاً عن طائفة النسّاك المتعبّدين والأولياء الصالحين،/ فبوّأها ذلك كلّه مقعد بقاع الإسلام المقدّسة تعلوها هالة نور [18] تتطلّع في فضاء السماء تَلأْلُؤاً وإشراقاً وتملأ العينَ بهجتُها رونقاً وبهاءً وتبعث في القلب عظَمَتُها خشيةً وإجلالاً وتبهر العقلَ فخامةُ مجادتها في العلم والأدب جمالاً وإكباراً.

وترعرع أبو القاسم في تلك البيئة العربيّة الإسلامية الخالصة المعتزّة بأنسابها، المحافظة على عروبتها، متشبّثةً بمدنيّتها، متصلّبةً في معتقدها، قد اتّخذت السنّة دِثَاراً والمالكيّة شعاراً، لما تغلغل في قرارات نفسها من تعاليم مذهب إمام دار الهجرة بفضل بعثة الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز ومن جاء بعدها من أعلام الفقهاء وبالأخصّ الإمام الكبير سحنون بن سعيد بن حبيب التنّوخي(1).

6 ـ الحركة الفكريّة بالقيروان في آخر عهد الأغالبة(2):

كانت القيروان في آخر عهد الأغالبة، وقد تأكّدت الصلة بالشرق

---

(1) هو الإمام سحنون الذائع الصيت (160 ـ 240 هـ/ 776 ـ 854 م). نشأ وشبّ في القيروان ثم رحل إلى مصر وأخذ الفقه عن ابن القاسم وألّف «المدوّنة»، وعنه انتشر المذهب المالكي في إفريقية بل في المغرب بأسره، وتخرّج على يديه علماء أعلام بلغوا الذروة في الفقه وأحكموا صناعة القضاء.

(2) دامت الدولة الأغلبية من سنة 184 إلى سنة 296 هـ/ 800 ـ 909 م. انظر، محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، تعريب المنجي الصيّادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985.

وتوفّرت أسباب الرّحلة العلميّة إليه، تطفح نشاطاً يتناول من جهة تفسير القرآن الكريم بالسنّة على طريقة يحيى بن عُمَر[1] وعلم الفقه وقد تميّز من علوم الدين، وعلم الكلام وقد تخلّص من علم الفقه، ورواية الحديث وضبط قواعده وتدوينه ونقد أسانيده، ومن جهة أخرى علوم اللغة والأدب على ما كان يدور إذ ذاك بأوساط المدينة المنوّرة والكوفة والبصرة، وأصبحت مرتعاً خصباً للنظريّات الفقهيّة والجدال حول المسائل الخلافية ما بين مالكيّة وعراقيّين أحناف من أهل الرّأي كما وقع ذلك بين سليمان بن عمران[2] وأبي العبّاس عبدالله بن أحمد بن طالب[3]، في حين كان أغلب أمراء بني الأغلب عراقيّي النحلة، ثم تسرّبت آراء المعتزلة بمساعي أبي محرز محمد بن عبدالله الكناني وابن أبي الجواد حتى كانت مناقشة الإمام سحنون وإبعاده عن القضاء. كما شاعت النظريّات الشاذّة على يد محمد ابن أسود المعروف بالصدني حتى راجت في بعض الأحيان أفكار عدد من الزنادقة وقد أجّج نار الجدال إطلاق التفكير الذي أخذ يتجلّى من محاورات بيت الحكمة[4] التي أسّسها زيادة الله الثالث وعهد بها/ إلى الشيباني. ولكن ذلك كلّه لم يكن له التأثير [19] العميق على معتقد السّواد الأعظم، وظلّ جمهور العلماء أمثال محمد بن

---

(1) انظر هامش 2ص 36.

(2) سليمان بن عمران (183 ـ 270 هـ/ 799 ـ 883 م) هو إمام الحنفيّة بإفريقية بعد أسد بن الفرات، تولّى القضاء بعد وفاة سحنون. انظر: معالم الإيمان، 151/2 ـ 158.

(3) هو عبدالله بن أحمد بن طالب المتوفّى سنة 275 هـ/ 888 م. وهو من كبار تلاميذ سحنون وأصحابه ومن أشهر فقهاء المالكية بإفريقية في العصر الأغلبي، المصدر السابق، 2/105.

(4) أكد ح. ح. عبد الوهاب في «الورقات»(1/192 ـ 220) أن إبراهيم الثاني (261 ـ 289 هـ/ 875 ـ 902 م) هو الذي أسّس بيت الحكمة وعهد بإدارته إلى إبراهيم بن محمد الشيباني المكنّى بأبي اليُسْر (ت. 298 هـ/ 911 م).

سحنون ومحمد بن إبراهيم بن عبدوس ويحيى بن عمر الأندلسي وحماس بن مروان وأبي موسى عيسى بن مسكين وأبي محمد بن أبي زيد وأبي الفضل الممّسي وأبي بكر بن اللبّاد وعبدالله الأبياني وسليمان القطّان[1] الذين يرجع لهم الفضل في توطيد السيادة العربية الإسلامية بالأصقاع الإفريقية تحت جناح الأمن الذي مدّه عليها عظماء أمراء بني الأغلب بتثبيت قدم الدين الإسلامي واللّغة العربيّة بها على منهجهم القديم مع التباعد والتحرّز من كلّ ما تشوبه رائحة البدع والأهواء بل بمقاومتها بالسخط الفاشي والقضاء عليها بالحكم المبرم.

وكانت الحركة الفكرية التي طفحت أمواجها عظمةً وازدهاراً إذ ذاك من قاعدة الأغالبة على المغرب الإفريقي حركة دينيّة بحت، علومها إمّا فقهيّة مالكيّة وقد تناولها التدوين والتأليف، أو لغويّة محض وكانت إذ ذاك مفكّكة الأجزاء غير منّظمة، طريقة التلقين فيها الإملاء مع الاعتماد على الأسانيد والاهتمام خاصّة بعبارات الخطباء أو البلغاء دون تنسيق توحيد المسائل والأصول على غرار أبي العبّاس المبرّد وثعلب وأبي علي القالي. إذ أن فن العرب الأوائل كان فنّاً لغويّاً أداته الألفاظ. وكذلك أدبها من نثر وشعر كان مصطبغاً بصبغة الدين وعلى معظمه مسحة الورع والتّقوى والتعبّد، من مراسلات وخطب وتشوّقات وابتهالات، والقليل منه جاء في المراثي والمديح والفخر. وكلّه مطبوع بالطابع القديم ومذهب الأوائل بعيد عن التكلّف وتزويق الألفاظ. واضح التعبير جزل التركيب بسيط المعاني قليل التفنّن والابتكار شأن الأساليب البدويّة الخشنة لقلّة الصلّة بين أدباء القيروان وأدباء بغداد ولتشبّث أهل إفريقية بالمحافظة على التقاليد القديمة ونزعة العرب الخُلّص، فراراً

(1) انظر تراجم هؤلاء الفقهاء في «كتاب العمر» للمرحوم ح.ح. عبد الوهّاب، المجلّد الأول، الفصل السادس، الفقه المالكي، ص 577.

بعروبتهم الصميمة من أوضاع الموالي ومكايِد الشعوبيّة.

[20] / وكان أبو القاسم الفزاري بعد أن تلقّن من أبيه اللّغة وتمكّن من ناصيتها ومن ملكة الشعر وكانت غريزيّة في بيته فتمهّر فيها، قد تغذّى بألبان تلك الثقافة العامّة التي امتازت بها القيروان في تلكم الأوان وكرع من منهل علماء أجلّاء كالحسن الداروني(1) وأبي إسحاق السّبائي(2) وأبي الفضل الممّسي(3). فكان أسلوبه أسلوب الأدباء المحافظين ومشربه ينزع إلى الإشادة بالسنّة المطهّرة وعلوّ شأن الدين الحنيف.

ولكن قريحته لم تتفتّق ولم يتّسع مجالها وارية الزّناد إلا عندما وقعت صدمة كتامة الهائلة بدخول أبي عبدالله الشيعي في المعركة الحاسمة التي زلزلت أركان الدولة الأغلبيّة وأقامت مكانها دولة بني عُبَيْد.

7 ـ الدّولة الأغلبيّة: من العظمة إلى الانحلال:

شاهد أبو القاسم هذه الحوادث وعاين كيف كانت عاقبة أمراء بني الأغلب، هؤلاء البُنَاة العظام الذين شيّدوا ملكاً رحباً عتيداً تهيمنوا بالحكم فيه على مصير إفريقيا الشمالية في أخطر عهد من تطوّراتها وثبّتوا

---

(1) هو أبو عبدالله الحسن بن محمد التميمي الداروني من كبار علماء اللغة العربية بالقيروان، توفي سنة 343 هـ/ 954 م. انظر: رياض النفوس، 2/295، الهامش 38.

(2) هو أبو إسحاق إبراهيم السبائي المتعبّد المتوفّى سنة 356 هـ/ 966 م، المصدر السابق، 2/469 ـ 506.

(3) هو أبو الفضل عباس بن عيسى الممّسي، اشتهر من بين العلماء القائلين بتكفير بني عُبَيْد وخرج مع أبي يزيد الخارجي لقتال الفاطميّين مع جماعة من أصحابه سنة 333 هـ/ 945 م، انظر: رياض النفوس، 2/292 ـ 305 ومعالم الإيمان، 3/31 ـ 35.

في تلكم الأصقاع النائية عن مركز الخلافة والمحفوفة بالمطامع والأخطار قدم اللغة العربية والديانة الإسلامية والحضارة العربية الإسلامية وصيّروا القيروان وقد ضاقت بما رحبت بعلمائها وحكمائها وأدبائها وقوّادها مبعث نور أضاء سناه ظلمات المغرب وشواطىء البحر الأبيض المتوسط ومركزاً من أعظم المراكز العالمية لنشر الثقافة والمدنية والعمران.

كانت سياسة بني الأغلب ترمي إلى السيطرة على مملكة بربريّة واسعة النطاق قد اكتنفتها قديماً حضارات متعدّدة أودعت فيها نفسيّة ميّالة للدّعة والسّكون جانحة إلى التدّين العميق راسخة العزم في الاعتقاد والتقوى لتوحيد شؤونها الداخلية وتقوية ساعدها في جهتَيْ الثروة والعدّة الحربيّة للتوثّب على من جاورها من القبائل البربرية الغربية وكسر شوكتها وإدخالها تحت طاعتها ثم التريّث للتطاول على الشرق وإلحاق/ [21] أرض الكنانة بإفريقيا الشمالية وتحقيق أمنية الأسرة ببسط سلطانها على جميع هذه الأصقاع بما يضمن لها العظمة والبقاء.

لكن بنو الأغلب لم يوفّقوا لذلك ولم يتمكّنوا من توحيد شؤون الدولة الداخلية فضلاً عن الترّامي على النواحي الخارجية إلا بعد جهاد عنيف استغرق ثلثَيْ قرن في كنف مشاغبات ومناوشات القبائل البربريّة ثم تطهير داخل المملكة من نزعات الجنود العربيّة الثوريّة بمقاومتها بالسّلاح ثم إزاحتها إلى صقلية حيث الجهاد والمثوبة. وما استتبّ لهم الأمر داخليّاً حتى أدركوا مواطن الوهن التي صارت عليه مملكتهم حيث لم يبق لهم أمل في تركيز نفوذهم على الجند العربي ولا على القبائل البربريّة. وربّما كان منعهم ذلك من الدّفاع عن حوزتهم في المستقبل القريب واكتفوا بالاحتفاظ على حدود مملكتهم الفتيّة بإقامة الرّباطات في وجه الأمم الغربيّة للتوقّي من طغيانها وتحويل شطر وجوههم إلى البحر والنواحي الإفرنجيّة فصارت دولة بني الأغلب بحكم الضرورة دولة بحريّة.

وازدهر أمرها تحت جناح السّلم العربي ثروةً وحضارةً وعمراناً، وداخلها البذخ والترف فأدركت سريعاً دور الشيخوخة والهرم على السنّة التي أقامها ابن خلدون للدّول الإفريقية وتدهور شأنها لا سيما وقد تعدّدت هفوات ملوكها الأخيرين لأنهم أقبلوا على لذّات العيش واللّهو المشين وحادوا عن سبيل الجدّ والحزم وبالغوا في القصف والفسق وإهدار دماء الأبرياء واتّخذوا قصوراً بعيدة عن المراكز الأهليّة[1]. فاستوطنوها وتحصّنوا بها وراء عسّة زنجيّة لا بربريّة ولا عربيّة. كما أثقلوا كاهل الأمّة بالضرائب والأتاوات غير الشرعية فتباعد بها الراعي عن الرعيّة وزهد القوم في شؤون أمرائهم حتى تعاظم السخط على تلك السياسة المعوجّة الخرقاء وأفضى الأمر إلى الانحلال. وممّا زاد الطين بلّة والحالة تحرّجاً أن صار القطر خلواً من حماية الجنود العربية بعد تجرّده منها لغزو صقلية وإبادة البقيّة الباقية منها في وقعة بلّزمة[2] المشؤومة التي تُعَدّ من أشنع/ [22] ما اقترفه إبراهيم الثاني على جلالة قدره وعظيم صنعه فهيّأ بها خراب المملكة وزوال الدولة، في حين امتدّت إليها اليد العادية وأخذت قوى أبي عبدالله الشيعي تخرم الصرح الأغلبي بالصدمات المتوالية بعد أن تسرّبت فيه الدعوة الشيعية وفعلت مفعولها

---

(1) لم يكن مقام الأمراء الأغالبة بالقيروان عاصمة إفريقية الكبرى، وإنما كان في العبّاسيّة منذ ولاية إبراهيم بن الأغلب سنة 184 هـ/ 800 م، ثم أقاموا بعدها في رقّادة منذ أن انتقل إليها إبراهيم الثاني سنة 264 هـ/ 878 م وسكن في القصر المعروف بالفتح.

(2) في سنة 280 هـ/ 893 م استدعى إبراهيم الثاني حوالي ألف رجل من جند بلّزمة العرب، ثم بعث إليهم بجند وقتلهم عن آخرهم. وقد كان ذلك من الأسباب التي آلت إلى انقراض الدولة الأغلبية. ذلك أن جند بلّزمة كانوا من أبناء العرب يحمون إفريقية من غارات البربر الكتاميّين الذين دخلوا في الدعوة الفاطميّة. فلما أُبيدوا أصبحت الطريق المفضية إلى إفريقية مفتوحة في وجه الفاطميين. انظر: افتتاح الدعوة، للقاضي النعمان، الفقرة 64 وما بعدها.

بمصانعة رجال الدولة واستهواء قلوب العامّة تفكيكاً لعُرى المقاومة وتسهيلاً لأسباب الفتح. وحينئذ كان زيادة الله الثالث الذي دسّ لأبيه ففتك به واغتصب الملك منه [290 هـ/ 903 م]منغمساً في لهوه وطربه قليل الاهتمام بتلافي الخطر المحدق به يعزم مرّة ويفتر أخرى وهو يوجس الخيفة ويخشى الخديعة ويرى أعلام الرّيبة في رجال جنده وحاشيته. وبقي الأمر بين كرّ وفرّ حتى كانت وقعة الأربس [296 هـ/ 909 م] وانتصار الدّاعي أبي عبدالله على رأس كتامة، فهروب زيادة الله بماله وحرمه من رقّادة وتدرّجه إلى منفاه بالمشرق وقد شَنَأَتْهُ وأثقلته الأوزار، فدخول الشيعي إلى القيروان وتأسيس الدّولة العُبَيْدية.

8 ـ قيام الدولة الفاطميّة بالمغرب[1]:

شاهد أبو القاسم الفزاري هذه الحوادث الانقلابية والاضطرابات الخطيرة التي سبقتها وعقبتها وكان قد أحرز في وقته قصبات السبق وبرز على أكثر الخَلْق في زمرة من كان بالقيروان على حذر من المشارقة، كما كانوا يسمّون أهل الشّيعة، بل من قوم المعارضة والمقاومة، وهم أهل العلم والدين الذين بدأت السياسة الجديدة بالتلطّف إليهم واستمالتهم إليها لأنهم كانوا لسان الفكر العامّ ومرشديه وقادته. فقد دخل أبو عبدالله الشيعي رقّادة يوم السّبت مستهلّ رجب سنة ستٍّ وتسعين ومائتين [26 مارس 909] وبين يديه رجل يقرأ ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الحَشْرِ﴾[2] و ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ

---

(1) لا شكّ أن صاحب الدراسة لم يطّلع على المصادر الإسماعيلية التي لم تكن معروفة في عصره، لا سيما مؤلّفات القاضي النعمان. فلم يعتمد حينئذ إلاّ على المصادر السنيّة المناوئة للفاطميّين، وبالخصوص رياض النفوس للمالكي.

(2) سورة الحشر، الآية 2.

وَعُيُونٍ﴾[1]. فلمّا كان يوم الجمعة أَمر الخطباء فخطبوا ولم يذكروا أحداً وأمر بضرب السكّة وأن لا يُنْقَش عليها اسم وجعل في الوجه الواحد ﴿بَلَغَتْ حُجَّةُ اللَّهِ﴾ وفي الآخر ﴿تَفرَّقَ أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ قاصداً بذلك مُدَارَاة النّاس وإظهار التّسامح في حين أنه أبدى القساوة كلّها/ [22 م] نحو من كان على وفائه للدولة الأغلبيّة وهم الحرس السّود فأبادهم على بكرة أبيهم.

وما عتّم أبو عبدالله من إنقاذ سيّده ومولاه عُبَيْد الله المهدي من سجلماسة حيث اعتقله صاحبها اليسع بن مدرار في السجن بإذن من الخليفة العبّاسي وإتمام البيعة له بالقيروان [297 هـ/ 910 م]، حتى دعا أهلها إلى التديّن بإمامته وأخذت تظهر بوادر الدولة الجديدة وترتسم خطوط سياستها في قوّة وقساوة، ذلك أن العُبَيْديّين كانوا يرون خلافتهم خلافة مذهبية إماميّة تنحصر في أبناء عليّ رضي الله عنه، حيث تنقّلت الإمامة من آدم إلى عبد المطلّب جدّ النبيّ ﷺ وجدّ عليّ رضي الله عنه ومن عبد المطّلب انقسم النور قسمين أحدهما انتقل إلى عبدالله والد النبيّ ﷺ والآخر إلى أبي طالب والد عليّ كرّم الله وجهه ومن عليّ إلى ذريّته. وكان العُبَيْديّون يرون أن النفوذ السياسي لا بدّ أن يرتكز على دعائم العقيدة الدينيّة حسبما تقتضيه تعاليم الشيعة الإسماعيلية ومحورها الإمام المعصوم، وهو الذي يُعَيَّن على زعمهم تعييناً لاتّصاله بذلك النّور المستمدّ من آدم المخوّل له حقّ الإمامة والمُودَع فيه قوى روحانية تُجاوز حدود القدرة البشريّة فتُبَرِّئه من بواعث الشرّ وتُحَلّيه بالفضائل الإلّهية فتعصمه من كلّ خطيئة وتؤهّله لتطهير الدّين الذي عبثت به أيدي الخلفاء من أمويّين وعبّاسيّين فاستغلّوه لمنافعهم فانطمست أركانه وانهدمت أعلامه، حتى يرجع إلى أصله القويم ويتجلّى في مظهره الحقيقيّ السّليم. وبهذه الصّورة تسطع بهرة الخليفة العُبَيْديّ بما تحلّى به من النّور

---

(1) سورة الدخان، الآية 25.

الربّاني والرسالة التي يحملها على أفكار الجماهير فيمتاز امتيازاً كليًّا على كافّة خصومه فيستوسق ميول الناس وأهواءهم لتثبيت قدمه وتأييد دولته. فقد قالوا حينئذ بالحلول واستغلّوا فكرة ظهور المهدي بمقدرة ومهارة، معتبرين أنّ توطيد المُلْك لا يمكن تحقيقه إلّا بتوحيد اتّجاه تفكير الأمّة. وهذه الوحدة التي كانوا يرجون من ورائها جمع كلمة القوم وإيجاد القوّة الكافية لإقامة مملكة شامخة الذّات عظيمة طموحة وثّابة مناجزة الدّولة العبّاسيّة ببغداد والأمويّة بقرطبة خصيمتَيْهم السياسيّة/ والمذهبيّة الغاصبتَيْن [22 ـ 3] في زعمهم للإمامة والخلافة وتحطيم كيانهما وانتزاع زعامة الإسلام منهما، تكون بنشر العقيدة الشيعيّة الإسماعيليّة وتعميمها، حتى إذا تمّ لهم الأمر ببسط سلطانهم على كامل العالم الإسلامي يسعون في الاستيلاء على كافّة المعمورة، لأنّ العامل الذي كان يحرّك العُبَيْديّين لا شيء يشبهه بما كان يدفع الأمويّين أو العبّاسيّين إلى الملك. فإذا كان باعث الأمويّين الطّمع الشخصي أو العائلي، كيّفوه بطابع العصبيّة والشعور الديني، وكانت براعة العباسيّين في استغلال الشعور الملّي الإيراني[1] والمطالبة الشيعية مع ما كان من المضادّة الدينيّة والمذهبيّة لبني أميّة، فإن العبيديّين استحوذوا على الحركة القرمطية الإسماعيلية واستغلّوا دعايتها واثقين بأنهم وَرَثَة عليّ رضي الله عنه وعقبه الشرعيّون في إمامة المسلمين وخلافتهم دون سواهم، المخصّصون بأمر الله لبسط نفوذهم المادّي والمعنويّ على العالم بأسره، إذ لا بدّ له من إمام يسيّره في كل وقت من أوقات تطوّراته [وافر]:

لكَ الدُّنْيَا ونَسْلُكَ حَيْثُ كُنْتُمْ فَكُلُّكُمُ لَهَا أبداً إمَامٌ

وهذا الاعتقاد الذي كان أقوى من عوامل الطمع وبواعث

---

(1) المصادر العربية القديمة لا تذكر نسبة الإيراني، إنما تقول: الفارسي لا غير.

الاستيلاء، بل أشدّ قوّة من النّزعة الجنسيّة القوميّة أو الوازع الديني نفسه، هو الذي دفعهم إلى مناوأة ومحاربة الممالك القائمة الذات كفرض حتميّ لإتمام الرّسالة المنوطة بعهدتهم وأدّاهم إلى نشر دعايتهم وتعميمها. وقد جدّوا في هذا السبيل وبالغوا في الدعاية، فجاؤوا بإلغاء صلاة الضّحى والزكاة[1]، وبقطع صلاة التراويح في شهر رمضان وبصيام يومين قبل دخول شهر الصّوم[2]، وبالقنوت في صلاة الجمعة قبل الركوع وبوجوب البسملة في الصلاة[3] وبالإسقاط من أذان صلاة الصبح «الصلاة خير من النوم» وبزيادة «حيّ على خير العمل»[4] ثم بالتّبرُّؤِ من الصحابة وباتّهامهم بالارتداد، وبتقديس الإمام علي كرّم الله وجهه وأبنائه إلى درجة التأليه.

9 ـ المصادمة بين أهل السنّة والشيعة:

قال المالكي: «كان عروس المؤذن الرجل الصالح يؤذن بمسجد أبي عيّاش/ الفقيه صاحب سحنون فشهد عليه بعض المشارقة [الشيعة] أنه لم يقل في وقت أذانه «حيّ على خير العمل»، فقُطِع لسانه وقُتِل بالرمح بعد أن طيف به في القيروان ولسانه بين عينيه»[5]. [23]

---

(1) لم يعطّل الشيعة فريضة الزكاة إنما كانوا يرون وجوب أدائها للأئمة الفاطميين باعتبارهم خلفاء الرسول ﷺ الشرعيّين واعتماداً على آية الغنائم (الأنفال، 41).

(2) كان الإسماعيليون يعتمدون الحساب لتحديد أوّل وآخر يوم من شهر رمضان، خلافاً للمالكية الذين كانوا يقولون بوجوب تحديد بداية الأشهر القمريّة برؤية الهلال.

(3) يعتبر الشيعة الجهر بالبسملة في الصلاة من بين الشعائر الدينية الأساسية، انظر: القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 1/193.

(4) يولي الشيعة أهمية بالغة إلى الحيعلة (حيّ على خير العمل) ويعتبرونها من السّنن الأصليّة التي ألغاها عمر بن الخطّاب.

(5) في الأصل «مسجد عبّاس» (اعتماداً على رواية رياض النفوس، 2/152) والتصويب من البيان المغرب لابن عذاري، 1/182 ـ 183.

وكذلك فُعِل بأبي جعفر بن خيرون الأندلسي القرطبي فأخذه السّودان وقفزوا عليه حتى مات بالقوّة في حفر لجهاده في الديّن وبغضه لعُبَيْد الله[1].

فأثّر هذا الهجوم القويّ العنيف، وكان مدبّره ومسيّره القاضي المروزي، تأثيراً سيّئاً في الوسط القيرواني السنّي التقيّ الورع وأتى بنقيض المرمى المقصود من تلك الرعاية بالفتّ في عضد الوئام المنشود وبإثارة سخط جمهور النّاس وفي طالعتهم العلماء والفقهاء.

وزادت المصادمة شدّةً لمّا قام دُعَاة الشيعة بالفتك بمن كان يصدع بالقول لبيـان نظر السنّة إزاء ادّعاء التشيّع حتى لا يغترّ المغترّ بدعايتهم، لأنّ تلك المناقضة في نظرهم من شأنها تحطيم العقيدة الدينيّة الشيعيّة وبالتّالي تهديم نفوذ الدولة السياسي، فكان التمثيل بابن البرذون وابن هذيل وأمثالهما.

قال المالكي: «أرسل عبيد الله إلى القيروان من أتاه بابن البرذون وابن هذيل[2] وكانا فقيهَيْن فاضلَيْن فلمّا وصلا إليه وجداه على سرير ملكه جالساً وعن يمينه أبو عبدالله الشيعي وعن يساره أبو العبّاس أخوه. فلمّا وقفا بين يديه قال لهما أبو عبدالله وأبو العبّاس: أشهدا أنّ هذا رسول الله! وأشارا إلى عُبَيْد الله، فقالا جميعاً بلفظ واحد: والله الذي لا إلَه إلاّ هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان إنه رسول الله ما قلنا إنه رسول الله. فأمر عُبَيْد الله حينئذ بذبحهما وبربطهما إلى أذناب البغال»[3].

---

(1) رياض النفوس، 2/52 ـ 56.

(2) هما أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الضبّي المعروف بابن البرذون وأبو بكر بن هذيل، نفس المصدر، 2/47 ـ 51.

(3) المصدر المذكور، 2/94، الهامش 28: إن هذا الخبر مخالف لما أجمعت =

وزاد الدُّعاة نشاطاً وإقداماً بفتح مجالس عامّة للمناظرة يتناولون الحديث لتفضيل علي رضي الله عنه على أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم والطّعن في الشيخَيْن واختصاص علي رضي الله عنه بالإمامة دون/ [24] سواه، قاصدين بذلك إقناع العلماء بصحّة العقيدة الشيعية وأدلّتها المنطقيّة المنظمة أو جبرهم بطريق الإرهاب على اتّخاذ موقف حائد فيقعدوا عن إنارة أفكار النّاس ويظنّ اللّفيف عندئذ أنّه تمّ إقناعهم أو فرغت يدهم من الحجّة لدفع أدلّة التشيّع فيسهل حمل النّاس على الدّخول في المذهب الشّيعي أفواجاً.

وفشلت مساعيهم لِمَا وجدوه من المقاومة الجديّة من الوسط القيرواني المتمدّن المثقّف المتديّن، خلافاً لما أنسوه من بربر كتامة، حيث صدفوا فيها قلوباً ساذجة خالية تمكّنت فيها تعاليمهم ومعتقداتهم، وَلِمَا واجههم من المعارضة التامّة من العلماء، كما قام به أبو عثمان سعيد بن محمّد بن الحدّاد في جداله مع أبي العبّاس وأمثاله ودفع ادّعائهم بالبراهين العقلية الثابتة والحجّة الدامغة لأهل الحقّ مع إقامة الدليل على أنهم ينكرون الصفات الإلّهية وأنهم يمتّون بصلة إلى الإلحاد والكفر، فكان الاضطهاد والإرهاب لكلّ من خالف سياسة التشريق[1].

وإزاء المصادرة العنيفة والقوّة الغاشمة آثر الكثير من الناس احتفاظاً على حياتهم ومعتقداتهم هجرَ المساجد أو النزوح إلى قرى السّاحل أو قصور الرباط وأحياناً الهجرة إلى صقليّة أو الالتحاق بالأندلس كأبي القاسم ابن أخت الغسّاني[2]، أو بمصر كأبي عبدالله محمد بن نظيف

= عليه مختلف المصادر من أن قتل ابن البرذون وابن هذيل قد تمّ قبل وصول المهدي إلى رقّادة.

(1) انظر رياض النفوس، 2/57 ـ 115.

(2) هو أبو القاسم ابن أخت الغسّاني المقرىء. ذكر المالكي أنه كان مقرئاً مشهوراً =

البزّاز[1].

وقاوم العلماء والفقهاء تيّار الدّعاية الشيعيّة كما فعل جبلة[2] الذي ترك عند دخول عُبَيْد الله رقّادة قصر الطّوب الذي كان يسكنه وأتى إلى القيروان قائلاً لمن سأله عن ذلك: «كنّا نحترس عدوّاً بيننا وبينه البحر فتركناه وأقبلنا نحترس الذي يدخل لساحتنا ولأنه أشدّ علينا من الروم».

فتحمّس لذلك عُبَيْد الله وضيّق على التعليم المالكي حتى كاد أن يبيده لأنه كان يخشى من الاجتماع حول المشايخ تقوية المقاومة للدعاية الشيعية وتجرّأ بأن أنفذ إلى سعدون من قيّده من رجليه وجمع ما في بيته من الكتب ثم أتى به ولولا شفاعة أمّ القائم ابن عبيد الله فيه لما عدل عن الفتك به، وقدبلغه/ أنه كان يتأهّب للخروج عليه[3]. [25]

وبلغ الذُّعر بقوم المتعبّدين الصالحين والعلماء لمّا بدأت مطاردتهم واستحكم أمرها حتى إنهم كانوا يستترون بالبادية أو المقابر كما كان يفعل يونس الورداني[4] وأبو عبدالله محمد بن أبي الفتح المؤدب

= ذا صوت حسن. وقد سُجِن بسبب معاداته للدعوة الشيعية ثم استدعاه المستنصر فتحوّل إلى الأندلس وعاش في بلاط قرطبة إلى أن وافته المنيّة بين سنتي 350 و 360 هـ/ 961 ـ 970 م، رياض النفوس، 2/172، الهامش 80.

(1) هو أبو عبدالله محمد بن نظيف (في الأصل ابن لطيف) البزّاز الفقيه المتوفى سنة 355 هـ/ 965 م في مصر.

(2) هو جبلة بن حمود الصدفي المتعبّد، كان يقيم في قصر الطوب، وهو أحد الرباطات المشهورة بالساحل التونسي، نفس المصدر، 2/15.

(3) هو أبو عثمان سعدون بن أحمد الخولاني المتعبّد بالمنستير، توفّي سنة 324 هـ/ 935 م، نفس المصدر، 2/259.

(4) هو أبو محمد يونس بن محمد الورداني المتعبّد، المتوفّى سنة 299 هـ/ 911 م، نفس المصدر، 2/45 ـ 46.

المرجي[1] للخوف من بني عُبَيْد والوجل منهم لأنهم منعوا بثّ العلم وسجنوا أهله في ديارهم وأرادوا قتل الحركة الفكرية بقطع رواج التأليف بين أيدي الناس.

قال الشيخ أبو الحسن القابسي: «ترك أبو محمد عبدالله بن أبي هاشم مسرور التجيبي كتباً عديدة كلّها بخطّ يده، فلما توفّي رُفع جميعها إلى سلطان الوقت فأخذها ورفعها في القصر ومنع النّاس من مطالعتها والاستفادة منها كيداً للإسلام وبغضاً فيه»[2].

وكان من أمر القاضي المروزي أن أخذ أموال الأحباس [الأوقاف] والحصون وترك الناس يصلّون القيام [التراويح] سنة واحدة، ثم منعهم وأمر الفقهاء أن لا يفتوا ولا يكتبوا وثيقة فكان أبو بكر محمد بن اللبّاد[3] لم يُفْتِ ولم يجمع حوله تلامذته لتلقينهم الفقه إلى مماته. وضرب القاضي النفطي[4] بالسّوط أبا عبدالله محمد بن عبّاس الوليد لأنه كان يفتي على مذهب مالك ويتهجّم على عُبْيد الله ولم يعترف بإمامته.

وكان المهدي يريد أن يعيّن من تلقاء نفسه يوم الفطر دون اعتبار رؤية الهلال. فامتنع محمد بن الحبلي[5] قاضي برقة من اتخاذ هذا السّلوك خشية أن يتقلّد ذنوب الخلق ومن الدخول في دعوة التشيّع فعُلِّق

---

(1) هـو أبو عبدالله محمد بن أبي الفتح المؤدّب المرجي المتوفّى سنة 334 هـ/ 945 م، نفس المصدر، 2/313 ـ 317.

(2) يتعلق الأمر بأبي محمد عبدالله بن أبي هاشم مسرور التجيبي الفقيه المتوفّى سنة 346 هـ/ 957 م، رياض النفوس، 2/422 ـ 424.

(3) في الأصل «اللبّان»، وهو أبو بكر محمد بن محمد بن وشّاح المعروف بابن اللبّاد، الفقيه المتوفّى سنة 333 هـ/ 944 م، نفس المصدر، 2/283 ـ 292.

(4) يتعلق الأمر بقاضي القيروان محمد بن عمران النفطي.

(5) في الأصل «الجبالي» والتصحيح من الرياض، 2/404. وقد صُلِبَ ابن الحبلي سنة 341 هـ/ 952 م.

من يده في الشّمس حتى مات ثم صُلِب على خشبة عند باب الجامع الذي يلي درب المهدي.

وكان دعاة الشيعة يزعمون أنهم رُسُل. قال المالكي: «وعُوتِبَ (أبو الربيع القطّان)[1] في خروجه مع أبي يزيد إلى حرب بني عُبَيْد فقال: وكيف لا أخرج وقد سمعت الكفر بأذني؟ فمن ذلك أني حضرت يوماً إشهاداً وكان فيه جمع كثير من أهل السنّة ومشارقة [شيعة] وكان بالقرب مني أبو قضاعة الداعي فأتى/ رجل مشرقي [شيعي] من أعظم المشارقة، [26] فقام إليه رجل من المشارقة وقال له: إلى هاهنا يا سيدي أرتفع إلى جناب رسول الله يعني أبا قضاعة ويشير بيده إليه، فكيف لا يسعني القيام عليهم؟»[2].

ويذكر الدعاة كرامات المهدي، وأنه يُحيي الموتى ويردّ الشمس ويملك الأرض بأسرها. وأنّه الله ذو المعالي، كما قال فيه محمد البديل كاتب أبي قضاعة الدّاعي:

حلّ برقّادة المسيح — حلّ بها آدم ونوح
حلّ بها أحمد المصفّى — حلّ بها الكبش والذبيح
حلّ بها الله ذو المعالي — وكلّ شيء سواه ريح[3]

فبهذا وذاك بلغ السيل الزُّبَى والدِّماءُ الثُّنَن. وأصلح الإرهاق في الاضطهاد ذات البين بين أضداد الأمس، وأصبح العراقيّون [الأحناف] والمدنيّون [المالكية] يداً واحدة على مقاومة التشيّع[4] والقيام على

---

(1) هو أبو سليمان ربيع بن عطاء الله القرشي النوفلي المعروف بالقطّان، استشهد سنة 334/ 945 م في قتال بني عُبَيْد، رياض النفوس، 2/323 ـ 346.

(2) نفس المصدر، 2/338.

(3) البيان، 1/160.

(4) أشارت المصادر إلى انضمام عدد كبير من أتباع المذهب الحنفي إلى بني عُبَيْد =

أصحابه مع الترحيب بأبي يزيد الخارجي واستقباله كمنقذهم ومحرّرهم من قبضة وطُغيان بني عُبَيْد. وظهرت للعيان جُرأة الدعاية الشيعيّة بما فرضته فرضاً حتمياً على اعتقاد النّاس أنّ الفكر البشري لا يمكنه بحال أن يتوصّل أو يدرك الحقيقة المطلقة حيث اختصّ بفهمها وانفرد بتأويلها الإمام المعصوم الذي يريد أن يختصّ بصفات فوق البشرية وينزع إلى التحلّي بصفات الربوبية الإلّهية وبذلك صار لزاماً الخروج عليهم والإصداع بالجهاد في سبيل الله لوقاية الدّين الإسلامي وتأييده.

ولا يخفى على ذي بصيرة أن مطاردة أهل العلم وتحريم بثّ تعاليم السنّة المطهّرة ومنع رواج الكتب بل افتكاكها وفصلها عن مريديها والسيطرة على الفكر العام ومناهجه بمحاولة تغيير ماهيته وأساليب تفكيره ثم تحطيم المثل الأعلى لهذا الوسط المُغْرِق في التديّن وتهديم معتقده بطريق العنف والإرهاب، كلّ ذلك جاء بتعطيل الحركة العلمية العظيمة التي كانت ازدهرت بها عاصمة الأغالبة بل بتشتيتها وقتلها. وفعلاً تغيّرت مناهج التفكير في القيروان ولكن لا كما كان يريده/ بنو عُبَيد. [27] فإن التّصادم في الآراء والتقاليد أدّى إلى انقسام الأمّة إلى حزبَيْن متضادَّيْن: حزب أنصار الشيعة وله حريّة القول وحزب المقاومة وقد سُلِبت منه تلك الميزة. فاصطبغت الحركة الفكرية بصبغة الأدب الشيعي الإسماعيلي في معظمها لأن الفقهاء والأئمة كانوا من الشيعة الإسماعيلية والعلوم في العهد الفاطمي كانت مذهبيّة حكميّة تتناول الفلسفة والعلوم الحسابيّة وخصوصاً علم التنجيم، إذ كان بنو عُبَيْد يدّعون معرفة الغيب ويمعنون في التطلّع على مداركه. والشعر الفاطمي كان سياسيّاً جدليّاً إلاّ ما شذّ منه يتناول إن كان من نفحات المقاومين التعنيف على بني عُبَيْد وثلبهم

= إثر قيام الدولة الفاطميّة في إفريقية. ومع ذلك فقد أكّد المالكي أن «جماعة من العراقيّين» قد خرجوا مع أبي يزيد، رياض النفوس، 2/339.

والطعن في أنسابهم والتشويه بأعمالهم، أو تحبيذ صنيعهم والإشادة برفعة عترتهم والردّ على من تعصّب عليهم إن كان مصدره من المتشيّعين لهم شأن ما يقع في مثل هذه الظروف المضطربة والمتصادمة الآراء في مقالات آداب الأحزاب المتضادّة بالصّحف السياسيّة اليوم.

10 ـ المقاومة السنيّة في عهد المهدي:

كان أبو القاسم الفزاري بطبيعة أمره وثقافته وعاطفته وميله لرجال العلم والدّين وملازمته لهم في طالعة المقاومين لبني عُبَيْد، فصبّ عليهم من مُحْصِدات أشعاره ما أجّج به الحماس وهيّأ به الانتقاض عليهم. يقول في بعضها [كامل]:

عَبَدُوا مُلُوكَهُمُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ ... نَالُوا بِهِمْ سَبَبَ النّجاةِ عُمُومَا
وتَمَكَّنَ الشَّيْطَانُ مِن خَطَوَاتِهِمْ ... فَأَرَاهُمُ عِوَجَ الضَّلالِ قَوِيمَا
رَغِبوا عن الصِّدِّيقِ والفَارُوقِ فِي ... أَحْكَامِهِمْ لاَ سُلِّمُوا تَسْلِيمَا
واسْتَبْدَلُوا بِهِمَا ابْنَ أَسْوَدَ نَابِحاً ... وأَبَا دَاوُدٍ واللَّعِينَ تَمِيمَا[1]
5 ـ تَبِعُوا كِلابَ جَهَنَّمٍ وَتَأَخَّرُوا ... عَمَّنْ أَصَارَهُمُ الإِلَهُ نُجُومَا
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ هُمُ إنْ حَصَّلوا ... دُنْيا وَمَنْ هُمُ إنْ عَدَدْتَ صَمِيمَا؟
أمِنَ اليَهُودِ أمِ النَّصَارَى أَمْ هُمُ ... دَهْرِيَّةٌ جَعَلُوا الحَدِيثَ قَدِيمَا؟
أَمْ عُصْبَةٌ وَثَنِيَّةٌ قَدْ عَظَّمُوا ... النُّورَيْن عَنْ ظُلُمَاتِهِمْ تَعْظِيمَا؟[2]

---

(1) في رياض النفوس (494/2): «وأبا قدارة»، وقرأها اليعلاوي «وأبا عمارة»، الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص 219.

(2) في المرجعَيْن المذكورين أعلاه: «أم عصبة ثَنَوِيَّة»، وفيهما بيتان زائدان بين السابع والثامن:

أم هم من الصابين أم من عصبة ... عبدوا النجوم وأكثروا التنجيما
أم هم زنادقة معطّلة رأوا ... أن لا عذاب غداً ولا تنعيما

مِـنْ كُـلِّ مَـذْهَـبِ فِـرْقَـةٍ مَعْلُـومَـةٍ أَخَـذُوا بِفَـرْعٍ وَادَّعَـوْهُ أُرُومَـا
[28] 10 ـ / سُبْحَانَ مَنْ أَبْلَى العِبَادَ بِكُفْرِهِمْ وبِشِرْكِهِمْ حِقَباً وَكَانَ رَحِيمَا
يَـا رَبِّ فَالْعَنْهُـمْ وَلَقِّ لَعِينَهُـم بِأَبـي يَزِيـدَ مِنْ العَذَابِ أَلِيمَا

وكما قال بعض معاصريه في هَجْوِ المهدي وشيعته [بسيط]:

المَـاكِـرُ الغَـادِرُ الغَـاوِي لِشِيعَتِـهِ شَـرِّ الـزَّنَـادِيـقِ مِـنْ صَحْـبٍ وتُبّـاعِ
النَّـاكِثِيـنَ عُهُـودَ اللَّـهِ كُلُّهُـمُ قَوْمٌ إلى سفَهٍ في النَّاس أَوْضَاعِ[1]
العَـاكِفِيـنَ عَلـى عِجْـلٍ يُخَـاطِبُهُـمْ بِسِحْـرِ هَـارُوتَ مِـنْ كُفْـرٍ وإِبْـدَاعِ
لَـوْ قِيـلَ لِلـرُّومِ أَنتُـم مثْلُهُـمْ لَبَكَـوْا أَوْ لِلْيَهُـودِ لَسَـدُّوا صُمْـخَ أَسْمَـاعِ
5 ـ وَلَـوْ عَـزَوْنَـا إِلـى إِبْلِيـسَ مَـا مَكَـرُوا لَقَالَ إِبْلِيسُ مَا هَذَا مِنَ أَطْبَاعِي

هكذا كانت قلوب أهل القيروان تتوقّد غيظاً على ما داهم به عُبَيْد الله من البدع وزاد حفيظتهم غلياناً ثِقَلُ وَطْأَةِ الضّرائب القاسية التي فرضتها عليهم الدولة الجديدة لإقامة جيش عظيم وأسطول عتيد للوثوب على خصيمتَيْها بغداد وقرطبة وانتزاع الخلافة منهما. وأدرك المهدي أن نفوذه الأدبي أصبح يتضاءل أمام الشعب وقادته الذين ظلّوا يعلنون جهاراً كرههم لحكمه وبالخصوص لما نالهم من قساوة رجال كتامة الغلاظ الشداد، فكان على حذر من وفاء البعض من جنده وانقطاعه له، كما كان على يقين من مناواة أهل القيروان له واستعدادهم لشقّ عصا الطاعة في وجهه متى وجدوا لذلك سبيلاً. وأحسّ بلزوم اتخاذ قرار مكين يلجأ إليه عند الفزع حين يستحكم الخطر؛ فبادر بإتمام بناء المهديّة في شبه جزيرة جمّة ما بين سوسة وصفاقس[2] «واختطّها بطالع الأسد لأنه برج ثابت

(1) في المخطوط: وقوم من سُفهاء الناس، فالشَطر غير موزون، والإصلاح من رياض النفوس، 2/346.
(2) انتقل عبيد الله المهدي إلى سكنى المهدية سنة 308 هـ/ 921 م.

ولأنه بيت الشمس الذي هو دليل الملوك». وعندما ارتفع سورها وفرغ المهدي من جهازها أمر رَامياً بالقوس برمي سهمٍ إلى ناحية المغرب، فرمى بسهم فانتهى إلى موضع المصلّى، فقال: «إلى موضع هذا يصل صاحب الحمار»، يعني أبا يزيد الخارجي، وقال: «هذه بَنَيْتُها لتعتصم بها الفواطمُ ساعةً من نهار»[1]، فكان تكهّناً لما سيقع. واستوطنها وقد ملك إفريقية كلّها والمغرب بأسره وطرابلس وجربة وصقلية، ثم توفّي يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الأوّل سنة 322 [3 مارس 934].

11 ـ الخليفة الفاطمي الثاني القائم بأمر الله:

أ ـ مقارنة بين المهدي والقائم:

لمّا توفّي عُبَيْد الله المهدي خلفه ابنه محمّد الملقّب بالقائم/ بأمر الله [29] وكنيته أبو القاسم، فكتم موت أبيه شهراً وقيل عاماً حتّى نفّذ جيشاً لبرقة ليشغل الشرق وجيشاً إلى تاهرت ليشغل المغرب. قال ابن حمّاد: «كان أبو القاسم الشيعي لمّا مات أبوه أظهر مذهبه وأمر بسبّ السّلف الصالح وغير ذلك من تكذيب كتاب الله تعالى، فمن تكلّم عُذِّب وقُتِل واشتدّ الأمر على المسلمين» ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾[2]، فعمّ السخط حتى صار أهل القيروان يترحّمون على الأغالبة وسلوكهم خصوصاً مع أهل الدّين والعلم، لأنهم والحقّ يقال كانوا يتجنّبون الخلافات المذهبيّة ولم يتدخّلوا في معتقد الناس فضلاً عن إكراههم على اعتقادٍ لم تقرّ عليه أنفسهم ولم تقبله السنّة. وتحرّجت الصدور وأخذت بوادر الفتنة تتبيّن وتتأكّد وذلك لأن عُبَيْد الله المهدي كانت له مهارة فائقة بنفسيّة القوم مكّنته من المهاجمة عليهم بتعاليم مذهبه بمقدار تدريجي لا باطّراد مطلق يكفّها أحياناً ويطلقها أخرى باتّزان وحكمة مع مصانعة قوى المعارضة

---

(1) انظر بالخصوص، رحلة التجاني، ص 320 ـ 324.

(2) الأحزاب، 11. والنقل عن ابن حمّاد لا يوافق ما في كتابه، في طبعة فوندرهايدن، الجزائر 1927.

وتفريق كلمتها حتّى لا تتوحّد عليه وجهة عملها، وكانت له مهابة عظيمة في قلوبهم لشدّة بطشه وحدّة إقدامه حالت دون الانتقاض عليه. وكان ابنه القائم صفر اليدين من الصفات القويّة، وكان مقلّداً لا مبتكراً. فلما أمسك بزمام الحكم أسرع إلى تعميم الدعاية بعنف لم يسبق وعتوٍّ جريء، فكان ما كان وتعاظمت أمامه الحالة الداخلية وأخذ تحرّجها في ازدياد وتفاقم عندما قام عليه أبو يزيد مخلد بن كيداد سنة 332 هـ/ 944 م وأضرم عليه إفريقية ناراً وسعيراً.

ب ـ ثورة أبي يزيد الخارجي[1]:

كان أبو يزيد هذا رجلاً قصير القامة ذميم الخلق أعرج، وكان يمتهن تعليم الصبيان بتوزر. وكان مقداماً ثابت العزم قليل الرحمة والشّفقة ذا مهارة فائقة وبيان ساحر يجلب القلوب فتنقاد إليه الجماهير مسخّرة طائعة لأمره ونهيه. تفقّه في مذهب الإباضية، وهي فرقة من فرق الخوارج العتيدة تقول إن مخالفيهم من أهل القبلة كفّار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال وغنيمة أموالهم عند الحرب حلال. وقالوا من ارتكب كبيرة من الكبائر كَفَر كُفْرَ النّعمة لا كفر الملّة، وجوّزوا تعذيب الأطفال على سبيل الانتقام. ومهر أبو يزيد في هذا المذهب على يد أبي عمّار/ بن عبدالله الحميدي الحَجَري الأعمى، وكان أبو يزيد يذهب [30] إلى تكفير أهل ملّته واستباحة الأموال والدماء والخروج على السلطان. ثم أخذ نفسه بالحسبة على الناس وتغيير المنكر وبالتشنيع على أفعال بني عُبَيْد فزُجّ به في السجن وأطلق سبيلَه مريدوه، فالتحق بجبل أوراس حيث استأصلت قديماً البدعة الإباضية واشتدّت شوكته بين النكّارية منهم في عين مهد الكاهنة الذي بقي معقل الخوارج المنيع وحدّثته نفسه، وقد

(1) انظر حول ثورة أبي يزيد، دائرة المعارف الإسلامية، 1/167 (أبو يزيد)، وبالخصوص ابن حمّاد، أخبار ملوك بني عبيد، ص 34.

استفحل أمره، بأن يحقّق أمنيته السياسية بالاستيلاء على إفريقية ونصب حكومة خارجية النزعة تتولّى شؤونها عوض الدولة الفاطميّة، فكان خروجه عليها في بني كملان من قبيلة هوّارة. وكان هذا الانفجار آخر ظهور لتلك النزعة الاستقلالية التي كانت قديماً تدفع البربر إلى النهوض ومقاومة حكم كافة الداخلين على إفريقية، ومدبّروه من الإباضيّة النكّارية، كما كان يبعث حياة جديدة في البدعة الخارجيّة نفسها التي أخمد نارَها انتصارُ المالكية في البلاد حتى إذا تضاءِل شأن مذهب إمام دار الهجرة بمطاردة الشيعة له أخذت الحركة الخارجية في الظهور والانتشار ثم طمعت في الاستقرار بالاستحواذ على الحكم. فتسمّى أبو يزيد بشيخ المؤمنين وخرج من جبل أوراس على الشيعة فجاهر بالعصيان وأبدى صفحة الشّنآن ودخل إفريقية فخرّب مدنها وعمرانها ودوّخها وعاث فيها فساداً وجدّ وكدّ واشتدّ واعتدّ وقتل من أهلها ما لا يحصى واستباح رقابهم ومالهم ثم دخل القيروان وكان أهلها يضطرمون غيظاً على العُبَيْديّين، فأظهر أبو يزيد خيراً وترحّم على الشيخين [أبو بكر وعمر رضي الله عنهما] وأمر النّاس بقراءة مذهب مالك ثم انتدبهم إلى جهاد الشيعة فتوسّموا فيه الخير والقيام بالسنّة ولم يعلم الناسُ مذهبَه. فرحّب به الكثير ومدحوه ومنهم أبو القاسم الفزاري(1)، لأنه انعقدت آمالهم فيه لإراحتهم من ربقة العُبَيْديّين، وأقبل عليه آخرون باحتراز كما قال أبو إسحاق السبائي وهو خارج مع شيوخ إفريقية إلى الحرب مع أبي يزيد: «هؤلاء ـ ويشير بيده إلى عسكر أبي يزيد ـ من أهل القبلة، ويشير إلى عسكر بني عبيد ويقول: هؤلاء ليسوا من أهل القبلة، فعلينا أن نخرج مع الذي من أهل القبلة لقتال من هو على غير القبلة، فإن ظفرنا لم ندخل

---

(1) ليس من المستبعد أن يكون الفزاري قد استبشر بثورة الخوارج على بني عبيد كغيره من أهل القيروان السنيّين، لكن لم يصلنا من شعره ما يفيد مدحه لأبي يزيد.

[31] تحت طاعة أبي يزيد/ لأنه خارجيّ، والله عزّ وجلّ يسلّط عليه إماماً عادلاً يخرجه بين أظهرنا ويقطع أمره عنّا»[1].

ومهما يكن من أمر فإن أهل القيروان نهضوا مع أبي يزيد وفي طالعتهم فقهاؤها وعبّادها بالسّلاح والبنود بعد أن خطب فيهم خطيبهم أحمد بن إبراهيم بن أبي الوليد بجامع الحدّادين، وقد حضرت صلاة الجمعة فقال، بعد أن حرّض النّاس على الجهاد وأعلمهم بما لهم فيه من ثواب وتلا الآية ﴿لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المؤْمنينَ...﴾[2]:

«يا أيها الناس جاهدوا مَنْ كفر بالله وزعم أنه ربّ من دون الله تعالى وغيّر أحكام الله عزّ وجلّ. اللهمّ إن هذا القرمطي الكافر المعروف بعبيد الله المدّعي الربوبيّة من دون الله جاحداً لنعمك، كافراً بربوبيّتك، طاعناً على أنبيائك ورسولك، مكذّباً بمحمّد ﷺ نبيّك وخيرتك من خلقك، سابّاً لأصحاب نبيّك وأزواج نبيّك أمّهات المؤمنين، سافكاً لدماء أمّتك، منتهكاً لمحارم أهل ملّتك، افتراءً عليك واغتراراً بحلمك. اللهمّ فالعنه لعناً وبيلاً واخْزِه خزياً طويلاً واغضب عليه بكرةً وأصيلاً واصْلِهِ جهنّم وساءت مصيراً بعد أن تجعله في دنياه عبرة للسائلين وأحاديثَ للغابرين واهْلِك اللهم متّبعيه وشتِّتْ كلمته وفَرِّقْ جماعته واكْسِرْ شوكته واشْفِ صدور قوم مؤمنين منه».

وخرج القوم للجهاد مع أبي يزيد لقتال الشيعة فلم يزل قاهراً لهم حتّى فرّ أمامه القائم وتحصّن بالمهديّة، ولمّا رأى أبو يزيد أن النّصر قرب إليه قاب قوسين أو أدنى أذن جنوده إذا التقوا مع القوم أن ينكشفوا عن أهل القيروان ليتمكّن أعداؤهم من قتلهم فيستريح من الشيوخ وأئمّة

---

(1) رياض النفوس، 2/ 339.
(2) سورة النساء، الآية 95.

الدّين ويخلو له الجوّ عند الفوز النهائـي ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾[1]. فقُتِل من صلحاء القيروان وفقهائها خلق كثير ومنهم أبو الفضل الممّسي الذي رثاه أبو محمد بن أبي زيد[2] الفقيه بمرثية مطوّلة يقول في بعضها [كامل]:

يا ناصراً للدّين قُمْتَ مُسَارِعاً	وبذلتَ نَفْسَك مُخْلِصاً ومُرِيدَا
وذَبَبْتَ عن دين الإِلَهِ مُجَاهِداً	وابْتَعْـتَ بَيْعـاً رابحـاً محمـودَا
عهـدي بـه بيـن الأَسِنَّـةِ لـم يكـن	لله عنـــد لـقـــا العـــدوّ كنـــودَا
/ حتى تخيّـرك الجَلِيـلُ لِـدَارِهِ	وأَنَـالَـكَ حُـوراً بِهَـا وخُلُـودَا [32]
5 ـ فَعَلَيْكَ أَبْكي يَا ابْنَ عِيسَى مَا بَكَتْ	قمـريّـة أو غـرّدت تغـريـدَا
يا لَوْعَةً طرقت فؤادي إذْ أتى	نـاعٍ بفقـدك إذْ فُقِـدْت شهيـدَا
كـانـت حيـاتُـك طـاعـةً وعبـادةً	فسَعِدْت في المَحْيَا ومتَّ سعيدَا
لله مَـن شهِـدَتْ لَـهُ أَحْـوَالُـهُ	وعَلَـتْ مناقبُـه فعـاش حميـدَا
وبنى المفاخر وامتطى درجاتها	حتـى ارتقـى مـا كـان منه بعيـدَا
10 ـ يـا قُـرّةً للنّـاظـريـن وعِصْمَـةً	للمسلميـن وعُـدّةً وعـديـدَا
يـا فَـاتِـقَ الـرَّأْيِ الخَفِـيّ بعلمـه	ومُبَيِّنـاً للمشكـلات مفيـدَا
جَمَّعْـتَ كـلَّ فضيلـة ونقيبـةٍ	وحَـويْـتَ علمـاً طـارفـاً وتليـدَا
ذَلَّت صِعَابُ العِلْمِ إذ بَاشَرْتَهُ	هـذَّبـتَ مـن مَعْسُـورِهِ مَعْقُـودَا
وبَـرَعْـتَ بيـن أُصُـولِـهِ وفُـرُوعِـهِ	فقَهَـرْتَ مَـا قَـدْ كـان مِنْـهُ عَنِيـدَا

(1) سورة إبراهيم، الآية 42.

(2) أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني (310 ـ 386 هـ/ 922 ـ 996 م) صاحب «الرسالة» الشهيرة. «وهو إمام علماء القيروان في وقته وقدوتهم وجامع مذهب مالك وشارح أقواله»، ح.ح. عبد الوهّاب، مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص 106 ـ 118. والمرثية في رياض النفوس، 2/300.

ورثاه تلميذه أبو القاسم الفزاري بهذه المرثيّة [طويل]:

عَلَيْكَ أَبَا الفَضْلِ انسِيَاقُ دُمُوعِي ... وشُغْلي بأَنْوَاعِ الأَسَى ووُلُوعِي
ونَارَانِ: نَارٌ في المآقي من البُكَا ... ونارٌ من الأشجان بين ضُلوعِي
على طاهرِ الأَخْلَاقِ عَفٌّ مُبَرَّإٍ ... مِنَ السُّوءِ مَحْمُودٍ بِكُلِّ صَنِيعِ
أديبٍ أريبٍ ماجدٍ متكرّمٍ ... حليمٍ وقورِ الجانبَيْنَ بَدِيعِ
5 ـ على سُنَّةِ الإسلام عَاشَ كَأَنَّمَا ... يُقَابِلُهُ مِنْهَا انْفِلَاقُ صَدِيعِ
مَنُوعٍ مِنَ الفَحْشَاءِ وَالإِثْمِ نَفْسَهُ ... وَلَيْسَ لِبَاغِي فَضْلِهِ بِمَنُوعِ
بِنَفْسي صَرِيعٌ جَالَتِ الخَيْلُ حَوْلَهُ ... بِمُعْتَرَكِ الأَبْطَالِ أَيُّ صَرِيعِ
قَضَى نَحْبَهُ بَيْنَ الأَسِنَّةِ والظُّبَى ... شهيداً مع العُبَّادِ غَيْرَ جَزُوعِ
وَظَلَّ إلى غمارِ العُلَى مُتَطَلِّعاً ... يُنَاجي إليها نفسَهُ بطُلُوعِ
10 ـ وَضُمِّخَ في مِثْلِ الخَلُوقِ بِطَعْنَةٍ ... كَسَتْ صَدْرَهُ المحمودَ ثَوْبَ نَجِيعِ
وَمَدَّ يميناً كان مُعْتَمداً بِهَا ... لِطُولِ سُجُودٍ أو لِطُول رُكُوعِ
[33] / وَقَلَّبَ طَرْفاً طَالَمَا باتَ سَاهِراً ... بِمِحْرَابِه يُذْرِي وَكيفَ دُمُوعِ
وَمَا مَاتَ حَتّى بُشِّرَ الحُورُ بِاسْمِهِ ... وعاينَّهُ في صحّةٍ وهُجُوعِ
وأَشْرَفْنَ من أَعْلى الجِنَانِ تَشَوُّقاً ... ونَادَيْنَ فَارْتَاحَ ارْتِيَاحَ سَمِيعِ
15 ـ وَلَوْ قِيلَ: بِعْ بعضَ الذي نِلْتَ بالذي ... تَرَكْتَ لكان البَعْضُ غَيْرَ مَبِيعِ
ولستُ له أبْكِي ولكن لِمَعْشَرٍ ... أُصِيبُوا به من مُفْرَدٍ وَجَمِيعِ
وَلِلْفِقْهِ والإِسْلَامِ وَالدِّينِ والتُّقَى ... وَطُولِ احتمالٍ وَاصْطِنَاعِ صَنِيعِ
مَضَى عَلَمُ العِلْمِ الرفيعُ وطَالَمَا ... أَصَابَتْ قَنَاةُ المَوْتِ كُلَّ رَفِيعِ
ولَوْلَا التَأَسِّي بالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... وأَعْظِمْ بِهِ من أُسْوَةٍ لِمَرُوعِ
20 ـ وأَصْحَابِهِ الأَخْيَارِ والسَّلَفِ الأُولى ... سعَوْا سَعْيَه من مارعٍ ومَرُوعِ
وعلمي بِإِكْرَامِ الشّهَادَةِ نَالَهَا ... سَريعاً إليها وَهُوَ غَيْرُ سَرِيعِ

بِجَيْشٍ لوَ أنّ المُصْطَفَى كَان شَاهِدا ... لجَاهَدَ فيه الشِّرْكَ غَيْرَ مُضِيعِ
لَقَلَّ عَزَائي إثْرَهُ وتَصَبُّري ... وَطَالَ بُكَائِي بَعْدَهُ وخُشُوعِي
سقَى جَدَثاً أَضْحَى بِهِ الفَضْلُ سَاكِناً ... مِنَ المُزْنِ خَفَّاقُ البُرُوقِ هَمُوعِ
25 ـ وَنَالَتْه مِنّا رَحْمَةٌ وتحيَّةٌ ... عَلَى قُرْبِ دارٍ أو محلٍّ شَسُوعِ
ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى نُورَ وَجْهِهِ ... بِيَوْمٍ عَصِيبٍ للأنام جَمُوعِ؟
شفيعُك فِيه يَا أَبَا الفَضْلِ مَنْ لَهُ ... غضِبْتَ رَسُولُ اللَّهِ خَيْرُ شَفيعِ
أَعَدَّ لَكَ اللَّهُ الكَرَامَةَ وَالرِّضَى ... بِأَعْلَى مَحَلٍّ في الجِنَانِ وَسِيعِ
وجازاكَ عن دينِ النبيّ وهَدْيِهِ ... جَزَاءَ مُرِيدٍ للإلَهِ مُطِيعِ
30ـ سَأَبْكِيكَ حتّى يُقْرِحَ الدَّمْعُ مُقْلَتي ... وَمَا ذَاكَ إنْ طَاولتُهُ بِشَنِيعِ
وأُخْلِدُ ذِكْراً مِنْكَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... بِشِعْرٍ عَجِيبٍ لِلرُّوَاةِ بَدِيعِ(1)

12 ـ الخليفة الفاطمي الثالث إسماعيل المنصور:

أ ـ ولاية المنصور وقضاؤه على ثورة أبي يزيد:

مات القائم بأمر الله محصوراً سنة 334 هـ [946] وآلت الخلافة الفاطميّة إلى ابنه أبي الطّاهر إسماعيل المنصور، فأُعْطِيَت القوسُ باريها والسِّهامُ راميها. فكتم موت أبيه حذراً من أبي يزيد أن يسرّ بذلك ولم يُسَمَّ بالخليفة ولم يُغَيِّر السكّة ولا الخطبة. وكان بليغاً فصيحاً بطلاً شجاعاً مقداماً صاحب أناة وصبر على المكاره رصين الرأي والتفكير سخيّ/ النّفس كريماً حليماً، فعّالاً لكل سنيّة، طلاّعاً في كل ثنيّة، كثير [34] المُدَاراة والمواساة، يأخذ بالهِواء واللِّواء، فسيح الصّدر ميّالاً لأسباب اللّين والتسامح. قويّ الإيمان والعزيمة ثابت الجنان بعيد النظر في

(1) رياض النفوس، 2/302 ـ 304.

الأمور يُدرك القُصى ولا تُقْرَعُ له العَصَا سَمَتْ به تلك الخصال إلى رفعة الرّجال العظام الذين أتاحت لهم المقادير تشييد الممالك ذوات العزّة والشأن. فحقّاً هو الذي أنقذ الدولة الفاطمية من هوّة الانحلال والهلاك وهو الذي ثبّت ووطّد أركانها ورسم نُظُمَها ورتّب قواها وهيّأ لها أسباب النموّ والازدهار، فكان يُعَدّ أعظم ذاتيّة في الدولة العُبَيْديّة.

وبينما كان الأمر كذلك إذ زحف أبو يزيد بكلّ ما لديه من الجموع لتسديد ضربته القاضية على المهديّة ووصل بالفعل إلى باب المصلّى وركز به رمحه كما كان تكهّن عُبَيْد الله المهدي. وكان الدهر يضحك لأبي يزيد سرّاً ويتأبّط له شرًّا. فوثب عليه المنصور كالقضاء المُنزل وأخذ يدافعه بصبر وثبات، جاس عن المراكز التي كانت بيده وضيّق عليه السُّبل وأجبره على التقهقر وقد خذل أبا يزيد أصحابُه فاتّسع عليه الخرقُ وأعضله الفتقُ وتقطّعت به الأسباب. وتابعه المنصور في المفاوز والرّمال وقضى عيد الفطر وهو مجاهد وخطب فقال:

«اللهمّ إنك أخرجتني من المهاد والوساد وجنّبتني الرُّقاد وحالفتني السهاد وسلكتَ بي مفاوز البلاد، اللهمّ احكم لي على مخلد بن كيداد فرعون ذي الأوتاد الذين طغَوْا في البلاد فأكثروا فيها الفساد. اللهمّ أنزلهم بالمرصاد، اللهمّ إنك تعلم أني سُلالة نبيّك وابن رسولك وبضعة من لحمه ونقطة من دمه. ما قلتُ فَخْراً ولا لدَداً. اللهمّ إنك تعلم من أين أقبلت وإلى أين انتهيت وما فيك لاقيت. اللهمّ إنّي بذلت مُهجتي ونفسي في سبيلك مجاهراً لعدوّك طالباً لثأر نبيّك وابتغاء مرضاتك حتى تعبد في الأرض حقّ عبادتك ويحكم فيها بحكمك إنّك أهل المنّ والطَّوْل».

وبقيت الحرب سجالاً اشتهرت فيها أيّام كوقعة الرؤوس ووقعة الحريق./ [35] واستمرّ المنصور على قطع الطرق والمدد على أبي يزيد وقد دار حابله على نابله إلى أن رمى به المنصور إلى رؤوس جبال كتامة

وعجيسة الممتنعة وطوّق به جنود قيصر الفتي وزيري بن مناد الصنهاجي حتى صيّره في آخر الأمر في قبضته ومزّق جموعه كلّ مُمَزَّق. وبعد مُدَيْدَةَ هلك أبو يزيد من الجراحة(1). وبانقراضه انقرضت أحلام الخوارج. ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾(2) فكانوا عبرة لمن اعتبر: جدّ كبا وحسام نبا وآمال تفرّقت أيدي سبا.

فاطمأنّ قلب المنصور وانفثأت لوعةُ كربه وأدرك نعمة الله عليه فسجد سجدة الشكر ابتهالاً لله تعالى ﴿وَهْوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾(3) وأمر بسلخ جلد الخارجي وحشوه تبناً وجعله في قفص أدخل فيه معه قردَيْن يلاعبانه بعثاً له، ورحل به إلى القيروان والمهديّة ثم صلبه على عين الباب الذي كان ركز به رمحه. فأخذه الله بما اجترم وأوبقه بما اكتسب. ﴿ومَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهْوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وأَضَلُّ سَبِيلاً﴾(4). فقال في ذلك أبو يَعْلَى المروزي [كامل](5):

يا خَيْرَ مَنْ وَهَبَ العُهودَ بِعَهْدِهِ ... وَحَكَى لَنَا بِالعَهْدِ سِيرَةَ جَدِّهِ
عَجَباً لِمَعْتُوهٍ يُحَدِّث نَفْسَهُ ... بِوَسَاوِسٍ فِيهَا شَقَاوَةُ جَدِّهِ
عَادَاكَ وَانْسَلَخَ الشَّقِيُّ مِنَ الهُدَى ... حَتّى أَمَرْتَ بِسَلْخِهِ مِنْ جِلْدِهِ

وقال محمّد بن المنيب [**كامل**](6):

---

(1) مات أبو يزيد متأثّراً بجراحه يوم 28 محرم 336 هـ/ 19 أغسطس 947.
(2) سورة النمل، الآية 85.
(3) سورة الأعراف، الآية 57.
(4) سورة الإسراء، الآية 72.
(5) انظر اليعلاوي، الأدب بإفريقية، ص 248، وقد لاحظ أن هذه المقطوعة لا تتعلق بأبي يزيد بل بثائر آخر من أهل القيروان.
(6) لم يُشِر اليعلاوي في المرجع المذكور إلى هذه المقطوعة ضمن شعر محمد بن المنيب (ص 243) وإنما نسبها إلى مجهول (ص 242) نقلاً عن ابن حماد (ص 36).

فَسَلَخْتَــــهُ مِـــنْ جِلْـــدِهِ وَحَشَــوْتَــهُ حَشْــوَ المَــزَاوِدْ
وضَـــرَبْتَـــهُ مَثَـــلاً يُسَيَّـــــرُ فِـــي الأقـــارِب وَالأَبَــاعِـــدْ
وَرَدَتْ بِـــهِ أَطْمَـــاعُـــهُ وَظُنُـــونُـــهُ شَـــرَّ المَـــوَارِدْ

وحال هذا الانتصار الباهر المبين دون انقطاع حبل الخلافة الفاطمية واضطراب أركانها، فظلّت من ذلك العهد على قاعدة مُمَهّدَة وأركان ثابتة وسكون شامل. فانتظم أمر المنصور واطّرد حاله وسكنت أيّامه وتنسّم للنّاس روح الرّفق وباشروا ظلّ الأمن وعندئذ أعلن المنصور بالله بكتاب قُرِىءَ بالقيروان أن والده القائم بأمر الله توفّي في شوّال 334 [مايو 946]/ وأمر أن يُسمَّى المنصور بالله ودخل قصره بصبرة وقد سمّاها المنصوريّة[1] ودخل عليه وفود القيروان فتلقّى الناس بالإيناس واستمالهم بالأهوية وأمّنهم أماناً عامّاً. [36]

ب ـ موقف أبي القاسم الفزاري من المنصور:

دخل أبو القاسم الفزاري في جملة من استأمن ومدح المنصور بالله لِمَا رأى فيه من بطولة وبسالة وشهامة ووفاء للعهود، **[طويل]**:

يُقِـرُّ لـه بـالفَضْـلِ مَـنْ لاَ يَـوَدُّهُ ويَقْضِي له بالسَّعْدِ مَنْ لا يُنَجِّمُ[2]

ولِمَا شاهد منه من حسن المعاملة لأهل الدين والعلماء والأدباء تسكيناً للخلافات المذهبيّة وتوطئةً لبسط الوئام بين أفراد الأمّة. ولكنّ الحسد كان يدبّ دبيبه والسعاية تحرّك سخائم الحزازات. وكان ممّن حرّض على أبي القاسم الفزاري محمّد بن عبدالله الأبرقطي[3]، فقال فيه

---

(1) انتقل إسماعيل المنصور إلى سكنى المنصوريّة في صفر 337هـ/ سبتمبر 948م.
(2) ديوان المتنبّي بشرح العكبري 355/4.
(3) سبق أن لاحظنا أن الداعي إدريس قد نسب المقطوعتين المواليتين إلى أبي محمد عبد الرحمان العُتَقِي، انظر: تاريخ الخلفاء الفاطميّين بالمغرب، ص 454 والأدب بإفريقية ص 203.

للمنصور [متقارب]:

أَمَنْصُورَ هَاشِمَ، مَنْ لا يُحِبّ حَيَاتَك لا صَحِبَتْهُ الحياة!
وَعَاجَلَهُ قَبْلَ أن يَنْتَهِي إلى أجلٍ يبتغيه، الممات!
أيَمْشِي الفَزارِيُّ فَوْق التّراب وأَظْفَارُهُ فيكم داميات؟
وسَبُّكُمُ زَلَلٌ لا يُقَالُ فهل تُغْفَرُ الزُّلَلُ المُوبِقات؟
5 ـ فأَيْنَ بَوَادِرُكَ المُهْلِكَات وأَيْنَ عَزَائِمُكَ المُنْجِزات؟
أَرِحْ منه مُلْكَكَ لاَ تُبْقِهِ فأفعالُه كلُّها مُنْكَرَات
وجَازِ اللَّعينَ بِأَفْعَالِهِ فَآثَارُهُ فيكُمُ بَاقِيَات

وأردفها في موطن آخر بقوله [كامل]:

أَيَظُنُّ وَغْدُ فَزَارَةٍ ظَنَّ امْرِئٍ جَهِلَ العواقبَ ثمّ لا يتفكّرُ
أنّ الذي ارتكب اللّعينُ ونَاله من أهل بيت الوحي ذَنْبٌ يُغْفَرُ؟
هيهاتَ تلك جنيّةٌ مطوِيَّةٌ فإذا أتى الأجلُ المُوَقَّتُ تُنْشَرُ
واللَّهِ ما المنصور عنك بغافِلٍ لكن تبيّنتُ الذي يتدبَّرُ

وكان من أمر التحريش والوشاية أن طلب السلطانُ أبا القاسم الفزاري لقتله، فلجأ إلى أبي إسحاق السّبائي وهو فازع خائف وقال له: أنت تعلم ما يُراد بي. فقام أبو إسحاق ودعا له ثم قال له: امضِ اشْتَرِ غذاءك وادخل الحمّام ثم امضِ/ إليه فلن ترى شيئاً تخافه. قال أبو [37] القاسم: فخرجتُ من عنده ففعلتُ ما أمرني به من الغذاء ودخول الحمّام وَوَثِقَتْ نفسي بقوله ودعائه ثم مضيتُ إلى السلطان فدخلتُ عليه، فقال بعضُ مَن في مجلسه: ما قول السلطان أن ينشده ما قاله في أيّام أبي يزيد؟ فتوقّفتُ عن ذلك وخفت. فقال: أنشدها ولك الأمان. فأنشدتُه

القصيدة الرّائيّة [وافر][1]:

تلفَّـعَ فـي مفـارِقِـهِ القتيـرُ ... وقـوَّسَ غُصْنُـه اللَّـدْنُ النَّضِيـرُ
وليـس يُـؤَدِّبُ الإنسـانَ شـيءٌ ... كتـأديـب الحَـوَادِثِ إِذْ تَـدُورُ
وإنَّ بِبَـابِـك اللَّهُـمَّ عَبْـداً ... مـن الخـذلان أصبـح يَسْتَجِيـرُ
دَعَـاكَ وَقَـدْ رَجَـاكَ فَصُنْـهُ مِمّـا ... يُحَـاذِرُ ذُو المُـرَاقَبَـةِ الحَـذُورُ
5 ـ ولا تُسْلِمْـهُ للـدُّنْيَـا فتَهْـوِي ... بِـهِ مِنْهَـا بُطُـونٌ أَوْ ظُهُـورُ
سَـلاَمَتُهَـا وَإِنْ دَامَـتْ سَقَـامٌ ... وَنِعْمَتُهَـا وَإِنْ رَاقَـتْ غُـرُورُ
وَمَـرْعَـاهَـا لِـرَاعِيهَـا وَخِيـمٌ ... وَكَثْـرَتُهَـا لِمُكْثِـرِهَـا يَسِيـرُ
تَسُـرُّ المَـرْءَ يَـوْمـاً ثـم تَغْـدُو ... فتَسْلِـبُ مَـا أَتَـاحَ لَـهُ السُّـرُورُ
وإنْ وَاتَتْـكَ إِقْبَـالاً وَنُعْمَـى ... فَعُقْبَـاهَـا الفَجَـائِـعُ والقُبُـورُ
10 ـ وكُـلُّ الخَيْـرِ مِنْهَـا مُسْتَعَـارٌ ... وَسَـوْفَ يَـرُدُّ ذَاكَ المُسْتَعِيـرُ
وإنَّ عَـزِيـزَهَـا عَمَّـا قَلِيـلٍ ... ذَلِيـلٌ والغَنِـيُّ بِهَـا فَقِيـرُ
لِكُـلِّ مُـؤَمِّـلٍ أَمَـلٌ طَـوِيـلٌ ... وعُمْـرٌ لـو تـأَمَّلَـهُ قَصِيـرُ
وَبَعْـدَ المَـوْتِ أَهْـوَالٌ عِظَـامٌ ... يَشِيبُ لِبَعْضِهـا الطِّفْـلُ الصَّغِيرُ
وَتَـذْهَـلُ كُـلُّ مُـرْضِعَـةٍ لِكَـرْبٍ ... لِيَـوْمٍ فِيـهِ شَـرٌّ مُسْتَطِيـرُ
15 ـ وَبَعْـدَ المَـوْتِ لِـلأَرْواحِ إِمَّـا ... نَعِيـمٌ فِـي الكَـرَامَـةِ أَوْ سَعِيـرُ
عَجِبْـتُ لِفِتْنَـةٍ أَعْمَـتْ وَعَمَّـتْ ... يَقُـومُ بِهَـا دَعِـيٌّ أو كَفُـورُ
تَـزَلْـزَلَـتِ المَـدَائِـنُ وَالبَـوَادِي ... لَهَـا وَتَلَـوَّنَـتْ مِنْهـا الـدُّهُـورُ
وضَـاقَتْ كُلُّ أَرْضٍ ذَاتِ عَرْضٍ ... وَلَـمْ تُغْـنِ المَعَـاقِـلُ وَالقُصُـورُ
فَنَجَّـى القَيْـرَوَانَ وسَـاكِنِيهَـا ... إِلَـهٌ دَافِـعٌ عَنْهَـا قَـدِيـرُ
[38] / 20 ـ أَحَاطَ بِـأَهْلِهَـا عِلْمـاً وَخُبْـراً ... وَمَيَّـزَ مَـا أَكَنَّتْـهُ الصُّـدُورُ

---

(1) رياض النفوس، 2/490 ـ 494.

وَجَلَّلَهُمْ بِعَافِيَةٍ وَأَمْنٍ ... وَأُسْبِلَ فَوْقَهَا سِتْرٌ سَتِيرُ

وَأَنْبَتَ جِلَّةَ العُلَمَاءِ فِيهَا ... بِحَارٌ لَا تُعَادِلُهَا البُحُورُ

وَمِنْهَا سَادَةُ العُلَمَاءِ قِدْماً ... إِذَا عُدُّوا فَلَيْسَ لَهُمْ نَظِيرُ

وَفِيهَا القَوْمُ عُبَّادٌ خِيَارٌ ... فَقَدْ طَابَ الأَوَائِلُ وَالأَخِيرُ

25 ـ شِعَارُهُمُ التُّقَى والخَوْفُ لَيْلاً ... عَلَى أَقْدَامِهِمْ غِيبٌ حُضُورُ

كَأَنَّهُمُ لِخَوْفِ اللَّهِ مَوْتَى ... أَقَامَهُمُ إِلَى البَعْثِ النُّشُورُ

بِلَادٌ حَشْوُهَا حِلْمٌ وعِلْمٌ ... وَإِسْلَامٌ ومَعْرُوفٌ وَخَيْرُ

هُمُ افْتَكُّوا سَبَايَا كُلِّ أَرْضٍ ... وَفَادَوْا مَا اسْتَبَدَّ بِهِ المُغِيرُ

كَفَيْنَاهُمْ عَظَائِمَهَا جَمِيعاً ... فَزَالَتْ عَنْهُمُ تِلْكَ الشُّرُورُ

30 ـ وسَكَّنَّا قُلُوباً خَافِقَاتٍ ... أَمَاتَ عُرُوقَهَا ضُرٌّ ضَرِيرُ

وآوَيْنَا وَآسَيْنَا وَكُنَّا ... لَهُمْ أَهْلاً وَأَكْثَرُهُمْ شَطِيرُ

فَبَاتَ طَعَامُنَا لَهُمُ طَعَاماً ... هُنَاكَ ودُورُنَا لِلْقَوْمِ دُورُ

وكَانَ لَنَا ثَوَابُ اللَّهِ ذُخْراً ... وَقَامَ لِشُكْرِنَا مِنْهُمْ شَكُورُ

وَلَوْلَا القَيْرَوَانُ وسَاكِنُوهَا ... لَغَابَ طَعَامُهُمْ والمُخُّ رِيرُ

35 ـ كَأَنَّ القَيْرَوَانَ وَهُمْ حُفَاةٌ ... عُرَاةٌ مَحْشَرٌ فِيهِ المَصِيرُ

فَهَلْ لِلْقَيْرَوَانِ وَسَاكِنِيهَا ... عَدِيلٌ حِينَ يَفْتَخِرُ الفَخُورُ؟

عِرَاقُ الشَّرْقِ بَغْدَادٌ وَهَذِي ... عِرَاقُ الغَرْبِ بَيْنَهُمَا كَثِيرُ

وَلَسْتُ أَقِيسُ بَغْدَاداً إِلَيْهَا ... وَكَيْفَ تُقَاسُ بِالسَّنَةِ الشُّهُورُ؟

بِلَادٌ تَقْصِفُ العُظَمَاءَ قَصْفاً ... إذا مَا رَامَهَا مِنْهُمْ غَدُورُ

40 ـ بِلَادٌ خَطَّهَا أَصْحَابُ بَدْرٍ ... وَتِلْكَ اخْتَطَّ سَاحَتَهَا أَمِيرُ

بَنَاهَا المُسْتَجَابُ وَقَدْ دَعَا فِي ... جَوَانِبِهَا دُعَاءً لا يَبُورُ

بَنَاهَا كُلُّ بَدْرِيٍّ كَرِيمٍ ... كَأَنَّ صِفَاحَ أَوْجُهِهِمْ بُدُورُ

هُـمُ صَلَّـوْا بِمَسْجِـدِهَـا بَـرَاحـاً وَلَيْـسَ لَـهُ جِـدَارٌ مُسْتَـدِيـرُ

[39] / وَهُمْ وَضَعُـوا لَهَـا أَسّـاً مَتِينـاً فقُـدِّسَـتِ المَـوَاضِـعُ وَالصُّخُـورُ

45 ـ وَقَـادَهُـمُ الأَذَانُ إِلَيْـهِ حَتَّـى أَضَـاءَهُـمُ مِـنَ المِحْـرَابِ نُـورُ

وَلَـمْ يَسْبُقْهُـمُ مَلِـكٌ ظَلُـومٌ لِتَـأْسِيـسٍ وَلاَ مَلِـكٌ كَفُـورُ

وَأَصْحَـابُ النَّبِـيِّ لَـهُ بُنَـاةٌ فَـلاَ عِصْيَـانَ فِيـهِ وَلاَ فُجُـورُ

أَقَـامُـوا شَطْـرَ قِبْلَتِهَـا سَوِيًّـا إلى البَيْتِ العَتِيقِ فَلَمْ يَجُورُوا

وإنّ عِـرَاصَـهُ لَمُقَـدَّسَـاتٌ مُبَـارَكَـةٌ وَتُـرْبَتَـهُ طَهُـورُ

50 ـ بها حِلَـقُ العُلُـومِ لَهَـا دَوِيٌّ يُجَـاوِبُهَـا الكِتَـابُ المُسْتَنِيـرُ

أَلاَ أَبْلِـغْ مَعَـاشِـرَ لَيْسَ عِنْدِي لَهُـمْ عُـذْرٌ وَلاَ فِيهِـمْ عَـذِيـرُ

نُحِبُّ صَلاَحَهُـمْ وهُـمُ غِضَـابٌ عَلَيْنَـا إنّ ذَا جَـوْرٌ كَبِيـرُ

ضَمَـائِـرُهُـمْ مِـرَاضٌ وَاجِمَـاتٌ عَلَيْنَـا لاَ أَفَـاقَ لَهُـمْ ضَمِيـرُ!

وَلاَ ذَنْـبٌ لَنَـا إِلاَّ لأَنَّـا سَلِمْنَـا حِيـنَ عَمَّهُـمُ الثُّبُـورُ

55 ـ وَلَيْسَ لَنَـا كَمَـا لَهُـمُ حُصُـونٌ وَلاَ جَبَـلٌ أَعَـالِيـهِ وُعُـورُ

وَلاَ سُـورٌ أَحَـاطَ بِنَـا وَلَكِـنْ لَنَا مِنْ حِفْظِ رَبِّ العَرْشِ سُورُ

وَلاَ نَـأْوِي إِلَـى بَحْـرٍ وَأَنَّـى إِذَا قُضِيَ القَضَاءُ تُنْحَى البُحُورُ

وَلَكِنَّـا إِلَـى القُـرْآنِ نَـأْوِي وَفِـي أَيْمَـانِنَـا البِيضُ الـذُّكُـورُ

عَقَـائِـقُ كَـالبَـوَارِقِ مُـرْهَفَـاتٌ بِهَـا تُحمَـى الحَـرَائِـمُ وَالثُّغُـورُ

60 ـ وسُمْـرٌ فِـي أَعَـالِيهِـنَّ شُهْـبٌ بِهَـا ظَمَـأٌ مَـوَارِدُهَـا النُّحُـورُ

لَنَـا شِيـبٌ جَحَـاجِحَـةٌ لُيُـوثٌ وَشُبَّـانٌ غَـرَانِقَـةٌ صُقُـورُ

وَكُلُّهُـمُ شَـدِيـدُ البَـأْسِ جَلْـدٌ جَرِيـءٌ قَلْبُـه ثَبْـتٌ وَقُـورُ

وَإِنَّـا بَعْـدُ مِـنْ خَـوْفٍ وَأَمْـنٍ نُحِـبُّ إذَا تَشَعَّثَـتِ الأُمُـورُ

رَسُـولَ اللَّـهِ والصِّـدِّيـقَ حُبّـاً بِـهِ تُـرْجَـى السَّعَـادَةُ والحُبُـورُ

65 ـ وَبَعْدَهُمَا نُحِبُّ القوم طُرًّا وَمَا اخْتَلَفُوا فَرَبُّهُمُ غفُورُ
أَلَا بِأَبِي وَخَالِصَتِي وَأُمِّي مُحمَّدُ البَشِيرُ لَنَا النَّذِيرُ
/ سَأُهْدِي مَا حَيِيتُ لَهُ ثَنَاءَ مَعَ الرُّكْبَانِ ينجِدُ أو يغورُ [40]

ولما فرغ أبو القاسم من إنشاده لم يعرض له إسماعيل بسوءٍ. فلما خرج من بين يديه قام أحد الجند فاخترط سيفه ليقتل أبا القاسم، فقال له إسماعيل: ما لَكَ؟ قال: أضرب عنقه. فقال له: قد أمّنّاه. وانصرف الفزاري سالماً. ثم تردّد على المنصور بالله، وسعياً وراء التحصيل على رضاه والاعتماد على حلمه وعطفه تقدّم له بقصيدته العصماء التي طالعها [طويل]:

لعَمْرُكَ ما أَوْسُ بن سُعْدَى بِقَوْمِهِ ولا سَيِّدُ الأَوْبَارِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمِ

13 ـ القصيدة الفزاريّة:

وتُعتبَر هذه القصيدة من أبرع وأبدع المرافعات التي قام بها شاعر فحل لعبت به عواملِ الحسّاد وأصحاب الغايات فأخرس ألسنتهم وأطفأ جذوة وشايتهم بقوّة عارضته ورشاقة حجّته وحسن سبك قوله ورونق شاعريّته، إن لم نتعرّض إلى جميل تلطّفه وبديع تنصّله.

خصّص أبو القاسم ستّة وثلاثين بيتاً من قصيدة استهلّ بها موضوعه واستعرض فيها ما كان للعرب من مشاهير الأيّام، في الجاهلية والإسلام، وأعظم وقائع الفتيان، الذين كان لهم في التاريخ شأن، فسارت بحديثهم الركبان، تعظيماً لتصديره وتوطئةً ماهرة لاستمالة تشوّق سامعه بما تلتذّ وتطرب به بطولته، وتهتزّ فتتأثّر به مُرُوءَتُه. وربّما سرد الأمثال وتفنّن في الاختيار، لاستلفات الأنظار، لِما كانت عليه عاقبة طغيان الفجّار، وما يجب سلوكه للتوقّي من العار، حتى يتمكّن بما

يتطلّبه من مكين القرار. وربّما أدرك ضعف مكانته عند السلطان، ووثق بأنّ عقارب السّوء ما زالت تدبّ وتعمل في هذا الميدان، وفكّر فيما يردّ عنه دُهَمَ الخطوب الثائرات القتّام، فالتجأ إلى الاستنجاد بتلكم الأعلام، للشّفاعة فيه عند الملك الإمام، حتى يمدّ إلى سؤاله يدَيْن للإنعام والانتقام.

وكان حريصاً كلّ الحرص على التمتّع بالمناعة التي أصبح يصبو إليها،/وينشدها بعد حرمانه منها وفقدانه إيّاها، حتى تلهّف بها عند [41] فراغه من ذكر الأبطال، والدخول في مدح عاهل البلاد فقال:

بِـأَمْنَـعَ منّـي فـي جِـوَارِ خَلِيفَـةٍ عَطوفٍ على أَهْلِ البُيُوتَاتِ رَاحِمِ

فكان مدحه معتدلاً شريفاً، لم يركب فيه متن الغلوّ والإغراق. فلم يضع ممدوحه في مقام الرُّسُل ولا في مقام الإلّه كما عوّدهم به مستغلّو سلطانهم ومنتجعو ثَمَدِ نوالهم. ولم يتضاءل حتى يقرّ لهم بالكرامات، فضلاً عن المعجزات والآيات، بل أتى بقولٍ لا تذلّل فيه ولا خساسة سوى الإشادة بالفضائل الحقيقية التي امتاز بها المنصور وتحلّى بها صدره عن جدارة دون تندّم على ما كان سبق منه أو تَبَرُّؤٍ ممّا نسبه لبني عُبَيْد فضلاً عن نقض ما كان وسمهم به، محافظةً على رأيه وثباتاً على مبدئه.

وسريعاً ما انتقل إلى التعرّض لما قاساه من داء الوُشاة وكيد الحسّاد فتصدّى للتشنيع بصنيعهم الممقوت وسعاياتهم الفاشلة وأخذ في الثناء على المنصور بما هو أهله وقد كفاه شرّ إذايتهم وراعى جانب الإنصاف فانتقم له منهم شاكراً نعمته راجياً مراحمه **[كامل]**:

فـالشّكـر لـلإنسـان أربـح متجـر لم يعدَم الخسران مَنْ لم يَشْكُرِ

ثم استطرد فتولّى إهداء القصيدة إلى ممدوحه كما تُهدى العروس لخاطبها، واصفاً لجمالها كأنه مقتبس من بدور التمام، ولحسنها الذي لا تبليه الأيّام:

بِقَافِيَةٍ لَوْ حُصِّلَتْ لَتَطَايَرَتْ شُعَاعاً وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَى كَفِّ نَاظِمِ
وإِنَّ التي رَتَّبْتُهَا بِمَدِ يحِكُم مُحَبَّرَةٌ مَا دَامَ نَسْلٌ لآدَمِ

وشعر أنّ الكلام قد بلغ بممدوحه مبلغ التأثير فارتاح إلى هذا الفوز ثم داخله الإعجاب بنفسه وحسن مقاله وأخذته العزّة والأريحيّة فتعالى إلى أن تساوى بممدوحه وخاطبه خطاب الندّ للندّ اعتقاداً أنّ لكلّ منهما ميدانَه وسطوته ودولته:

/ فَمِثْلِيَ يُرْجَى مَدْحُهُ وَثَنَاؤُهُ وَمِثْلُكَ يُرْجَى لِلأُمُورِ العَظَائِمِ [42]

وختم على طريقة أبي تمّام والبوصيري:

يُغَنِّيَ بِهَا الرُّكْبَانُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وتُحْدَى بِهَا خُوصُ الرِّكَابِ الرَّواسِمِ

* * *

وفاز أبو القاسم بمتمنّاه ومجتباه وعاش في نعمة صافية وعيشة راضية قريرَ العين محظوظاً مبجّلاً مكرّماً عند المنصور ملازماً له ومنفرداً في مدحه إجادةً وإبداعاً بنظمٍ «لو سمعه كُثَيِّرٌ ما نَسَبَ ولا مَدَحْ، أو تتَبَّعَهُ جَرْوَلٌ ما عوى ولا نَبَحْ»، وأبيات تنثال انثيال القطار، على صفحات الأزهار، وتتّصل اتّصال القلائد، على نحور الخرائد، إلى أن توفّي المنصور[1]. فحزن عليه أبو القاسم حزناً شديداً ورثاه بمراثٍ تسيل عاطفة ووفاءً ضلّت[2] كبقيّة نفحات قريضه بالرغم عن مواصلة البحث وحثيثه، فلم يخلص إلينا من غمامه إلاّ قطرة، ولا خلصت في أيدينا من حُسامه إلاّ إبْرة، حتى جاءت سنة 345 [956 م] فوافى أبا القاسم أجلُه المحتوم[3]، وهو الغانم المغنوم، تاركاً حلو قريضه ودُرّه المنظوم،

(1) توفّي المنصور يوم 28 شوّال 341 هـ/ 18 مارس 953 وخلفه ابنه المعزّ لدين الله.
(2) إذا ضاعت هٰذه المراثي، فهو مجرّد افتراضٍ من المؤلّف.
(3) انظر، ح.ح. عبد الوهاب، مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص 83.

يتلألأ سناه في سماء الأدب العربي التّونسيّ كساطعات النّجوم، في اللّيلة الظّلماء وهي وَقود، ولسانُ حاله يقول لبني جلدته وهو منهم معدود: هذه أشعاري حبائرُ وبُرود، تعرّفوا بها كيف المجادة إن تمسّكت بالعروة الوثقى تسود. والتحق بجوار صاحب الكرم والجود، في أفْيَاء ظِلِّه الممدود، متسربلاً حُلَّةَ الرّضا وثوب الخلود.

مصطفى الزّمرلي

[43]

/ متن القصيدة الفَزَارِيّة
لأبي القاسم الفزاري

فَـإِذَا أَتَيْتُـكَ مَـادِحـاً لَـكَ لَـمْ يَجِـىءْ
شِعْـرِي لِيَسْـأَلَ بَـلْ أَتَـاكَ لِيَفْخَـرَا
غَيْرِي الَّذِي اتَّخَذَ المَدَائِحَ مَكْسَباً
وَسِـوَايَ مَـنْ جَعَـل القَـوَافِـيَ مَتْجَـرَا

ابن المغيرة

[طويل]:

1 ـ لَعَمْـرُكَ مَـا أَوْسُ بْـنُ سُعْـدَى بِقَـوْمِـهِ
ولا سَيِّـدُ الأَوْبَـارِ قَيْـسُ بْـنُ عَـاصِـمِ
وَلاَ كَـانَ ذُو الجَـدَّيْـنِ بَيْـنَ كَتَـائِـبٍ
لَهَـامِيـمَ مِـن بَكْـرٍ وحَـيّ اللَّهَـازِمِ
وَرَبُّ مَعَـدٍّ والأَحَـالِيـفُ حَـوْلَـهُ
عُبَـابٌ كَمَـوْجِ اللُّجَّـةِ المُتَـلاَطِـمِ
وَلاَ حَـاجِـبٌ ذُو القَـوْسِ يَخْطُـرُ حَـوْلَـهُ
قُـرُومٌ كَـأُسْـدِ الغِيـلِ مِـنْ آلِ دَارِمِ
5 ـ وَأَحْنَـفُ سَعْـدٍ بَيْـنَ سَعْـدٍ ومَـالِـكٍ
ومَـنْ رَامَهُـمْ مِـن نَهْشَـلٍ وَالبـرَاجِـمِ

وَلاَ خَالِدٌ سُمُّ العُدَاةِ بْنُ جَعْفَرٍ
ولا الحَارِثُ الشَّهْمُ الفُؤادِ بْنُ ظَالِمِ
وَذُو الجَبَلَيْنِ في عَصَائِبِ طَيِّىءٍ
فَتَى الفَضْلِ وَالنُّعْمَى عَدِيُّ بنُ حَاتِمِ
وَلاَ كَانَ زَيْدُ الخَيْلِ والخَيْرِ وَالقَنَا
وَزَيْدُ المَنَايَا والسُّيُوفِ الصَّوارِمِ
وعَمْرُو أبُو ثَوْرٍ وعَمْرُو بنُ عَامِرٍ
وَعَمْرُو بْنُ عَمْرٍو فِي الأسُودِ الضَّرَاغِمِ
10 ـ وَلاَ قَاتِلُ الجَوْنَيْنِ أَوْ فَارِسُ العَصَا
وفَارِسُ قَيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الجَمَاجِمِ
وَلاَ كَانَ بِسْطَامُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ
وَعَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ شِهَابُ الأَرَاقِمِ
وَلاَ الأَحْوَصَانِ الأَصْيَدَانِ ولاَ الَّذِي
حَمَى النَّعْفَ مَا بَيْنَ العُرَيْضِ وَوَاقِمِ
وَلاَ العَامِرَانِ: ابْنُ الطُّفَيْلِ وَعَامِرٌ
مُلاَعِبُ أطْرَافِ الرِّمَاحِ اللّهَاذِمِ
وَلاَ هَرِمُ القَاضِي ولا هَرِمُ النَّدَى
إذَا احْتَبَيَا بَيْنَ البُحُورِ الخَضَارِمِ
15 ـ وَلاَ الزِّبْرِقَانُ والأَغَرُّ بْنُ حَابِسٍ
وَصَعْصَعَةُ الفَكَّاكُ أَهْلَ المَغَارِمِ
[44] / وَلاَ مُحْكِمُ نَجْرَ اليَمَامَةِ كُلِّهَا
وَلاَ هَوْذَةُ المَعْصُوبُ تَاجُ الأَعَاجِمِ

وَلاَ ابْــنُ أَبِــي شَمْــرٍ وَوَالِــي جَــذِيمَــةٍ
ولا سَـــاطِـــرُونُ المُنْتَمِـــي للعَظَـــائِـــمِ
وَلاَ ابْــنُ الجُلَنْــدَي فــي عُمَــانٍ ولاَ الَّــذِي
أَجَــارَ جَــرَادَ القَفْــرِ مِــنْ كُــلِّ طَــاعِــمِ
وَلاَ قَــاتِــلُ الغَــازِيــنَ تَحْــتَ لِــوَائِــهِ
بِيَــوْمِ خَــزَازَى كَــالنُّسُــورِ القَشَــاعِــمِ
20 ـ وَلاَ عَلَــمُ الأَجْــوَادِ كَعْــبُ بْــنُ مَــامَــةٍ
عَقِيــدُ الثَّنَــاءِ المَحْــضِ دُونَ اللَّــوَائِــمِ
وَلاَ عَــوْفٌ المُــوفِــي بِــذِمَّــةِ جَــارِهِ
وَلاَ حُــرَّ فِــي وَادِيــهِ غَيْــرُ المُسَــالِــمِ
وَلاَ الأَشْعَــثُ الكِنْــدِيُّ بَيْــنَ فَــوَارِسٍ
صُفُــوفٍ عَلَــى أَهْــلِ النُّجَيْــرِ صَــلادِمِ
وَلاَ الخُطَبَــا طُــرًّا وَرَهْــطُ مُكَحَّــلٍ
ولاَ شَيْخُهُــم عَمْــرٌو لِسَــانُ الأَهَــاتِــمِ
وَلاَ قَــائِــدُ الشَّهْبَــاءِ مِــنْ آلِ مُنْــذِرٍ
وَلاَ قَــائِــدُ الحَــدْبَــاءِ مِــنْ آلِ دارِمِ
25 ـ وَلاَ كَــانَــتِ الأَحْيَــاءُ فِــي مُطْمَئِنِّهَــا
وَلاَ جَمَــرَاتُ الحَــرْبِ فــي كُــلِّ جَــاحِــمِ
وَلاَ الأَشْــرَمُ العَــاتِــي وكِسْــرَى وقَيْصَــرٌ
ولا رَبُّ غُمْــدَانَ الحَمِيــدُ العَــزَائِــمِ
وَلاَ الخَمْسَــةُ الحَــامُــونَ إذْ حَنَــقَ الــرَّدَى
وطَــارَتْ قُلُــوبُ الجَيْــشِ بَيْــنَ الحَيَــازِمِ

وَلاَ عَنْتَـرٌ فِـي بَـأْسِـهِ واخْتِـدَامِـهِ
وَلاَ هَـاشِـمُ المُـرِّيُّ يَـوْمَ التَّقَـائِـمِ
وَلاَ الجُشَمِـيُّ المُسْتَضَـاءُ بِـرَأْيِـهِ
وأُسْـرَتُـهُ الأَخْيَـارُ أَهْـلُ الحَـرَائِـمِ
30 ـ وَشَـأْسٌ وَوَرْقَـاءُ الظَّمَـا وأَبُـوهُمَـا
وَقَيْـسٌ أَخُـو النَّكْـرَاءِ عِنْـدَ المَـلاَحِـمِ
وَلاَ أَكْمَـلُ الصِّيـدِ الصَّنَـادِيـدِ إنْ دُعُـوا
إلَـى الجُـودِ أَوْ لِلْمَـأْزِقِ المُتَـلاَحِـمِ
ولاَ الفَـاتِـكُ البَـرَّاضُ فـي سَطَـوَاتِـهِ
وَلاَ دَغْفَـلٌ بَحْـرُ الـرُّوَاةِ الخَضَـارِمِ
ولاَ ثَـابِـتٌ وَالشَّنْفَـرَى حِيـنَ أَدْلَجَـا
بِـدَاوِيَـةٍ أو هَجَّـراً فـي السَّمَـائِـمِ
وَلَيْـسَ طَـرِيـفٌ يَـوْمَ أَلْقَـى رِدَاءَهُ
وَلاَ الهُـذَلِـيُّ القَـرْمُ يَـوْمَ الغَمَـائِـمِ
35 ـ وَلاَ سَيِّـدَا أَهْـلِ الشَّـرِيـدِ اللَّـذَا هُمَـا
صَمِيـمُ العَـوَادِي وَارْتِـوَاءُ الحَـوَائِـمِ
وَلاَ كَـانَ قَعْقَـاعُ بْـنُ شَـوْرٍ إذَا اجْتَبَـى
جَلِيسـاً لَـهُ لَـمْ يَشْـقَ بَيْـنَ الأَقَـاوِمِ
بِـأَمْنَـعَ مِنّـي فـي جِـوَارِ خَلِيفَـةٍ
عَطُـوفٍ عَلَـى أَهْـلِ البُيُـوتَـاتِ رَاحِـمِ
كَـرِيـمِ المَسَـاعِـي والأَيَـادِي سَمَـتْ بِـهِ
أُبُـوَّةُ صِـدْقٍ مِـن ذُؤَابَـةِ هَـاشِـمِ

[45] / شَرِيــفِ الأَدَانــي والأَقَــاصِــي مُهَــذَّبِ

إذَا مَــا عَــدَدْنــا فَضْــلَ أَهْــلِ المَكَــارِمِ

40 ـ لَــهُ مِــنْ إمَــامِ المُــرْسَلِيــنَ وَصِنْــوِهِــمْ

عَلــيٌّ مَعَــالٍ ثَــابِتَــاتُ الــدَّعَــائِــمِ

مَعَــالٍ هِــيَ الفَخْــرُ الصَّحِيــحُ وغَيْــرُهَــا

مَعَــالِــي مَجــازٍ بَيْــنَ وَاهٍ وسَــالِــمِ

وَمَنْ ذَا يَقِيسُ الشَّمْسَ في رَوْنَقِ الضُّحَى

إلَــى كَــوْكَــبٍ فــي غَيْهَــبِ اللَّيْلِ عَــاتِــمِ؟

سَــأَشْكُــرُ آلاءَ الإِمَــامِ ومَــنْ يَنَــمْ

عَــنِ الشُّكْــرِ أَوْ يَسْــأَمْ فَلَسْــتُ بِسَــائِــمِ

وَمَــا عُــذْرُ مَشْحُــوذِ اللِّسَــانِ مُثَقَّــفٍ

يَــرَى الشُّكْــرَ فــي الإِنْعَــامِ ضَــرْبَــةَ لازِمِ؟

45 ـ أَبَيْــتَ أَمِيــرَ المــؤْمِنِيــنَ سِــوَى الَّتــي

يَــزِيــدُ نَقَــاءً ذِكْــرُهَــا فــي المَــوَاسِــمِ

تُقًــى وَنَــدًى مَــا بَيْــنَ حِلْــمٍ وَسُــؤْدَدٍ

وعَفْــوٍ وَإِمْضَــاءٍ عَلَــى كُــلِّ ظَــالِــمِ

وكَــذَّبْــتَ أَقْــوَالَ الــوُشَــاةِ فَــأَدْبَــرُوا

لأَعْقَــابِهِــمْ مَــا بَيْــنَ خَــازٍ وَنَــادِمِ

أَرَادُوا بِكَيْــدِ المُلْــكِ مــا عَــوَّدَتْهُــمُ

أَمَــانِيهِــمُ وَاللَّــهُ أَعْــدَلُ حَــاكِــمِ

فَصَــبَّ عَلَيْهِــمْ مُحْصِــدَاتٍ كَــأَنَّهَــا

شَــآبِيــبُ قِطْــرٍ وَاكِــفِ الْعَيْــنِ سَــاجِــمِ

50 ـ أَتَـاهُـمْ نـذيـرٌ مِـنْ عِقَـابِـكَ فـانْتَهَـوْا
فَعَـافُـوا وَعَـافَ النّـاسُ طَيْـرَ الأَشَـائِـمِ
وإِنِّـــي لأَدْرِي أَنَّ أَبْغَـــضَ مَـــنْ نَمَـــى
إِلَيْـــكَ ولَـــوْ وَالاَكَ نُصْـــحَ مُـــدَاوِمِ
ظَلُـــومٌ وكَـــذّابٌ وَبَـــاغٍ وَحَـــاسِـــدٌ
وَقَـــالٍ، وَكُـــلٌّ مُسْتَحِـــلُّ المحَـــارِمِ
وَلِلْكَـذِبِ المَشْنُـوءِ فِـي القَلْـبِ سَـوْرَةٌ
أَضَـــرُّ مِـــنَ الـــدَّاءِ العَيَـــاءِ المُـــلاَزِمِ
لَقِيـــتُ بِهَـــا النُّكْـــدَ اللِّئَـــامَ وَبَغْيَهُـــمْ
وتَسْـوِيَـةً مِـنْ جَـاهِـلٍ غَيْـرِ عَـالِـمِ
55 ـ بِقَـــافِيَـــةٍ لَـــوْ حُصِّلَـــتْ لَتَطَـــايَـــرَتْ
شُعَـاعـاً وَلَـمْ تَثْبُـتْ عَلَـى كَـفِّ نَـاظِـمِ
أَيَحْسَبُهَـــا المَغْـــرُورُ تُنْشَـــدُ بَعْـــدَهُ
وتُنْقَـلُ مِـنْ قِـرْطَـاسِهَـا المُتَقَـادِمِ؟
وَمَـا هِـيَ إلاّ كَـالقَسِـيِّ مَتَـى انْحَنَـتْ
أَعَـالِيـهِ يُطْـرَحْ مِـن جِيَـادِ الـدَّرَاهِـمِ
وَإِنَّ الّتِـــي رَتَّبْتُهَـــا بِمَـــدِيحِكُـــمْ
مُحَبَّـــرَةٌ مَـــا دَامَ نَسْـــلٌ لآدَمِ
رأَيْـــتُ عَـــدُوّاً بَـــاسِمـاً غَيْـرَ عَـابِـسٍ
وَكَـانَ زمَـانـاً عَـابِسـاً غَيْـرَ بَـاسِـمِ
60 ـ يُكَـاشِـرُنِـي والعَيْـنُ أَعْـدَلُ شَـاهِـدٍ
علـــى غَيْـــبِ وِدٍّ أو دَفِيـــنِ سَخَـــائِـمِ

وَكَـانَ غُـرَابُ البَيْـنِ قـد طَـارَ قَبْلَـهُ

يَهُـزُّ ذُنَـابَـاهُ قَصِيـرَ القَـوادِمِ

/ وَإِنِّـي لأَرْجُـو مِنْـكَ أجْـراً يُعِـزُّنـي [46]

علـى رَغْـم مَجْـدُوعِ المَعَـاطِـسِ رَاغِـمِ

وَمَـا هِـيَ إلاَّ فـي يَـدِ اللَّـهِ إنْ قَضَـى

بِهَـا يَسُـرَتْ مِـن كَـفِّ أَغْلَـبِ هَـاشِـمِ

وإِنِّـيَ لِلْـوَهّـابِ شَـاكِـرُ نِعْمَـةٍ

وللقَـائِـمِ المَـرْجُـوِّ رَاجِـي مَـرَاحِـمِ

65 ـ وَمَـدَّ بِهَـا الـوَهَّـابُ كَفًّـا كَـرِيمَـةً

مُعَـوَّدَةً بَـذْلَ اللُّهَـى وَالمَكَـارِمِ

فَمِثْلِـيَ يُـرْجَـى مَـدْحُـهُ وَثَنَـاؤُهُ

ومِثْلُـكَ يُـرْجَـى لِـلأُمُـورِ العَظَـائِـمِ

يُغَنِّـي بِهَـا الـرُّكْبَـانُ فـي كُـلِّ بَلْـدَةٍ

وَتُحْـدَى بِهَـا خُـوصُ الـرِّكَـابَ الـرَّوَاسِـمِ

[47] / شرح القصيدة الفزاريّة

لأبي القاسم محمّد بن عبد الرحمان العُتَقِي[1]

هذه القصيدة الفزاريّة وشرحها مستوفى فللّه الحمد والشكر والثناء ونسأله من فضله مزيد النعماء بحقّ سيدنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم

[48] / بسم الله الرحمٰن الرحيم

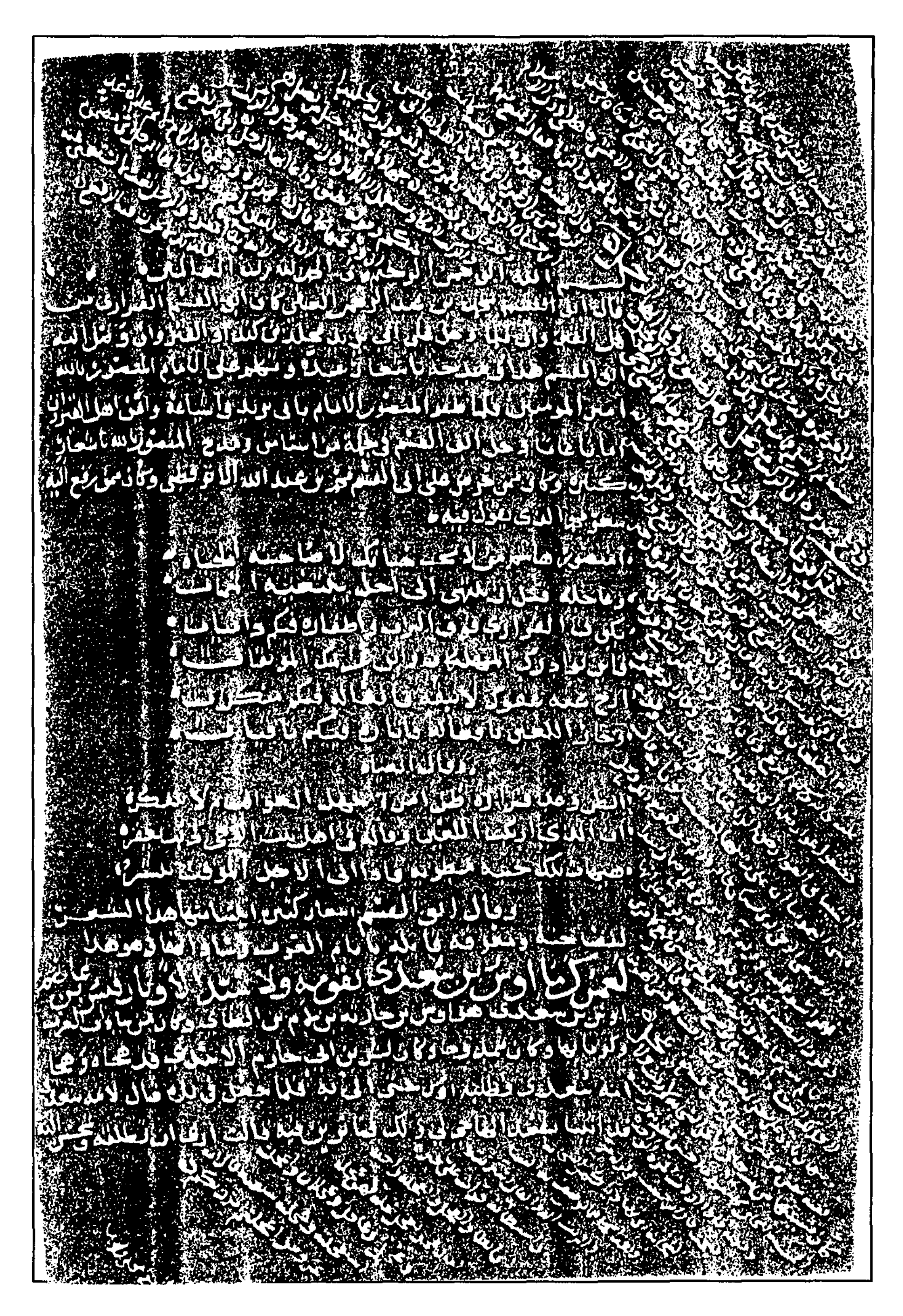
اللّهمّ اجعل أفضل صلواتك أبداً، وأنمى بركاتك سرمداً، وأزكى تحيّاتك فضلاً وعدداً، على أشرف الخلائق الإنسانيّة، ومعدن الدقائق الإيمانيّة، وطور التجليّات الإحسانيّة، ومهبط الأسرار الرحمانيّة، واسطة عقد النبيّين، ومقدَّم جيش المرسَلين، وقائد ركب الأنبياء الأكرمين، حاملِ لواء العزّ الأعلى، ولازم أزمّة المجد الأسنى، ترجمان الأزل في

---

(1) في الأصل «العيفي» وقد أثبته المحقّق هكذا اعتماداً على المخطوطتين «أ» و «ب» دون أن يعرّف بصاحب هذا الاسم. والتصحيح من المخطوطة «ج» (مخطوطة المتحف البريطاني) التي اعتمدها الأستاذ محمد اليعلاوي لمّا نشر القصيدة الفزارية في حوليّات الجامعة التونسيّة عدد 10 سنة 1973 ثم أعاد نشرها في كتابه «**الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي**» (بيروت 1983). وقد افترض أن يكون شارح هذه القصيدة هو المؤرخ محمد بن عبد الرحمان العتقي صاحب «**التاريخ الجامع**» وابن الشاعر أبي محمد عبد الرحمان العتقي الذي أورد الداعي إدريس في **عيون الأخبار** أبياته التحريضية على الفزاري، انظر محمد اليعلاوي، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** (بيروت 1985)، ص 454 الهامش 186 وص 455 الهامش 189.

القِدَم، ومنبع العلم والحلم والحِكَم، مظهر سرّ الوجود الجزئيّ والكلّيّ، وإنسانِ عين الوجودِ العلويّ والسفليّ، روحِ جسد الكونَيْن، وعينِ حياة الدّارَيْن، المتخلّق بأعلى رُتَب العبوديّة، المتحقِّق بأعلى المقامات الاصطفائية، الحبيبِ الأعظم، والجليلِ الأكرم، نبيّك العظيم، ورسولك الكريم، الدّاعي إلى الصّراط المستقيم، سيّدنا ومولانا محمّد وآله وصحبه أجمعين[1].

(1) لم يرد هذا الاستهلال إلا في المخطوطة «أ».



الصفحة الثانية من المخطوطة «أ»

الصفحتان الأولى والثانية من المخطوطة «ج»

/ بسم الله الرحمٰن الرّحيم والحمد لله ربّ العالمين[1] [49]

قال أبو القاسم محمد بن عبد الرحمٰن العُتَقي[2]: كان أبو القاسم الفزاري من أهل القيروان، فلما دخل أبو يزيد مخلد بن كيداد القيروان[3]، وصل إليه أبو القاسم هذا ومدحه بأشعار عدّة وتكلّم على [الإمام] المنصور بالله أمير المؤمنين[4]. فلما ظفر المنصور الإمام[5] بأبي يزيد وأشياعه وأمّن أهل القيروان أماناً عامّاً، دخل أبو القاسم في جملة من استأمن ومدح المنصور بالله بأشعار كثيرة. وكان ممّن حرّض على أبي القاسم محمّد بن عبدالله الأبرقطي[6]، وكان ممّا رُفع إليه شعر محمّد الذي يقول فيه [متقارب]:

أمنصـــورَ هـــاشـــمَ مـــن لا يحـــبّ

حيـــاتـــك لا صَحِبَتْـــهُ الحيـــاة!

---

(1) في «ب» والحمد لله وحده. وفي «ج» وبه نستعين. هذه القصيدة المشهورة بالفزارية وهي تشتمل على ذكر مائة سيّدٍ من أشراف العرب وأجوادها ممن تضرب بهم الأمثال.

(2) في «أ» العيفي. وفي «ب»: «قال أبو محمد عبد الرحمان العيفي». وفي «ج»: «قال أبو محمد عبد الرحمان العتقي رحمه الله تعالى».

(3) في «أ» و «ب»: «فلما دخل على أبي يزيد مخلد بن كيداد القيروان».

(4) في «ج»: «وتكلّم على المنصور بالله العبيدي»، وكلمة «الإمام» ساقطة.

(5) في «ج»: «فلما ظفر المنصور بالله بأبي يزيد».

(6) نسب الدّاعي إدريس المقطوعتين المواليتين إلى أبي محمد عبد الرحمان العتقي، انظر، تاريخ الخلفاء الفاطميّين بالمغرب، ص 454، هامش 186.

وعــــاجَلَــــهُ قبـــلَ أن ينتهـــي

إلــى أجـــلٍ يبتغيــه الممـــات!

يكــون[1] الفـــزاريُّ فـــوق التـــراب

وأظفـــاره فيكـــمُ داميــــات

[وسبُّكُــــمُ زَلَـــلٌ لا يُقـــال

فهـل تَغْفِـرُ الـزَّلَـلَ المـوبقـات]؟[2]

فـــأيـــن بـــوادرُك المُهلِكـــات

وأيـــن عـــزائمـــك المُنجِـــزات؟

أَزِحْ عنــــه عَفْــــوَك لا تُبْقِـــهِ

فـــأفعـــالُـــه فيكـــم منكـــرات

وجَـــازِ اللَّعيـــنَ بـــأفعـــالـــه

فـــآثـــارُه فيكـــم بـــاقيـــات

وقال أيضاً [كامل]:

أَيَظـــنّ وَغْـــدُ فـــزارةٍ ظـــنَّ امـــرىءٍ

جَهِـل العـواقـب [وهـو] لا يتفكّـر

أنّ الـــذي ارتكـــبَ اللّعيـــنُ وقـــالـــه[3]

فـي أهـل بيـت الـوحـي ذنـبٌ يُغْفَـر

هيهـــات تلـــك جنيّـــةٌ مطـــويّـــةٌ

فـــإذا أتـــى الأجـــل المُـــوَقَّـــتُ تُنْشَـــر

---

(1) في «ج»: «أيمشي الفزاريّ فوق التراب».

(2) هذا البيت ساقط من «أ» و «ب».

(3) في «ج»: «وناله من أهل بيت الوحي».

وقال أبو القاسم أشعاراً كثيرة أثبتنا منها هذا الشعر لفصاحته ومعرفة قائله بأيّام العرب وساداتها، وهو هذا[1].

---

(1) فـي «ج»: «وقال أبو القـاسم أشعـاراً كثيـرة منها هـذا الذي أثبتنـاه لفصاحتِه ومعرفة قائله بأيام العرب وأخبارها وأشعارها. فأنشأ يقول مشيراً إلى المنصور بالله العبيدي».

ملاحظة: لم يثبت المحقّق في مخطوطه هذه المقدمة التي وردت في «أ» و «ب» و «ج»، ربما اجتناباً للتكرار (انظر ص 67). وقد فضّلنا إثباتها تعميماً للفائدة.

[49] - [50] / 1 ـ لَعَمْـرُكَ مَـا أَوْسُ بْـنُ سُعْـدَى بِقَـوْمِـهِ
وَلاَ سَيِّـدُ الأَوْبَـارِ قَيْـسُ بْـنُ عَـاصِـمِ

* * *

أَوْس بن سُعْدَى هو أَوْس بن حارثة بن لأم الطّائي. وكان من سادات العرب وكرمائها. وكان بِشْر بن أبي خازم الأسديّ قد هجاه وهجا أمّه سعدى. [وسبب هجاء بشر لأوس ما حكاه أبو العبّاس المبرّد فقال: أوس بن حارثة بن لأم الطّائي كان سيّداً مقدّماً وفد هو وحاتم بن عبدالله الطّائي على عمرو بن هند، وأبوه المنذر بن ماء السماء، فدعا أَوْساً فقال له: أأنتَ أفضل أم حاتم؟ فقال: أَبَيْتَ اللّعن لو ملكني حاتم وولدي ولُحْمتي لوهبنا في غداة واحدة. ثم دعا حاتماً فقال له: أأنت أفضل أم أوس؟ فقال: أبيت اللّعن إنّما ذُكِرتُ بأوس، ولأَحدُ ولده أفضل منّي. وكان النعمان بن المنذر قد دعا بِحُلّة وعنده وفود العرب من كلّ حيّ، فقال: احضروا في غد فإني مُلبِس هذه الحلّة أكرمَكم. فحضر القوم إلا أَوْساً، فقيل له: لِمَ تخلّفتَ؟ فقال: إن كان المراد غيري فأجملُ الأشياء أن لا أكون حاضراً، وإن كنتُ المُراد فسَأُطْلَبُ ويُعْرَف مكاني. فلمّا جلس النعمان لم يَرَ أَوْساً، فقال: اذهبوا إلى أوس. فقالوا: احْضُرْ آمناً مِمّا خِفتَ. فحضر فأُلْبِس الحلّةَ، فحسده قومٌ من أهله، قالوا للحطيئة: اهْجُه ولك ثلاثمائة ناقة. فقال الحطيئة: كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالاً إلاّ من عنده. ثم قال [بسيط]:

كيــف الهجــاءُ ومــا تنفــكُّ صــالحــةٌ
مــن آل لأْمٍ بِظَهْــرِ الغَيْــبِ تــأتينــا[1]؟
المنعميــــن أقــــام العِـــزُّ وَسْطَهُــــمُ
بِيضَ الـوجـوه وفـي الهَيْجَـا مطـاعينـا[2]

فقال لهم بشر بن أبي خازم أحد بني أسد بن خزيمة: أنا أهجوه لكم. فأخذ الإبل وفعل][3].

فطلبه أوس حتّى أُتِيَ به إليه فلما حصل في يده قال لأمّه سُعْدَى: قد أَتَيْنَا ببشرٍ الهاجي لي ولكِ فما تَرَيْنَ فيه؟ [فقالت له: أَوَ تُطِيعُنِي فيه؟ قال: نعم!]، قالت أرى أن تُطْلِقَه وتحسن له [وأن تردّ عليه مالَه وتعفو عنه وتحبوه وافعل ذلك]، فإنه لا يغسل هجاءَه إلاّ مدحُه، فأَطْلَقَهُ أوس وأحسن إليه، فأقسم بشر لَيَمْدَحَنَّهُ ما عاش. فقال أوس: لأعطينّه كلما سلّم عليّ مائة ناقة. وكان بشر إذا مرّ بمجلس سلّم عليهم وقال: إلاّ أَوْساً وخَيْرَكُمْ تركتُ لكثرة عطاياه عنده واستحيائه منه.

[51] / [لم يذكر العتقي ولا المبرّد أنّى تمكّن أوس من بشر. وقد حكاه مَعْمَرُ بن المثنّى[4] في شرحه قال: إن بشر بن أبي خازم غزا طَيِّئاً ثمّ بني نبهان فخبّؤوه كراهية أن يبلغ أَوْساً. فسمع أوس أنه عندهم، فقال: والله لا يكون بيني وبينهم خيرٌ أبداً أو يدفعوه إليّ، ثم أعطاهم مائتَيْ بعير وأخذه. فجاء به وأوقد ناراً ليحرقه. وقال بعض بني أسد لم تكن ناراً ولكنه أدخله في جلد بعير حين سلخه ويقال جلد كبش. ثم تركه حتى

---

(1) في ديوان الحطيئة، نشر نعمان أمين طه، القاهرة 1987، ص 295، خمسة أبيات بقافية مكسورة: تأتيني.
(2) هذا البيت ساقط من ج ومن الديوان.
(3) التعاليق والفقرات الموضوعة بين معقّفين على هذه الصورة [ ] هي زيادات أضافها المحقق إلى النصّ الأصلي.
(4) هو أبو عبيدة صاحب نقائض جرير والفرزدق (ت 209).

جفّ عليه فصار فيه كأنه العصفور. فبلغ ذلك أمّه سُعْدَى بنت حصين الطائيّة وهي سيّدة، فخرجت إليه فقالت: ما تريد أن تصنع؟ فقال: أحرق هذا الذي شتمنا. فقالت: قبّح الله قوماً يسوّدونك ويقتبسون من رأيك. والله لكأنّما أخذت به. أما تعلم منزلته في قومه؟ خَلِّ سبيله وأكْرِمْهُ فإنه لا يغسل عنك ما صنع غيره. فحبسه عنده وداوى جرحه وكتمه ما كان يريد أن يصنع، وقال: ابعثْ إلى قومك يفدونك فإني قد اشتريتك بمائتي بعير. فأرسل بشر إلى قومه فهيّؤوا له الفداء وبادرهم أوس فأحسن كسوته وحمله على نجيبه الذي كان يركبه وسار معه حتى إذا بلغ أدنى غَطَفان جعل بشر يمدح أَوْساً وأهل بيته بمكان كل قصيدة هجاهم بها قصيدة، فهجاهم بخمس ومدحهم بخمس].

[52] وكان أوس بن حارثة قد/ غزا غَطَفان وأسر أسرى منهم فجاؤوا إلى أبي بَرَاءٍ عامر بن الطفيل[1] فحملوه إلى أوس في أسراهم فجاء فنزل عليه فقال له: مرحباً بك يا أبا بَرَاءٍ إن كنت طالباً نوالاً أنلناك، وإن كنت ذا حاجة قضينا حاجتك. فقال: ما جئتك إلا في أسارى هوازن. فقال: هم لك، وأحسن إليه، فراح أبو بَرَاء من عنده وفيه يقول [**وافر**]:

إلـــى أَوْسِ بـــنِ حـــارثـــةَ بْـــنِ لأْمٍ
ليقضِـــيَ حَـــاجَتِـــي فِيمَـــنْ قَضَـــاهَـــا
فمـــا وطِـــىءَ الثّـــرى مثـــلُ ابـــنِ سُعْـــدَى
وَلاَ لبِـــسَ النِّعـــالَ ولا احْتَـــذَاهَـــا[2]

وقال فيه أيضاً الأعشى [**طويل**]:

(1) كنية عامر بن الطفيل: أبو علي. أما أبو البراء فعامر بن مالك بن جعفر الكلابي الملقب بـ: «مُلاعب الأسنّة» (النقائض، 386).
(2) في الخزانة 4/444 البيتان لبشر بن أبي خازم.

إذا قيـــل أيُّ النّـــاس خيـــرٌ قبيلـــةً
وأَصْبَـــرُ يـــومـــاً لا تَـــوارَى كَـــوَاكِـبُـــه
فـــإنّ بنـــي حـــارثـــة بـــن لأم قبيلـــةٌ
لهـــم قِمَّـــةُ المجـــد الـــرّفيـــعِ وغـــاربُه[1]

وقال فيه أيضاً [وافر]:
أَلَـــمْ تَـــرَنـــي رَحَلْـــتُ العِيـــرَ يـــومـــاً
إِلـــى أَوْسِ بْـــنِ حـــارثَـــةَ بْـــنِ لاَمِ
إلـــى ضَخْـــمِ الـــدَّسيعـــة مِـــذْ حَجـــيٍّ
نمـــاه مـــن جَـــدِيلـــةَ خيـــرُ نـــامِ
وفـــي أَسْـــرَى هـــوازن أدركتهـــم
فـــوارسُ طَـــيِّءٍ بِلِـــوى بِـــرَامِ[2]
فَقَـــدَّم مـــا استطـــاع أبُـــو بُجَيْـــرٍ
ورَدَّ القَـــوْمَ مـــن قبـــل الكـــلامِ
فمـــا أَوْسُ بـــنُ حـــارثـــة بـــن لأم
بغمـــر فـــي الحـــروب ولا كهـــامِ[3]

وقال شاعر هوازن فيه أيضاً [وافر]:
إلـــى أَوْسِ بْـــنِ حـــارثـــةَ بْـــنِ لاَمِ
فـــإنّ المَـــرْءَ لـــم يُخْلَـــقْ ذمِيمَـــا

(1) البيتان مفقودان من ديوان الأعشى، نشر محمد حسين. والشطر الثالث غير موزون، وهو في «ج»: فإنّ بني لأم بنِ عمرو أرومَةٌ...
(2) [بِرَامٌ: جبل في بلاد بني سُلَيْم عند الحرّة من ناحية البقيع، ياقوت، معجم البلدان].
(3) هذه الأبيات لم نجدها أيضاً في الديوان. والكهام: الضعيف الكليل. والغَمْرُ: الذي لا تجربة له.

وَلاَ وَرِعـــاً إذا مـــا الحـــرب قـــامـــت

علـــى ســـاقٍ ولا بـــرِمـــاً لَئِيمَـــا

أبـــاد هـــوازنـــاً وأَبَـــادَ بَكْـــراً

وأشْجَـــى فـــي منـــازلهـــا تَمِيمَـــا

فلســـت بســـائـــل عمّـــا أصـــابـــت

يَـــدَاهُ مـــن فـــوارسهـــا قَـــدِيمَـــا[1]

وكان أَوْس حمل أبا بَرَاء على فرسه الصّدفاءَ وكساه ممّا كانت تكسوه الملوك.

وأمّا قيس بن عاصم المِنْقري، فهو قيس بن عاصم بن سِنَان بن خالد بن مِنْقَر من بني تميم، وهو سيّدهم في زمانه. وفيه قال رسول الله ﷺ: «هذا سيّد أهل الوَبَر» وكان حليماً كريماً،/ ومن شعره [53] قوله [كامل]:

إنّـــي امْـــرُؤٌ لا يعتـــري خُلُقِـــي

دَنَـــسٌ يُفنِّـــدُهُ ولا أفْـــنُ

مـــن مِنقَـــرٍ فـــي بَيْـــتِ مَكْـــرُمَـــة

والغُصْـــنُ يَنْبُـــتُ حـــولـــه الغُصْـــنُ

فُصحَـــاءُ حيـــن يقـــول قـــائلُهـــم

بيـــضُ الـــوجـــوه مصـــاقـــعٌ لُسْـــنُ

لا يفطَنُـــون لِعَيْـــبِ جَـــارِهِـــمُ

وهُـــمُ لِحِفْـــظِ جِـــوَارِهِ فُطْـــنُ[2]

---

(1) لم نجد هذه الأبيات في مصادرنا.

(2) الأبيات في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، 1584 وفي أمالي القالي، 1/289 وفي العقد، 2/277.

[كان قيس هذا فارساً شجاعاً وبطلاً مغواراً وحليماً مشهوراً به يُضرب المثل في الحلم، وشاعراً مفلقاً من فحول الشعراء والفرسان كثير الغارات مظفّراً في غزواته. قيل له: بِمَ سُدْتَ قَوْمَكَ؟ قال: بَذْلُ النَّدَى وكفُّ الأذى ونُصْرَةُ المولى وتَعْجِيلُ القِرَى. أدرك الإسلام فأسلم وحَسُن إسلامه. وفد على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم سنة تسع(1) واستعمله على صدقات بني سعد.

ولمّا انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى قسمها قيس في بني منقر وقال [طويل]:

مَـــنْ مُبْلِــغٌ عنّــي قــريشــاً رســالــةً
إذَا مـــا أَتَتْهـــا مُحْكَمَـــاتُ الـــوَدَائِـــعِ
حَبَـوْتُ بمـا صَـدَّقْـتُ فـي العلـم مِنْقَـراً
وأَيْـأَسْـــتُ منهــا كــلّ أَطْلَــسَ طَــامِــعِ

وعُمِّرَ بعد النبيّ ﷺ زماناً، ورُوِي عنه عدّة أحاديث. فلما حضرته المنيّة جمع بنيه وأوصاهم بقوله: إذا متّ فَسَوِّدوا كِبَارَكم ولا تسوّدوا صِغَارَكم فيُسَفِّهَ النّاسُ كِبارَكم وتَهُونُوا عليهم. وعليكم بحفظ المال فإنّه مَنْبَهَةٌ للكريم ويُسْتَغْنَى به عن اللّئيم. وإذا متّ فادفنوني في ثيابي التي كنت أصلّي فيها وأصوم. وإيّاكم والمَسْأَلَةَ فإنّها آخِرُ كَسْبِ الرّجل. وإذا دفنتموني فأَخْفُوا قبري عن هذا الحيّ من بكر بن وائل، فقد كان بيننا خماشات في الجاهلية. ثم جمع ثمانين سهماً فربطها بوتر، ثم قال: اكسروها، فلم يستطيعوا. ثم قال: فرّقوها ففرّقوها، فقال: اكسروها سهماً سهماً فكسروها. فقال هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفرقة ثم قال

(1) قدم قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ مع وفد تميم سنة تسع التي كانت تسمى سنة الوفود، سيرة ابن هشام، 4/206.

[خفيف]:

إنّمـا المَجْـدُ مَـا بَنَـى وَالِـدُ الصِّـدْ
قِ وأَحْيَـى فِعَـالَـهُ المـولـودُ

وتَمَـامُ الفضـل الشجـاعـة والحلـ
ـمُ إذا زانـه عَفَـافٌ وَجُـودُ

وثـلاثـون يـا بَنِـيّ إذا مَـا
جَمَعَتْكُـمْ فـي النّـائِبَـاتِ العُهُـودُ

[54] - [55] / كثـلاثيـنَ مـن قـداح إذا مـا
شـدّهـا للـزّمـان قـدح شـديـدُ

5 - لـم تُكَسَّـرْ وإن تَفَـرَّقَـتِ الأسـ
ـهُـمُ أَوْدَى بِجَمْعِهَـا التّبْـدِيـدُ

وذَوُو الحِلْـمِ والكبـائـرِ أَوْلَـى
أن يُـرَى مِنْكُـمُ لَهُـم تَسْـوِيـدُ

وعليكـم حفـظ الأصَـاغِـر حتّـى
يبلـغ الحنـث الأصغـر المجهـودُ]

ويُرْوَى أنّ الأحنف بن قيس قيل له: مِمَّنْ تعلّمتَ الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم. وذلك أنه كان يوماً مُحْتبِياً في نادي قومه يتحدّث مع أصحابه إذْ أُتِي برجل مقتول وآخر مربوط. فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ولدك. فقال لبنيه: أطلقوا عن ابن عمّكم الرّباط واذهبوا بأخيكم فواروه التراب، وادفعوا إلى أمّه مائة من إبلي فإنها غريبة فينا [مواساةً لها وتخفيفاً لمصابها]. ثم التفت إلى ابن أخيه فقال: لقد قطعت يدك وكسّرت عضدك [بئس ما فعلت، قد نقضت عهدك وأوهنت عضدك وخنت عشيرتك وأسقطت مروءتك وأشمتّ عدوّك وأسأت إلى قومك

فعَلاَمَ هذا الجرم الشائن وأنت الذي كنّا نرجوك لعظائم الأمور وندّخرك للملمّـات؟] ورجع يتحدّث وما نقض له حبوة ولا تغيّر وجهه[1].

[ومات قيس فقال عبدة بن الطبيب يرثيه [**طويل**]:

عليك سَلاَمُ اللَّهِ قيسُ بنَ عاصم
ورحمته ما شاء أن يترحّمَا

تحيّة من أوليته منك نعمة
إذا زار عن شحط بلادك سلّما

فما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنّه بنيان قوم تهدّما]

وقد ذكره الفرزدق في سَادَاتٍ سمّاهم في أبيات رثى بها وَلَدَيْهِ [**طويل**]:

بِفِي الشّامِتِينَ التُّربُ إنْ كان مَسَّني
رزيّةُ شِبْلَيْ مُخْدِرٍ في الضّراغِمِ

ومَا أَحَدٌ كان المَنَايَا وَرَاءَهُ
ولو عاش أيّاماً طِوَالاً بِسَالِمِ

وقد رُزِىءَ الأقوامُ قَبلِيَ بابنِهِمْ
وإخوانهم فاقْفَيْ فِعَال الأَكَارِمِ[2]

ومات أبي والمُنْذِرَانِ كِلاَهُمَا
وعَمْرُو بْنُ كلثوم شِهَابُ الأَرَاقِمِ

---

(1) الخبر في العقد الفريد، 2/277.

(2) في ديوان الفرزدق، نشر الصاوي، ص 764: «وإخوانهم فاقْفَيْ حَيَاءَ الكرائم».

5 ـ وقـد مَـات بِسْطَـامُ بْـنُ قَيْـسٍ وَعَـامِـرٌ
ومــات أَبُــو غَسَّــانَ شَيْــخُ اللَّهَــازِمِ

وقـد مـات خَيْـرَاهُـمْ فلـم يُهْلِكَـاهُـمُ
عشِيّــةَ بــانَا رَهْــطُ كَعْــبٍ وحَــاتِـمِ

[56] ـ [57] / فما ابْنَـاكِ إلاّ ابْـنٌ مِـنَ النّـاسِ فَـاصْبِـرِي
فَمَــا الصَّبْــرُ إلاَّ عُــدَّةٌ فــي العَظَــائِـمِ[1]

(1) [في الديوان: «فلن يُرجِع الموتى حنين المآثم»].

2 ـ وَلاَ كَانَ ذُو الجَدَّيْنِ بَيْنَ كَتَائِبٍ
لَهَــا مِيــمَ مِــنْ بَكْــرٍ وَحَــيِّ اللَّهَــازِمِ

* * *

وذو الجَدَّيْنِ مسعود بن بسطام من بني شيبان من ربيعة وهم سادات شيبان وهو من أشرافهم. [والصّواب هو قيس بن مسعود أقرّ له النّعمان بأنّه أفضل العرب وأعطاه مائة من الإبل وعارضه في ذلك حاجب بن زُرَارَة فنافره قيس بن مسعود عن أَكْرِمِهما قعيدةً وأحسنهما أدبَ ناقة وأكرمهما لئيم قوم، فبعث معهما النّعمان من ينظر في ذلك. فنافروا قيساً على حاجب فقال إذ ذاك النّعمان: كنت يا قيس ذا جَدّ فأنت اليوم ذو جَدَّيْن، فبذلك سُمِّي ذا الجدَّيْن. وقيل إنما سُمِّي بذلك لأسيرَيْن أسرهما مرّتين. ومما يؤيّد ذلك أنّ النّعمان كان يتّخذ للوفود عند انصرافهم مجلساً يطعم فيه معهم ويشرب. وكان إذا وضع الشراب سُقِيَ النّعمان، فَمَنْ بُدِىءَ به على أثره فهو أفضل الوفد. فلمّا وفد عليه وفد ربيعة وشرب النّعمان قامت القيْنة تنظر إلى النّعمان مَنِ الذي يأمرها أن تسقيه وتفضّله من الوفد. فنظر في وجهها ساعة ثم أطرق ثم رفع رأسه وأنشد يقول [بسيط]:

سَقِّــي وفــودَكِ مِمّــا كُنْــتِ سَــاقِيَتِــي
وابْــدِي بكـأس ابْـنِ ذي الجَـدَّيْـنِ بِسْطَـامِ
أَغَــرَّ يَنْمِيــه مِــن شِيبَــانَ ذُو أَنَفٍ
حَــامِـي الــذِّمَـامِ وعَــن أَعْــرَاضِهَــا رَامِ

قَـــد كَـــان قَيْـــسُ بْـــنُ مسعـــودٍ وَوَالِـــدُه
تَبْـــدَا المُلُـــوكُ بِـــهِ أيَّـــامَ أيَّـــامِ

فَـــارْضَـــوْا بِمَـــا فَعَـــلَ النُّعْمَـــانُ فِـــي مُضَـــرٍ
وَفِـــي ربيعَـــةَ مـــن تعْظِيـــمِ أَقْـــوَامِ

بِسْطَام فَارِسُ بَكْر بْنِ وَائِل ويُكَنَّى أبا الصّهباء، هو ابن سَيِّدِهَا ذي الجدَّيْن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني.

وقال محمود شكري الألوسي في **«بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب»**: والذي أعرفه أنا أنّ ذا الجدَّيْن إنّما هو عبدالله بن عمرو بن الحارث بن همام، سُمِّيَ بذلك لأنه اشترى كعب بن مامة من أيدي قوم عَنَزِيّين وكتم نفسه وعرّفه عبدالله أنه لم يشتره إلاّ عن معرفة، / فوهبه كلّ [58] - [59] ما لقي في طريقه من إبل أبيه بعُبْدانِها وكانت سوداً وحمراً وصهباً. وبلغ به إلى أبيه فأجاز له ذلك وأعطاه قبّته بما فيها. فلما أتى الحيرة قال بعض من رآه لصاحبه إنه لذو جدّ، قال الآخر بل هو ذو جَدَّيْن، فسُمِّيَ بذلك][1].

وخرج ولدٌ لِلَقيط بن زُرَارَة بن عُدس[2] التميميّ رهط الفرزدق من أشراف تميم وهو يجرّ ثوبه، فقال له: تجرّ ثوبك كأنك قد جئتني بابنة ذي الجدَّيْن أو بمائة من هجائن النّعمان. فقال له ابنه: أَوَ هُمَا الغاية عندك؟ فقال الفتى: لله عليّ نذرٌ لا غطّيت رأسي حتى آتيك بهما، ورحل من ساعته حتى أتى إلى ذي الجدَّيْن يخطب ابنته جهاراً وهو في نادي قومه. فقال: يا بنيّ أَوَ تكون الخطبة جهاراً؟ قال: نعم! لأني قد علمت

(1) [الزيادة من بلوغ الأرب للألوسي، ج 1 ص 286].
(2) [عُدُسَ: روى ابن الأنباري عن شيوخه أن عدس في العربية الأعدس بن زيد، فإنه يضمّها ولا خلاف في ضم عينه].

أني إن ساررتك لم أخدعك وإن جاهرتك لَمْ أَشِنْك. فقال: ومَنْ أنتَ؟ قال: أنا ولد لقيط بن زُرَارَة، قال: كفؤٌ كريم، وزوّجه بابنته. وخرج إلى النّعمان وافداً واستماحه فدفع إليه مائة من هجائنه فرجع إلى أبيه يجرّ ذيله باستحقاق.

[ولَهَامِيـمُ ج لُهْمُومٌ: الناقة الغزيرة اللّبن والسحابة الغزيرة القطر والعدد الكثير والجيش العظيم. ولهاميم النّاس أشياخهم وأسخياؤهم. ولهاميم ج لِهْمِيـم : السابق الجواد من الخيل والناس، وفي حديث عليّ: هم لهاميم العرب].

واللّهازم من بني شيبان منهم مالك بن مسمع وكان شريفاً سيّداً في قومه. [واللّهـازم ج لِهْزِمَة وهي عظم ناتىء في اللِحَى تحت الأذن وهما لهزمتان ـ واللهازم لقب بني تيم الله وقيس ابني ثعلبة من بكر بن وائل وعنزة بن أسد بن ربيعة وعجل بن لُجَيْم، وقد كانوا جميعاً حلفاء. ولهم يوم الوقيط على تميم، وعليهم يوم جَدود لبني مِنْقَر من تميم، وكذلك يوم ذي طُلُوح أو يوم الصّمد ويوم أود لبني يربوع من تميم على بكر بن ربيعة].

3 ـ وَرَبُّ مَعَدٍّ والأحَالِيفُ حَوْلَهُ
عُبَابٌ كَمَوْجِ اللُّجَّةِ المُتلاطِمِ

* * *

رَبُّ مَعَدّ قصيّ بن كلاب واسمه زيد وكان يُسمَّى مُجَمِّعاً وذلك أن قبائل قريش/ سارت إليه بمكّة وبنى دار النّدوة وأخذ المفاتيح من أبي سالم. وأولاده عبد مناف وعبد الدّار [وعبد العُزّى] وعبد. فأمّا عبد فدرجوا وبادوا ولم يبق لهم عقب. [وأمّا عبد العزّى فمنهم خويلد ابن أسد بن عبد العزّى جدّ الزبير بن العوّام، وهو أبو خديجة بنت خويلد وأبو خزام بن خويلد]. وأمّا عبد الدّار فمنهم آل أبي طلحة بن عثمان بن عبد الدّار، فقُتِلوا جميعاً يوم أُحُد إلاّ عثمان بن طلحة فإنه أسلم ودفع إليه النبي ﷺ مفتاح الكعبة. وأمّا عبد مناف بن قصيّ، فاسمه المغيرة وولده هاشم وعبد شمس والمطّلب ونوفل وأبو عمرو]. [60] - [61]

وفي قصيّ يقول الشاعر [طويل]:

أبوكم قُصَيّ كان يُدْعَى مُجَمِّعَا
بهِ جَمَعَ اللَّهُ القَبَائِلَ من فِهْرِ[1]

[كان أوّلُ من جَدَّدَ بناء الكعبة من قريش بعد إبراهيم عليه السّلام قُصَيّ بن كلاب وسقفها بخشب الدَّوم وجريد النخل وكانت خُزَاعة سَدَنَةَ

(1) البيت في الخزانة، 1/203، منسوباً إلى الفضل بن العبّاس بن عتبة بن أبي لهب.

الكعبة قبل قريش وكان أبو غبشان الخزاعي يلي من بينهم أَمْرَ الكعبة وبيده مفاتيحها. فاتّفق له أنه اجتمع مع قُصَيّ بن كلاب في شرب بالطّائف فخدعه قُصيّ عن مفاتيح الكعبة بأن أسكره ثم اشتراها منه بزقّ خمر. ومن ذلك الأمثال: أحمق من أبي غبشان وأندم من أبي غبشان وأخسر صفقة من أبي غبشان. وقال الشاعـر [بسيط]:

باعـت خُـزَاعَـةُ بيْـتَ اللَّـهِ إذْ سَكـرَتْ
بِـزِقٍّ خَمْـرٍ فَمَـا فَـازَت ولا رَبِحَـتْ]

4 ـ وَلاَ حَاجِبٌ ذُو القَوْسِ يَخْطُرُ حَوْلَهُ
قُـرُومٌ كَـأُسْـدِ الغِيـلِ مِـنْ آلِ دَارِمِ

* * *

وحاجب هو ابن زُرَارَة بن عُدُس التميميّ غير مدافع في شرفه في الجاهليّة والإسلام. [كان من حكّام تميم وله معرفة تامّة بأخبار العرب وأحوالهم وأنسابهم. وكان من مشاهير فصحاء زمانه وبلغائهم ومن المعروفين بالوفاء بين العرب]. وسُمِّي ذا القوس لأن حاجب بن زُرَارَة رهن قوسه، وذلك أنّ بلاد بني تميم أجدبت وهلكت مواشيهم فخرج بهم حاجب إلى بلاد فارس فمنعهم ربّ تلك البلاد المرعى وهو فارسي يُسمَّى حَشْناً. فقال له حاجب: دعنا فإنّا من صنائع الملوك وأتباعهم وقراباتهم. فقال له الفارسي: فإن كان فائتني بكتاب الملك كسرى بتبيان ذلك حتى آذن لك. فقال له حاجب: إلى أن آتيك بكتاب الملك كسرى تهلك إبلي وغنمي. ولكن خذ منّي رهناً حتى آتيك بكتابه. فقال له: وما رهنك؟ قال: قوسي هذه./ فأخذها منه على أنه لا يبيعها أبداً وأن العرب تسبّ بدون ذلك وتأنف أن يرهن الرجل سلاحه ثم يدعه. فتوجّه حاجب إلى الملك فأتاه بكتابه. [62] ـ [63]

[قال الإمام المرزوقي إنّ النبيّ ﷺ كان دعا على مُضَر وقال: اللّهمّ اشْدُدْ وطأتك على مُضَر وابْعَثْ عليهم سنيناً كسني يوسف. فتوالت الجدوبة عليهم سبع سنين. فلما رأى حاجب الجهد على قومه جمع بني فزارة وقال: إني أزْمعتُ على أني آتي الملك ـ يعني كسرى ـ فاطلب أن

يأذن لقومنا فيكونوا تحت هذا البحر حتى يَحْيَوْا. فقالوا: رشدت فافعل، ثم ارتحل. فلما بلغ كسرى شكا إليه الجهد في أموالهم وأنفسهم وطلب أن يأذن لهم فيكونوا في حدّ بلاده. فقال: أنتم معشر العرب غُدُر، فإذا أذنتُ لكم أفسدتم البلاد وأغرتم على العباد وآذيتموني. قال حاجب: إنّي ضامن للملك أن لا يفعلوا. قال: فمن لي بأن تفي أنت؟ قال: أرهنك قوسي. فلما جاء بها ضحك مَن حوله. فقال الملك: ما كان ليسلّمها، اقبضوها عنه! وأذن له أن يدخلوا الرّيف. ثم جاءت مُضَر إلى النّبيّ ﷺ بعد موت حاجب فدعا لهم فخرج أصحابه إلى بلادهم. وارتحل عُطَارِد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه، فقال: ما أنتَ الذي رهنتَها. قال: أَجَلْ! إنه هلك وأنا ابنه وقد وفّى له قومه ووفّى هو للملك. قال: ردّوا عليه! وكساه حلّة. فلما وفد إلى النبيّ ﷺ أهداها إليه فلم يقبلها فباعها من يهودي بأربعة آلاف درهم. فصار ذلك فخراً ومنقبة لحاجب وعشيرته][1].

وفي ذلك يقول حاجب ويفتخر على مُضَر قاطبة بإرضاعهم الملوك وأبناء الملوك [طويل]:

1 ـ فَقُلْ للّذي يَسْعَى لِيُدْرِكَ مَجْدَنَا
كأنّك عمّا يُحْدِثُ اللّهُ غائِبُ

حَظِينَا بإِظْآرِ الملوك ولم يَكُنْ
لتُدْرِكَهُ ما حَجّ لِلّهِ رَاكِبُ

كَفَلْنَا ابْنَ مَاءِ المزن وابْنَيْ مُحرِّقٍ
إلى أَنْ بَدَت منهم لِحًى وشَوَارِبُ

ثَلاثَةُ أَمْلاَكٍ رَبَوْا فِي حُجُورِنَا
على مُضَرٍ نَزْهُو بِهِمْ ونُغَالِبُ

---

(1) [الزيادة من الألوسي، 1/ 123].

5 ـ لَهُـم دَانَـتِ الأرْضُ العَـرِيضَـةُ كلُّهَـا
مَشَـارِقُهـا تُجْبَـى لَهُـمْ والمَغَـارِبُ
وكـادَتْ تَمِيـدُ الأرضُ بـالنّـاسِ إذْ رَأَوْا
لِعَمْـرِو بْـنِ هِنْـدٍ غَضْبَـةً وَهْـوَ عَـاتِـبُ
[64] ـ [65] / هُوَ الشَّمْسُ لاَحَتْ يَـوْمَ دَجْنٍ وأشْـرَقَتْ
لَهَـا الأرْضُ طُـرًّا والملُـوكُ كَـواكِـبُ
حَلَلْنَـا بِـأَثْنَـاءِ العُـذَيْـبِ وَلَـمْ يَكُـنْ
تَحِـلُّ بِـأَثْنَـاءِ العُـذَيْـب الـرَّكَـائِـبُ
لِنَكْسِـبَ مَـالاً أوْ نُفِيـدَ غَنِيمَـةً
وَعِنْـدَ ابْتِـلاَءِ النّفْـسِ تُبْلَـى الـرَّغَـائِـبُ
10 ـ وأقسـم حَشْنـا لا يُصَـالِـحُ وَاحِـداً
مـن النَّـاسِ حتّـى يَرْهَـنَ القَـوْسَ حَـاجِـبُ

[وفي ذلك يقول أبو تمّام من جملة أبياتٍ [طويل]:

إذَا افْتَخَـرَتْ يَـوْمـاً تَمِيـمٌ بِقَـوْسِهَـا
فَخَـاراً عَلـى مَـا وَطَّـدَتْ مِـن مَنَـاقِـبِ
فَـأَنْتُـمْ بِـذِي قَـارٍ أَمَـالَـتْ سُيُـوفُكُـمْ
عُـرُوشَ الـذيـن اسْتَـرْهَنُـوا قَـوْسَ حَـاجِـبِ

وقد لمّح العلاّمة الصّفدي إلى قوس حاجب بقوله في مليح قد حلق حاجبه، فقال [طويل]:

بَـدَا لـيَ فِـي حَلْـق الحَـوَاجِـبِ فِتْنَـةً
فَقُلْـتُ بِعَقْـلٍ ذَاهِـلٍ فِيـه ذَاهِـبِ

حَبِيبِــي بِحَــقِّ اللَّــهِ قُــلْ لِــي مَــا الّــذِي
دَعَــاكَ إِلَــى هَــذَا؟ فَقَــالَ مُجَــاوِبِــي:
وَعَــدْتُ بِــوَصْــلِ العَــاشِقِيــنَ تَعَطُّفــاً
فَلَــمْ يَثِــقُوا واسْتَرْهَنُوا قَــوْسَ حَــاجِبِ][1]

[ولمّا قُتِل شرحبيل بنُ الأسود بن المنذر غزا الأسود بني ذُبيان، فقتل وسبى. ثم إن سيّار بْنَ عمرو بن جابر الفزاري احتمل للأسود دِيَةَ ابنه ألف بعير، وهي ديةُ الملوك ورهنه بها قوسه فوفاه بها فقال في ذلك [طويل]:

ونحــن رَهَنَّــا القَــوْسَ ثُمَّــةَ نُــودِيَــتْ
بِــأَلْــفٍ عَلَــى ظَهْــرِ الفَــزَارِيّ أَقْــرَعَــا
بِعَشْــرِ مِئِيــنٍ لِلْمُلُــوكِ وَفَــى بِهَــا
لِيُحْمَــدَ سَيّــارُ بْــنُ عمْــرٍو فَــأَسْــرَعَــا

وقال في ذلك [رجز]:

وَهَــلْ وَجَــدْتُــمْ حَــامِــلاً كَحَــامِــلِ
إِذْ رَهَــنَ القَــوْسَ بِــأَلْــفٍ كَــافِــلِ
بِــدِيَــةٍ لِلْمَلِــكِ الحُــلاَحِــلِ
فَــافْتَكَّهَــا مِــنْ قَبْــلِ عَــامٍ قَــابِــلِ

فكان هذا قبل قوس حاجب].

[وَلمّا قدم النّعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها ممّا سمع من كسرى من تنقيص العرب وتهجين أمرهم، بعث إلى سادات العرب إذ ذاك

(1) [الزيادة من نفس المصدر، 1/124].

ومنهم حاجب بن زُرَارَة وأوصاهم بالمسير إلى كسرى والتكلّم معه حتى
[66] - [67] يعلم أن العرب على غير ما ظنّ. فقال حاجب بن زُرَارَة/ التميميّ: وَرِيَ زندك وعلت يدك وهيب سلطانك! إنّ العرب أمّة قد غلظت أكبادُها واستحصدت مِرَّتُها ومنعت درّتها، وهي لك وافقة ما تَأَلَّفْتَها، مسترسلة ما لاَيَنْتَها، سامعة ما سامحتَها. وهي العلقم مرارةً. وهي الصّابُ غضاضةً. والعسل حلاوةً. والماء الزلال سلاسةً. نحن وفودها إليك وألسنتها لديك. ذِمَّتُنا محفوظة وأحسابُنا ممنوعة. وعشائرنا فينا سامعة مُطيعة. إنْ نَؤُبْ لك حامدين خَيْراً فلك بذلك عُمُومُ مَحْمَدَتِنَا. وإنْ نُذَمّ لم نُخَصَّ بالذَّمِّ دُونَها. قال كسرى: ما أَشْبَه حَجَرَ التِّلَالِ بألوان صَخْرِهَا. قال حاجب: بل زَئِير الأُسْدِ بِصَوْلَتِها][1].

[واسْمُ دَارِم: بحر، واسم أبيه: مالك عُرْف. سُمِّي دارم دارماً لأنّ قومه أَتَوْا أباه مالكاً في حمالة، فقال له: قم يا بحر فائتني بالخريطة ـ يعني خريطة كان له فيها مال ـ. فحملها يَدْرِمُ عنها ثقلاً، والدرمان تقارب الخطو، فقال لهم: جاءكم يدرِمُ بها. فسُمِّي دارماً، وسُمّي أبوه عُرفاً لجوده][2].

(1) [الزيادة من العقد الفريد، 2/12].
(2) سقط البيتان 5 و 6 من نسخة ج، وقد نبّه الناسخ إلى النقص فقال: ينظر هنا: سقط إمّا ورقة أو أكثر.

5 ـ وَأَحْنَفُ سَعْدٍ بَيْنَ سَعْدٍ ومَالِكٍ
ومَـنْ رَامَهُـمْ مِـنْ نَهْشَـلٍ والبَـرَاجِـمِ

* * *

يعني الأحنف بن قيس ويُكَنّى أبا بحر وبه يضرب المثل في الحلم، فيقال «أحلم من الأحنف» وبحسن تدبير الأحنف سلمت تميم من الحيرة، وذلك أنّ زياد بن عمرٍو العتكيّ رتّب كتائبه لمّا أتى المِرْبَدَ في عقب قتل مسعود بن عمرو العَتَكِيّ[1]، فجعل في الميمنة بكر بن وائل وفي الميسرة عبد القَيْس وهم لُكَيْزُ بن أَفْصَى بن عبد القيس بن دُعْمِيّ بن جَدِيلَةَ بن أَسَدِ بن رَبيعَةَ، وكان زياد بن عمرو العَتَكِيّ في القلب، فبلغ ذلك الأحنف فقال: هذا غلامٌ [حَدَثٌ] شأنُهُ الشهرةُ وليس يبالي إن قَذَفَ بنفسه. فندب لأصحابه فجاءه حارثةُ بن بدر الغُدانِيّ [اليربوعيّ] وقد اجتمعت بنو تميم فلمّا طلع قال: قوموا إلى سيّدكم ثم أَجْلَسَهُ وشاوره فناظره في

(1) / [وسبب قتل مسعود أنّ عبيدالله بن زياد والي العراق ندب أهل البصرة لمبايعته [67] يوم بلغه موت يزيد بن معاوية، فبايعوه وخرجوا يمسحون أكفّهم بالحيطان وجاهروه بالعصيان. فخاف على نفسه فهرب ليلاً حتى نزل بدار مسعود بن عمرو فأجاره ثم اشتدّت الفتنة فلحق بالشام واستخلف مسعوداً على البصرة، فسار إليها الأزد وبنو ربيعة وعليهم مالك بن مسمع البكري حتى دخل مسجدها الجامع وصعد المنبر يأمر الناس بالسنّة وينهى عن الفتنة، فرماه علج من فارس بسهم فأصاب قلبه فمات. فاجتمعت الأزد وبنو ربيعة ورأسوا عليهم زياد بن عمرو وأتى المربد ليدرك ثأر أخيه. والمربد سوق بالبصرة كانت تباع فيه الإبل قديماً، بينه وبين البصرة ثلاثة أميال].

ترتيب القوم فجعلوا سعداً والرِّبَاب في القلب ورئيسُهُم عَبْسُ بن طَلْقِ العَطَّان المعروف بأبي كَهْمَس وهو أحد بني صريم بن يربوع جعلوه بحذاء الأَزْدِ وجعلوا حارثة بن بدر في بني حَنْظَلة بحذاء بكر بن وائل وجعلوا عمرو بن تميم بحذاء عبد القَيْس، وفي ذلك يقول حارثة بن بدر للأحنف [متقارب]:

سيكفيـــكَ عَبْـــسٌ أخـــو كَهْمَـــسٍ
مُقَـــارعَـــةَ الأَزْدِ وَالمِـــرْبَـــدُ(1)

ويكفيـــك عمـــروٌ علـــى رِسْلِـــهِ
لُكَيْـــزَ بْـــنَ أَفْصَـــى ومـــا عـــدّدُوا

[68] - [69] / ويكفيـــك بكـــرٌ إذا أقبلـــت
بِضَـــرْبٍ يَشِيـــبُ لـــه الأمْـــرَدُ

فلمّا ترامت الكتائب بعث إليهم الأحنف يقول: يا مَعَاشِرَ الأَزْدِ وربيعةَ من أهل البصرة أنتم والله أَحَبُّ إلينا من تميم الكوفَةِ وأنتم جيرانُنا [في الدّار] وأيدينا على العدوّ وأنتم بدأتمونا بالأمس ووطئتم حَرَمَنَا وحرّقتم علينا فدافعنا عن أنفسنا ولا حاجة لنا في الشرّ ما أصبنا في الخير مسلكاً فيمّموا بنا طريقاً قاصداً. فوجّه إليه زياد بن عمرو العتكيّ من يقول: تَخَيَّروا منّي في ثلاث: إن شئتَ فانزل أنتَ وقومُكَ على حكمنا، وإن شئتَ فاترك البصرة وارحل أنت وقومك إلى حيث شئتم وإلاّ فَدُوا قتلانا واهْدُرُوا قتلاكم ولْيُودَ مسعودٌ دِيَةَ المعشرة، وكان الرجل إذا قُتِل وهو من بيت المملكة يُودَى عشر دِيَّات في الجاهلية. فبعث إليهم الأحنف بن قيس، [سنختار فانصرفوا في يومكم، فهزّ القوم راياتهم وانصرفوا، فلما كان الغد بعث إليهم يقول]: إنّكم خيّرتمونا خِلاَلاً ليس فيها خيار، إمّا النزول على حكمكم فكيفَ يكون ذلك والكَلْمُ يقطر دماً،

(1) في النقائض، 738 (رقم 69): بالمِربدِ.

وإمّا تَرْكُ ديارنا فهو أخو القتل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْكُمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُم أَوِ اخْرجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[1]، وإمّا الثالثة إنّما هي أجْمَلُ علينا. فنحن نُبْطِلُ دِمَاءَنا ونَدِي قَتْلاَكُمْ. وأمّا مسعود فهو رجل من المسلمين وقد أذْهَبَ الله حكم الجاهليّة. فأجمع رأي القوم على أن يوقفوا مسعوداً ويدوا سائر القتلى من الأزد وربيعة. وضمن بذلك الأحنف ودفع إياس بن قتادة المُجَاشعيّ رهينة حتّى يُؤَدِّي الدِّيات، فرضي بذلك القوم وفخر بذلك الفرزدق فقال [طويل]:

ومِنَّا الّذي أعْطَى يَدَيْهِ رَهِينَةً
لِغَارَيْ مَعَدٍّ يَوْمَ ضَرْبِ الجماجِمِ

حمى كُلَّ أنثى ما تخاف على ابنها
وهُنَّ قِيامٌ رَافِعَاتُ المعاصِمِ

عَشِيَّةَ سَالَ المِرْبَدَانِ كِلاَهُمَا
عجاجَةَ مَوْتٍ بالسُّيوف الصَّوَارِمِ

هُنَالِكَ لو تَبْغِي كُلَيْباً وَجَدْتَها
أَذَلَّ من القِرْدان تحت المناسِمِ[2]

ويقال إنّ تميماً كانت ذلك اليوم مع ناديها وحلفائها من الأساوِرَةِ والزُّطِّ / والسبابجة[3]. وغيرهم وكانوا زهاء سبعين ألفاً. وفي [70] ذلك يقول جرير [كامل].

سَائِلْ ذَوِي يَمَنٍ ورهْطَ مُحَرّقٍ
والأَزْدَ إذ نَدَبُوا لنا مسعوداً

---

(1) سورة النساء، الآية 66. (2) ديوان الفرزدق 861 والنقائض 740.

(3) الزطّ والسبابجة: قوم من المرْتزقة من الهند، قال الشاعر [طويل]:

. . . وجاءت تميم زُطّها والأساور

فـأتـاهـمُ سبعـون أَلْـفَ مُـدَجَّـجٍ
مُتَسَـربِليـنَ يَـلامِقـاً وحـديـدَا[1]

وكانت ربيعة والأزد وغيرهم ستة وعشرين ألفاً.

[وكان رسول الله ﷺ قد بعث إلى قوم الأحنف يدعوهم إلى الإسلام. فلما لم يجيبوا، قال لهم الأحنف: إنّه يدعوكم إلى الإسلام وإلى مكارم الأخلاق وينهاكم عن مَلاَئِمِها فأسلموا وأسلم، ولم يَفد فيمن وفد على النبيّ ﷺ حتى إذا كان عهد عمر وفد عليه، وبعثه عمر إلى خراسان ثم شهد صفّين مع عليّ كرّم الله وجهه، وكان سيّد تميم في عهد معاوية ثم خرج مع مصعب بن الزبير إلى الكوفة فمات وقد كبر جدّاً وكانت وفاته سنة 69 هـ [688 م].

وقامت فرغانة بنت أَوْس بن حَجَر على قبر الأحنف وهي على راحلة فقالت:

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون. رحمك الله أبا بحر من مَجَنٍّ في جَنَن ومُدْرَجٍ في كَفَن. فوالذي ابتلاني بفقدك وبلّغني يوم موتك لقد عشتَ حميداً ومتّ فقيداً. ولقد كنتَ عظيم الحلم، فاضل السّلم، رفيع العماد، واري الزناد، منيع الحريم، سليم الأديم، وإن كنت في المحافل لشريفاً، وعلى الأرامل لعطوفاً، ومن النّاس لَقريباً، وفيهم لَغريباً. وإن كنت لَمُسَوَّداً، وإلى الخلفاء لَمُوَفَّداً، وإن كانوا لِقَوْلِكَ لَمُسْتَمِعِين، ولِرَأْيِكَ لَمُتَّبِعِين». ثم انصرَفَتْ.

[والبراجم في الأصل رؤوس الأشاجع التي هي الأصابع. وهذا لقب أبناء حنظلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم، لأنّهم كانوا خمسة فاتّحدوا وصاروا كبراجم الكفّ].

---

(1) ديوان جرير، نشر الصاوي 172 والنقائض 736.

6 ـ ولاَ خَالِدٌ سُمُّ العُدَاةِ بْنُ جَعْفَرٍ
وَلاَ الحَارِثُ الشَّهْمُ الفُؤادِ بْنُ ظَالِمِ

* * *

[خالد بن جعفر بن كلاب العامريّ ممّن ضُرِب بشجاعته المثل من عرب الجاهلية وكان من/ ساداتهم وخطبائهم، وفد على كسرى بإيعاز من [71] النّعمان فتكلّم وقال: أحضر الله الملك إسعاداً وأرشده إرشاداً. إن لكلّ مَنطقٍ فرصةً ولكلّ جابةٍ غصّةً وعِيّ المنطق أَشَدُّ من عِيّ السكوت وعثار القول أَنْكَى من عثار الوعث. وما فرصة المنطق عندنا إلاّ بما نهوى، وغصّة المنطق بما لا نهوى غير مستساغة، وَتَرْكِي ما أعلم من نفسي ويعلم مَن سمِعني أنني له مطيق أَحَبُّ إليّ من تكلّفي ما أَتَخَوَّف ويُتَخَوَّف منّي. وقد أوفدنا إليك ملكنا النّعمان وهو لك من خير الأعوان. ونِعْمَ حامل المعروف والإحسان، أنفسنا بالطّاعة لك باخعة ورقابنا بالنصيحة خاضعة وأيدينا لك بالوفاء رهينة. قال له كسرى: نطقت بعقل وسموْت بفضل وعلوت بنُبْل.

وحكى محارب بن زياد أنّ أوّل من كسى الكعبة الديباج خالد بن جعفر بن كلاب. أصاب لطيمةً في الجاهلية وفيها نَمَط ديباج فَناطه بالكعبة].

وخالد بن جعفر سيّد بني كلاب قاتل زهير بن جذيمة. [وسبب قتله أن هوازن كانت لا ترى زهير بن جَذِيمَة إلاّ ربًّا. وهم رعاء الشاء

في الجبال وكان زهير يَعْشُرُهم. فكان إذا كان سوق عكاظ أتاها زهير فتأتي هوازن بالأتاوة التي في أغنامهم فيأتونه بالسَّمْن والأَقِط والغنم فجاءت عجوز من هوازن بِسَمْن في نِحْيٍ واعتذرت إليه وشكت السنين التي تتابعت على الناس، فذاقه فلم يرض طعمه فدفعها بقوس كانت بيده فسقطت فبدت عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقدته إلى ما كان في صدرها من الغيظ. وكانت قد كثرت عامر فآلى خالد على نفسه أن ينتقم لها، واتّفق نزول زهير بالقرب من أرض بني عامر. فبلغ الخبر إلى عامر فركب خالد بن جعفر وحُنْدُج بن البكاء ومعاوية بن عبّاد وفوارس بني عامر واقتصّوا فرأوا إبل بني جَذِيمَة وجاءت الرعاء فخبّرت بهم فقال زهير: «كل أزبّ نفور». فأرسلها مثلاً. وحلف لا يبرح مكانه حتى يصبح وتحمّل من كان معه غير ابنيه ورقاء والحرث. فلم يشعر إلاّ والخيل أحاطت به. وركب زهير على فرسه القعساء وكانت متمرّدة فلحقه خالد راكباً فرسه حَذْفَة وهو يقول: لا نجوتُ إن نجا زهير! فاعتنق خالد زهيراً وخرّا عن فَرَسَيْهما ووقع خالد فوق زهير واستغاث ببنيه فأقبل إليه ورقاء، / فضرب خالداً ثلاث ضربات فلم يُغْنِ شيئاً، وكان [72] على خالد درعان ثم ضرب حُنْدَج رأس زهير فقتله. وقال خالد يمنّ على هوازن بقتله زهيراً [**كامل**]:

بــل كيــف تكفــرنــي هــوازن بعــدمــا
أَعْتَقْتُهُــــمْ فتَــــوَالَــــدُوا أحــــرارَا

فقتلـــتُ رَبَّهُـــمُ زهيـــراً بعـــدمـــا
جـــدع الأنـــوف وأكثـــر الأوزارَا

وجعلـــتُ حَـــزْنَ بِـــلاَدِهِـــمْ وَجِبَـــالَهُـــمْ
أَرْضاً فضـــاءً سَهْلـــةً وعشـــارَا

وجَعَلْــتُ مَهْــرَ بَنَــاتِهِــمْ ودِمَــاءَهُــمْ

عقــل الملــوك هجــائنــا أبكــارا]

ولمّا قتل خالد زهيراً غضب لذلك رجال غَطَفان وأنكروا قتله فخرج خالد إلى النعمان فاستجار به من غَطَفان جميعها فأجاره وأحسن منزلته وأمر له بقبّة من قبابه فضُرِبَت له وكان مع خالد أخوه عروة بن جعفر، فضمن الحارث بن ظالم المرّي من بني مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن ربيب بن غطفان قتل خالد بن جعفر، وكان الحارث فتّاكاً مِقْداماً شجاعاً في قومه فرحّل راحلته وأحقبها درعه وتنكّب قوسه ومعه صديق له من محارب بن ثعلبة حتى رحلا إلى النّعمان بن المنذر وكان مُكْرِماً للحارث إذا وصل إليه عارفاً لحقّه. واستأذن عليه فأذن له ومعه صديقه المحاربي وعند النعمان جلساؤه ومنهم خالد بن جعفر ومعه أخوه عروة وهم يأكلون رُطَباً في طبق، فلما أكرمه النعمان وقدّمه، قال خالد: أبيت اللّعن مَنْ هذا الذي تكرمه وتدنيه في مجلسك؟ قال: هذا فارس العرب وشاعرها ابن عمّك الحارث بن ظالم. قال خالد: أيّها الملك إنّ لي عنده يداً حسنة فليت شعري كيف شُكْرُهُ لي عليها؟ قال الحارث: وما هي يا خالد؟ قال: قتلتُ سيّد قومك زهير بن جذيمة وتَرَكْتُك سيّد غَطَفان من بعده. قال الحارث: أنت قتلتَه؟ قال: نعم! قال: شكري لك على قدر فعلك. وجعل الحارث يده في الطبق معهم فتفلت الواحدة من الرطب على الطبق من يده وربّما يرفع الواحدة فيضعها في عينه وربما سقط بعضها ويأكل بعضها أسَفاً وغيظاً، وقد أمر له النعمان بقبّة فضُرِبت له وأُنْزِل فيها وأقبل على خالد بعد أن نهض الحارث إلى قبّته فقال له: عجّلتَ على الرّجل وقَبُحْتَ بذكرك قتل ابن عمّه وسيّد قومه. قال: وما عسى أن يكون منه أيّها الملك؟ ثم لامه أيضاً أخوه عروة، فقال: والله لو وجدني نائماً ما أيقظني. فلمّا جنّ/ اللّيل على خالد دخل قُبّته وأسرجها [73]

عليه وعلى أخيه عروة. وبعث النّعمان إلى الحارث بضيافة وبوعاء فيه خمر مع جارية من جواريه فقالت: إن الملك يقول لك ويقسم عليك لتشربنّ هذا الخمر. وإنّما أراد النّعمان أن يلهو الحارث بالخمرة فيصدّه عن خالد. فشرب منها يسيراً وصبّها بين جسده وقميصه إلى الأرض وأرى الجارية أنّه شربها. فلما نامت العيون عمد الحارث إلى ناقته فشدّها برحلها وإلى فرسه فأسرجه وطرد عنه صديقه المحاربي لما رأى من جزعه وهتك القبّة ودخل على خالد وهو نائم فأيقظه فلما استوى خالد جالساً ضربه ضربةً أزال بها رأسه عن جسده وكان قد أبعد ناقته عن المدينة وعقلها على قارعة الطريق ثم استوى على فرسه ونجا باللّيل[1].

[وكان وفاء الحارث بن ظالم أنّ عياض بن دَيْهَثَ مرّ برعاء الحارث وهم يسقون فسقى فقصر رشاؤه فاستعار من أرشية الحارث فوصل رشـاءه فأروى إبِلَه. فأغار عليه بعض حشم النّعمان فأطردوا إبِلَه فصاح: يا جاراه! فقال له الحارث: ومتى كُنْتُ جَارَك؟ قال: وَصَلْتُ رِشائي برشائك فسقيتُ إبلي. قال: جوارٌ وربِّ الكعبة! (كان من التزام العرب برعاية الجوار ما هو أعجب العجب، وذلك أنّ الإنسان إذا لمس طُنُبَ بيته طُنْبُ بيت آخر لزمه حرمة الجوار والذمّة. وإذا علق له دَلْوٌ بِدَلْوٍ آخر في بئر لزمه حرمة الجوار والذمّة). فأتى النّعمان فقال: أَبَيْتَ اللّعن أغار حَشَمُك على جاري عياض بن دَيْهَثَ فأخذوا إبلَه وماله فارْدُدْ عليه. فقال له النّعمان: أفلا تشدّ ما وَهَى من أديمك؟[2] يريد أنّ الحارث قتل خالد بن جعفر بن كلاب في جوار أسود بن المنذر. فقال الحارث: «هل تعدون الحيلة إلى نفسي؟». فأرسلها مثلاً، أي أنك لا تهلك إلاّ

---

(1) أخبار خالد بن جعفر العامريّ والحارث بن ظالم المرّيّ مرويّة في كتب أيّام العرب، وانظر أيضاً كتاب «أشتات في اللغة والأدب والنقد»، لمحمّد اليعلاوي ص 247 ـ 250.

(2) بلوغ الأرب، 1/193.

نفسي إن قتلتها. فتدبّر النّعمان كلمته فردّ عليه عياض أهله وماله.

وكان الحارث من فصحاء العرب وخطبائهم. فلما دخل على كسرى في مَنْ وفد عليه بأمر النّعمان بن المنذر قال: إنّ آفة المنطق الكذب، ومن لؤم الأخلاق المَلَق، ومن خطل الرأي خفّة الملك المُسَلَّط. فإن أعلمناك أنّ مواجهتنا لك عن ائتلاف، وإيفادنا لك على تصاف، ما أنت لقبول ذلك منّا بخليق، ولا الاعتماد عليه بحقيق. ولكن الوفاء بالعهود،/ وإحكام وَلْثُ العقود. والأمر بيننا وبينك معتدل، ما لم [74] يَأْتِ من قِبَلِكَ مَيْلٌ أو زَلَل. قال كسرى: مَنْ أنت؟ قال الحارث بن ظالم. قال: إنّ في أسماء آبائك، لدليلاً على قلّة وفائك، وأن تكون أَوْلَى بالغدر، وأقرب من الوزر. قال الحارث: إنّ في الحقّ مغضبة والسَـرْوُ التغافلُ ولن يستوجب أحدٌ الحِلْم إلاّ مع القدرة. فَلْتُشْبِهْ أفعالُك مجلسَك. قال كسرى: هذا فتى القوم!][1].

(1) الرواية في العقد الفريد، 2/19.

7 ـ وَذُو الجَبَلَيْنِ في عَصَائِبِ طَيِّءٍ[1]
فَتَى الفَضْلِ والنُّعْمَى عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ

* * *

يعني جَبَلَيْ طيّىء: أجَأ وسَلْمَى. قال زيد الخيل [وافر][2]:

جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ أجَإٍ وسَلْمَى
تَخُبُّ جِيَادُنَا خَبَّ الرِّكَابِ
جَلَبْنَا كلَّ طِرْفٍ أَعْوَجِيٍّ
وسَلْهَبَةٍ كَخَافِيَةِ الغُرَابِ
[نَسُوفٍ للحِزَامِ بِمَرْفِقَيْهَا
شَنُونِ الصُّلْبِ صَمَّاءِ الكِعَابِ]

[وعديّ هو عديّ بن حاتم بن عبدالله الطّائي ويكنّى أبا طريف. وأبوه حاتم هو الذي يُضْرَب به المثل في الجود والكرم. وكان عديّ طويلاً، إذا ركب الفرس كادت رجله تخطّ في الأرض. نشأ في حجر والده حاتم وتخلّق بأخلاقه وفضائله وصار بعد وفاته رئيس قومه. وكان أبيًّا فخوراً. وكان شاعراً بارعاً وإن لم يبلغ في ذلك مبلغ أبيه. ومن قوله [منسرح]:

---

(1) في «ج»: «وذا الجبلين من عصائب طيّ».
(2) الأبيات في معجم البلدان لياقوت، مادّة أجأ ومادة ملح. وزيد الخيل ـ ثم زيد الخير ـ هو زيد بن مهلهل الطائي.

أصبحـــتُ لا أَتْبَـــعُ الصّـــدِيـــقَ وَلاَ
أَمْلِـــكُ ضُـــرًّا للشَّـــانِـــىءِ الشَّـــرِسِ
وإِنْ عَـــدَا بِـــي الكُمَيْـــتُ مُنْطَلِقـــاً
لـــم تمْلِـــكِ الكَـــفَّ رَجْعَـــةُ الفَـــرَسِ
أَصْبَحْـــتُ حِشّـــاً مُمَيَّتـــاً خَلَفـــاً
قَلْبِـــي لِحُـــبِّ الحَيَـــاةِ فِـــي لَبَـــسِ

وقال في صفّين [رجز]:

أقـــول لمَّـــا أَنْ رأيـــتُ المَعْمَعَـــهْ
واجْتَمَـــعَ القَـــوْمُ فـــي وَسْـــطَ البَلْقَعَـــهْ
هَـــذَا عَلِـــيٌّ والهُـــدَى حقًّـــا مَعَـــهْ
فَمَـــنْ أَرَادَ غَيَّـــهُ فَضَعْضَعَـــهْ
/ يَـــا رَبِّ فَـــاحْفَظْـــهُ ولا تُضَيِّعَـــهْ [75]
فـــإِنّـــهُ يَخْشَـــاكَ رَبّـــي فَـــارْفَعَـــهْ

وقال وقد حمل في صفّين على عبد الرّحمان بن خالد [رجز]:

أَرْجُـــو إلَهِـــي وأَخَـــافُ ذَنْبِـــي
وليـــس شَـــيْءٌ مِثْـــلُ عَفْـــوِ رَبِّـــي
يَـــا ابْـــنَ الـــوَلِيـــدِ بُغْضُكُـــمْ فِـــي قَلْبِـــي
كَـــالهَضْـــبِ بَـــلْ فَـــوْقَ قِنَـــانِ الهَضْـــبِ

وكان عديّ كريماً جواداً، ومن طريف حديثه أنّ سالمَ بن دارة الأسدي أتى عديَّ بن حاتم فقال له: قد مَدحْتُكَ. فقال عديّ: أَمْسِكْ عليك حتى أُنْبئَكَ بمالي فتَمْدحَني على حسبه. لي أَلْفُ ضَانِيَةٍ وأَلْفَا درهم

وثلاثةُ أَعْبُدٍ وفرسي هذا حبيس في سبيل الله، فَقُلْ. قال [طويل]:

تَحِــنّ قَلُــوصِــي فــي مَعَــدٍّ وَإنّمــا
تُــلاَقــي الــربيــعَ فِــي دِيَــارِ بنــي ثُعَــلْ
وأَبْقَــى اللّيــالــي مــن عــديّ بــن حــاتــمٍ
حُسَــامــاً كَلَــوْنِ المِلْــحِ سُــلَّ مــن الخِلَــلْ
أَبُـــوكَ جَـــوَادٌ لا يُشَـــقُّ غبـــارُهُ
وأَنْـــتَ جَـــوَادٌ مـــا تَعَـــذّرَ بـــالعِلَـــلْ
فـــإِنْ تَتّقُـــوا شـــرّاً فَمِثْلُكُـــمُ اتَّقَـــى
وإنْ تَفْعَلُـــوا خَيْـــراً فَمِثْلُكُـــمُ فَعَـــلْ[1]

فقال له عديّ: أَمْسِكْ عليك، لا يبلغ مالي أكثر من هذا. وشاطره مَالَهُ.

وغزا المسلمون أحياء طيّـىءٍ فأسروا السفّانة ابنة حاتم وأخت عديّ. قال عليّ كرّم الله وجهه: لمّا أتينا بسبايا طيّىء كانت في النسّاء جارية حمراء حوراء العينين لعساء لمياء عيطاء شمّاء الأنف معتدلة القامة ردماء الكعبَيْن خدلجة السّاقَيْن خميصة الخصر ضامرة الكشحين مصقولة المتنَيْن. فلما رأيتها أعجبت بها فقلت لأطلبنّها إلى رسول الله ﷺ ليجعلها من فَيْئي. فلما تكلّمَتْ أنسيت جمالها لمّا سمعت فصاحتها. فقالت: يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد. فإن رأيت أن تخلّي عنّي فلا تشمت بي أحياء العرب فإني بنت سيّد قومي. كان أبي يفكّ العاني ويحمي الذمار ويُقري الضّيف ويشبع الجائع ويفرّج عن المكروب ويطعم الطّعام ويفشي السّلام ولم يردّ طالب حاجة قطّ. أنا بنت حاتم طيّىءٍ. فقال لها

---

(1) الأبيات في الوافي بالوفيات للصفديّ 19/529 (رقم 546).

رسول الله ﷺ: يا جارية هذه صفة المؤمن. لو كان أبوك مسلماً لترحّمنا عليه. خلّوا عنها فإنّ أباها كان يحبّ مكارم الأخلاق، / والله يحبّ مكارم [76] الأخلاق. فلمّا قدمت السفّانة الشّام أخبرت أخاها بما فعل محمّد ﷺ، فأثّر ذلك فيه ودفعه إلى أن يفد بقومه على النبي ﷺ وحادثه. فقال عديّ: إنّ فينا أشعر النّاس وأسخى الناس وأفرس النّاس. أراد بأشعر النّاس امرأ القيس بن حجر وبأسخاهم حاتماً وبأفرسهم عمرو بن معدي كرب. فأسلم عديّ وولّاه النبيّ ﷺ صدقات قومه. ولما ادّعى طليحة بن خويلد الأسدي النبوّة على عهد أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وانضمّت إليه غَطَفان وهوازن وطيّء، دعا عديّ بن حاتم قومه للإسلام فأجابوه وسهّل بذلك الأمر على خالد لهزم المرتدّين. وقدم عديّ على عمر بن الخطّاب فكأنّه رأى منه جفاء، فقال له: أَمَا تعرفني؟ قال: بلى! والله أعرفك أكرمك الله بأحسن المعرفة، أسلمتَ إذْ كفروا وعرفتَ إذْ أنكروا، ووفَّيْتَ إذ غدروا، وأَقْبَلْتَ إذْ أدبروا. فقال: حسبي يا أمير المؤمنين حسبي. وشهد مع عليّ رضي الله عنه يوم الجمل فَفُقِئَتْ عينه وقُتِلَ ابنه يومئذ وقُتِل ابنه الآخر مع الخوارج. وشهد مع عليّ كرّم الله وجهه يوم صفّين ومات في زمن المختار وله مائة وعشرون سنة].

ومن فخر عديّ بن حاتم أنّ النبيّ ﷺ قدّمه وأكرمه. قال عديّ: قدّم إليّ النبيّ ﷺ وسادة من أدم حشوها ليف، فأمرني بالقعود عليها فدفعها إليّ ثمّ لم يزل يدفعها إليّ وأدفعها إليه حتى كنت القاعد عليها دونه.

8 ـ وَلاَ كَانَ زَيْدُ الخَيْلِ والخَيْرِ والقَنَا
وزَيْـدُ المَنَـايَـا والسُّيُـوفِ الصَّـوَارِمِ

* * *

[هو زيد بن مهلهل بن منهب الطائي] سُمِّي بزيد الخيل لِطرادها وقتالها والغارة عليها. [قدم على رسول الله ﷺ في وفد طيّىء سنة تسع فأسلم] وسمّاه رسول الله ﷺ زيد الخَيْر ولم يُسَمِّ بهذا أحداً غيره. [وقال له ما وُصِف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلاّ رأيته دون الصفة غيرَك]. وقال فيه ما قال في عديّ بن حاتم إنه يزيد ويُرْبِي على الصفة [وأقطع له أرضين في ناحيته. وكان زيد يُكَنّى أبا مكنف،/ [77] وكان له ابنان مكنف وحريث وقيل حرث، أسلما وصحبا النبي ﷺ وشهدا قتال الردّة مع خالد بن الوليد. وكان زيد طويلاً جسيماً موصوفاً بطول الجسم وحسن القامة، وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخطّ رجلاه في الأرض[1] كأنه راكبٌ حماراً. وكان قبل إسلامه قد أسرّ عامر بن الطفيل وجزّ ناصيته. وكان شجاعاً بُهْمَةً كريماً شاعراً محسناً خطيباً وهو القائل [وافر]:

تمنّـــى مـــزْيَـــدٌ زيـــداً فـــلاقـــى
أخَـــا ثِقَـــةٍ إذا اختلـــف العـــوالـــي

كمُنْيَـــةِ جـــابـــرٍ إذْ قـــال ليتـــي
أصـــادفـــه وأتلـــف بعـــض مـــالـــي

---

(1) قد مرّتْ هذه الصفة ص 118 في عديّ بن حاتم.

تـــلاقَيْنـــا فمـــا كنّـــا ســـواءً
ولكـــن خـــرّ عـــن حـــالٍ لحـــال
ولـــولا قـــولُـــه يـــا زيـــد قَـــدْنـــي
لقـــد قـــامـــت نُـــوَيـــرَةُ بـــالمـــآلـــي
شككـــت ثيـــابـــه لمّـــا التقينـــا
بمطّـــرد المهـــزّة كـــالخـــلال][1]

وفيه يقول الشاعر مفتخراً على العرب [**طويل**]:

كُمَـــاةٌ إذا ظـــلَّ الكمـــاة بمعـــرك
فـــأرمـــاحهـــم حُمْـــرٌ وأَوْجُهُهُـــمْ صُفْـــرُ
بخَيْـــلٍ لِـــزَيْـــدِ الخَيْـــلِ فيهـــا فـــوارس
إذا نطقـــوا فـــي مشهـــدٍ خَـــرَسَ الـــدَّهْـــرُ
علـــى كـــلّ طِـــرْفٍ يُحْسَـــرُ الطَّـــرْفُ دونـــه
وســـابِحَـــةٍ لكـــن بســـاحتهـــا الحضـــرُ

(1) الأبيات في خزانة الأدب، 5/375.

9 ـ وَعَمْرٌو أَبُو ثَوْرٍ وعَمْرُو بْنُ عَامِرٍ
وعَمْرُو بْنُ عَمْرٍوَ فِي الأُسُودِ الضَّرَاغِمِ

* * *

أبو ثَوْر عمرو بن مَعْدِي كَـرِبِ الزَّبِيدِي. [ينتهي نسبه إلى كهلان بن سبأ. ومعدي اشتقاقه مثل اشتقاق معدان ويزيد عليه بأنه يجوز أن يكون من العدوان. وكَرِب يجوز أن يكون من الكَرْب الذي هو أشدّ من الغمّ ومن كرب في معنى قارب أو من أكربت الدلو إذا شددتها بالكرب وهو الحبل الذي يُشَدّ على العَراقي. وفسّره ثعلب أنه عداه الكرب أي تجاوزه وانصرف عنه. وكنيته أبو ثَوْر.

وفد على النبي ﷺ في وفد زبيد في سنة تسع فأسلم. فلما توفي رسول الله ﷺ/ ارتـدّ مع الأسود العنسي. ولما رأى الإمداد من أبي بكر [78] أسلم ودخل على المهاجر بن أبي أميّة بغير أمان فأوثقه وبعث به إلى أبي بكر، فقال له أبو بكر: أما تستحي كلّ يوم مهزوماً أو مأسوراً؟ لو عززت هذا الدين لرفعك الله تعالى. قال: لا جرم لأقبلنّ ولا أعود، فأطلقه. ثم بعثه أبو بكر إلى الشام فشهد اليرموك وفيه ذهبت عَينه ثم بعثه عمر إلى العراق وله في القادسية بلاء حسن، وهو الذي ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزمت الأعاجم وكان سبب الفتح. ومات سنة إحدى وعشرين من الهجرة غازياً بنهاوند عن سنّ عالية. وعمرو أبو ثور فارس بلا منازع وبطل من أبطال العرب في الجاهلية والإسلام. له غارات في الجاهليّة معروفة ومشاهد في الإسلام موصوفة]. وهو أشهر من يُحتَجّ على بسالته

وهو الغاية في الشجاعة وبه يُضرَب المثل. ورويَ أنه قال: بينما أنا في ليلة مظلمة في طريق قصدته إذ سمعت قائلاً يقول: [وهو من بني عامر بن صعصعة يستغيث] [متقارب]:

أَمَـــا مِـــنْ فتًـــى لا يَخَـــافُ العَطَـــبْ
يُبَلِّـــغُ عَمْـــرَو بـــنَ مَعْـــدِي كَـــرِبْ

بِـــأَنَّـــا نُنَـــوَّطُ فِـــي مَـــازِنٍ
بِـــأَرْجُلِنَـــا اليَـــوْمَ نَـــوْطَ القِـــرَبْ

وأَلَّا اسْتَغَثْنَـــا بِعَبْـــدِ المَـــدَانِ
فَعَبْـــدُ المَـــدَانِ لَهَـــا إنْ طُلِـــبْ[1]

قال عمرو: فلما سمعت الصوت رَدَدْتُ رأس فرسي ولم يعلموا مَن أنا فلما عرفوني أطلقوا الأسرى فرحت بهم. وفي ذلك يقول عمرو مفتخراً[طويل]:

أَلَـــمْ تَـــرَنِـــي إذْ ضَمَّنِـــي البَلَـــدُ القَفْـــرُ
سَمِعْـــتُ نِـــدَاءً يَصْـــدَعُ القَلْـــبَ يَـــا عَمْـــرُو[1]

أَغِثْنَـــا فَـــإنّـــا عُصْبَـــةٌ مِـــذْحَجِيَّـــةٌ
نُنَـــاطُ إلـــى وَفْـــرٍ وَلَيْـــسَ لَنَـــا وَفْـــرُ

تُكَلِّفُنَـــا يَـــا عَمْـــرُو مَـــا لَيْـــسَ عِنْـــدَنَـــا
هَـــوَازِنُ فَـــانْظُـــرْ مَـــا الّـــذي صَنَـــعَ الـــدَّهْـــرُ

فَيَمَّمْـــتُ مُهْـــرِي غَيْـــرَ صَـــارِفِ حـــره
عـــن الطَّعْـــنِ حتّـــى قيـــل قـــد عُقِـــرَ المُهْـــرُ

5 - فَـــأَنْقَـــذْتُ أَسْـــرَى لـــم يَكُـــنْ دُونَ قَتْلِهِـــمْ
وَدُونَ طِعَـــانِـــي مَـــارِقـــاً دُونَهُـــمْ فَتْـــرُ

---

(1) الأغاني، 6/297، و 23 / 574.

سَعِيــداً وذُبْيَــانــاً وبَكــراً ومَــالِكــاً

ونَصْــراً وزَهْــرَانــاً وسَــابِعُهُــمْ وَتْــرُ

[وكان عمرو خطيباً مِصْقَعاً، وفد على كسرى مع وفد النّعمان فقال: إنّما المرء بأَصْغَرَيْهِ قلبه ولسانه. فبلاغ المنطق الصواب ومِلاك النُجْعَةِ الارتياد. وعفو الرأي خير من/ استكراه الفكرة، وتوقُفُ الخبرة [79] خير من اعتساف الحيرة. فاجتبذ طاعتنا بلفظك واكتظم بادرتنا بحلمك وأَلِنْ لنا كَنَفَك يسلس لك قِيادنا. فإنّا أناسٌ لم يُوَقِّسْ صَفَاتَنا قراع مناقير من أراد لنا قَضْماً. ولكن منعنا حمانا من كلّ من رام لنا هضماً].

وعمرو بن عامر هو مزيقياً وكان يمزق كلّ حلّتين من حُلَلِ الملوك ويستبدل سواهما لأنه لم يكن يرى أنّ أحداً يستحقّ أن يلبس ثيابه. وأبوه عامر بن ماء السماء. [ماء السّماء لقب عامر بن حارثة الأزدي. خرج من اليمن لما أحسّ بسيل العرم فسمّي بذلك، لأنه كان إذا أجدب قومه مانهم أي احتمل مؤونتهم أي قُوتَهم، حتى يأتيهم الخصب، فينوب عن الغيث بالرفد، فقالوا: هو ماء السماء لأنه خلف منه].

قال حسّان بن ثابت [وافر]:

أنــا ابــنُ مــزيقيــا عَمْــرٍو وجــدِّي

أبــوه عــامِــرٌ مَــاءُ السّمَــاءِ

وعمرو بن عمرو بن عُدُس أراد الأب والابن وكلاهما كان سيّداً شريفاً في قومه وقد سمّاه الفرزدق[1] في شعره حيث يقول [طويل]:

[تُخصِّــصُ يَــابْــنَ القَيْــنِ قَيْســاً ليجعلــوا

لِقَــوْمِــك يَــوْمــاً مِثْــلَ يَــوْمِ الأَرَاقِــمِ]

---

(1) والصّواب: سمّاه جرير، والأبيات في ديوانه، 562. وفي النقائض، 400 (نقيضة 52).

كــأنّــك لــم تَشْهَــدْ لَقِيطــاً وحَــاجِبــاً
وعَمْــرَو بْــنَ عمــرٍو إذْ دعَــوْا يــالَ دَارِمِ

وَلَـمْ تَشْهَـدِ الجَـوْنَيْـنِ والشِّعْـبَ ذَا الصَّفَا
وَشَــدَّاتِ قَيْــسٍ يَــوْمَ دَيْــر الجَمَــاجِــمِ

[فَيَــوْمَ الصَّفَــا كُنْتُــمْ عَبِيــداً لِعَــامِــرٍ
وبــالحِنْــوِ أَصْبَحْتُــمْ عَبِيــدَ اللَّهَــازِمِ

5 - إذا عُــدَّتِ الأَيَّــامُ أَخْــزَيْــتَ دَارِمــاً
وتُخْــزِيــك يَــا بْــنَ القَيْــنِ أَيَّــامُ دارِمِ]

وعمرو بن عمرو هذا قُتِل يوم شِعْب جَبَلَة[1]، قتله بنو عامر بن صعصعة وقتلوا لقيط بن زُرَارَة بن عُدُس وكان تولّى قتله عُمَارَة الوهّاب العَبْسي، ويُنْسَبُ إلى بني عامر لأنّ بني عَبْس كانوا مع قَيْس بن زُهَيْر في جوار بني عامر. وعُمارة هذا كان يُلَقَّبُ ذا القَنَا ويقال له دَالِفٌ،/ [80] قتله شِرْحَافٌ بن المثلم الضّبّيّ [في يوم أعيار أو يوم النّقيعة، وهو يوم لبني ضبّة على بني عبس] وفيه يقول الشاعر [الفرزدق يمدح أخواله بني ضبّة [طويل]:

ومَغْبُــوقَــةٍ دُونَ العِيَــالِ كــأنّهــا
جَــرَادٌ إذا أَجْلَــى مــع الفَــزَعِ الفَجْــرُ

عَــوَابِــسَ مــا تَنْفَــكُّ تحــت بُطُــونِهَــا
سَــرَابِيــلُ أبْطَــالٍ بَنَــائِقُهــا حُمْــرُ

(1) [شِعْب جَبَلة: هضبة حمراء بنجد بين الشُّرَيف والشرف. والأوّل ماء لبني نمير والثاني ماء لبني كلاب. وبها كانت وقعة هائلة بين بني عامر وعبس وبني ذبيان وكندة، وكانت الدولة يومئذ لبني عامر. ويذكرون أنها جرت قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة وقبل مولد النبيّ ﷺ بسبع عشرة سنة].

تَـرَكْـنَ ابْـنَ ذِي الجَـدَّيْـنِ ينشـج مُسْنَـداً
وليـــس لـــه إلاّ ألاءَتَـــهُ قَبْـــرُ]

وَهُـــنَّ بِشِـــرْحَـــافِ تـــدَارَكْـــنَ دَالِقــاً
عُمَــارَةَ عَبْـسٍ بَعْـدَ مَـا جَنَـحَ العَصْـرُ[1]

[وعُمَارة هذا الذي يقال له دالف، سمّي بذلك لكثرة غاراته، من دلف الغارة على عدوّه شنّها عليه. وأمّ عمارة هذا هي فاطمة بنت الخُرْشُب الأنْمَارية أمّ الكَمَلة، وهي إحدى المنجبات من العرب].

(1) ديوان الفرزدق، 315.

10 ـ وَلاَ قَاتِلُ الْجَوْنَيْنِ أَوْ فَارِسُ العَصَا
وفَـارِسُ قَيْـسٍ يَـوْمَ دَيْـرِ الجَمَـاجِـمِ

* * *

يريد بِالجَوْنَيْن معاوية وحسّان ابنيْ جَوْن الكندي أُسِرَا يوم شِعْب جَبَلَة، فقُتِل حسّان وفُودِي معاوية(1).

وفارس العصا هو الأخنس بن شهاب التّغلبي [كان رئيساً من رؤساء قومه. حضر وقائع حرب البسوس وكان شاعرها ـ له في ذكر أيّامها شعر قليل وكانت وفاته بعد حرب البسوس بزمان، نحو سنة 556 م]. وذلك أن أخاه قتله أحد بني كلاب فأتاهم الأخنس وهم لا يعرفونه فجاورهم وأقام عندهم خمس سنين يطلب غِرَّةً قاتل أخيه ليقتله فلم يمكنه ذلك إلى أن وصلهم بشر بن عمرو بن مرثد [الضبعي] طريد النّعمان بن المنذر، وقد كان ولاّه بعض الكُوَرِ فَأَخَذَ له مالاً وهرب به وجاور خالد بن جعفر بن كلاب فأقام عنده وهو يصنع كلّ يوم طعاماً ويدعو إليه بني كلاب قاطبة ويدعو الأخنس بن شهاب عقيب الناس جهلاً وفي ذلك يقول بشر بن عمرو ويمدح خالداً [**الطويل**]:

/ لَعَمْرُكَ مَا فِي عَامِرٍ(2) مثل جَعْفَرٍ [81]
ولا في قدامى جعفر مثل خالِدِ

(1) [قال السيد المرصفي في شرح الكامل إنّ الذي قُتِل هو معاوية، قتله قيس بن زهير وهو طليق عوف بن الأحوص. أمّا حسّان فقد أسّره عوف وأعتقه].
(2) في «ج»: «لعمرك ما في خالد».

فتَــى لاَ يَخَــافُ المَحْــلَ جــارَاتُ بيتــه
إذا أَخَلْــفَ الجــارَاتِ صَــوْتُ الــرَّوَاعِــدِ
أَتَيْــتُ إليــه قَــاصِــداً دُونَ قَــوْمِــهِ
وَفِــي القَلْــبِ شَجْــوٌ حَــرُّهُ غَيْــرُ بَــارِدِ
فَــأَصْبَحْــتُ لاَ أَخْشَــى وَعِيــدَ ابْــنِ مُنْذِرِ
وَهَــلْ يَــرْهَــبُ النُّعْمَــانَ جــارُ الفَــرَاقِدِ؟
5 ـ لَعَمْــرِي لَقَــدْ حَلَّلْتَنِــي مِنْــكَ نِعْمَــةً
فَشُكْــراً وَمَــا شُكْــرِي عَلَيْهَــا بِبَــايِــدِ

قال: فلمّا كان يومٌ من الأيّام بلغ بني كلاب أنّ بني عديّ وغَطَفان وذُبيان مصبّحون لهم، فاستشاروا فيمن يندبونه في لقاء القوم ليصرفهم عنهم بحيلة أو يقول لهم قد ظعنوا عن الموضع الذي كانوا فيه فلم يروا لذلك إلا بشر بن عامر، فسألوه فقال: أيؤنسني بعض القوم؟ فقالوا: هذا الشيخ الذي هو جارنا يؤنسك، يعنون الأخنس بن شهاب. فقال لهم بشر: هو شيخ كبير وفرسه عجفاء. فقال له الأخنس: دَعْنِي يا بشر أصحبك. فلما سارا وصارا بالصحراء وجنّ عليهما اللّيل نزل الشيخ عن فرسه وخلع لجامها وحلّ سرجها وضرب بطنها وقال: اذهبي ارعي ما بدا لك فغابت عن أعينهما وتوسّد الشيخ سرجها وركز رمحه واضطجع. فقال له بشر: ما هذا الذي أراك تصنع؟ ويلـك تلقى فرسان عَبْس وألفافهم من فرسان العرب وتفعل ما أرى؟ فقال الشيخ: ارقد وأنا أكفيك! ثم نام حتى سُمع غطيطه وبشر على متن جواده ما رقد. فلما مضى من الليل الثلث أقبلت الفرس تجري حتى ضربت بيدها عند رأسه فرفع بصره إليها وقام فضرب بطنها وقال: اذهبي فارعي ما بدا لك فإنما أحسستِ ثعلباً أو ذئباً. ثم ذهبت حتى غابت ورقد الشيخ أعظم من رقاده

الأوّل. ثم أقبلت الفرس في أشدّ من جريها الأوّل حتى ضربت بيدها عند رأسه فنظر إليها فقال: اذهبي فارعي ما بدا لك، فإنما رأيت سَبُعاً أو ضبعاً. ثم إن الفرس عادت إلى المرعى فلم تزل طول ليلتها تلك حتى انصدع الفجر ثم أقبلت تجري جرياً ما رأى أحد مثله، فنظر إليها وقال: صدقت، ثم إنه قام فقرطها لجامَها وشدّ عليها سرجها وركب وأخذ رمحه وقال: يا بشر لا تبرح مكانك وانظر ما أصنع، إلى أن طلعت الشمس وطلعت خيل عبس. فحمل على أوّل فارس فطعنه فأَرْدَاه وأخذ فرسه ودفعه إلى بشر، وفعل ذلك مراراً فلمّا توافت الخيل حلّ لثامه وابتدأ فقال: أنا الأخنس بن شهاب التغلبي فارس العصا. فعطفوا خيلهم عن آخرهم وسار إلى بشر بعد أن سلّم إليه الخيل/ والأسلاب وقال: يا بشر [82] والله لئن ذكرتَ شيئاً مما فعلتُ مِنْ قَتْلِ هؤلاء أو نَسَبْتَنِي لآخُذَنّ ما فيه عيناك. ولكن تقول أنت الذي فعلتَ وصنعتَ وقتلتَ وسلبتَ وهزمت وطردت. وسار بشر والأخنس حتى وصلا إلى حُلّة بني كلاب بالخيل والأسلاب. فقال بشر: أنا فعلت وتركت وصنعت وسلبت وقتلت وطردت، فعظم حاله عند بني كلاب وأقام على ذلك برهة وهو يصنع الطعام على عادته ويدعو الشيخ أوّل النّاس. وكان خالد بن جعفر من حماة العرب وأهل النجدة والنخوة وكان يخاف أن يُغتال بشر بينهم فيُعَيَّروا بذلك. وكان إذا جنّ الليل ونام النّاس ركب خالد فرسه وطاف بالحلّة وحول قبّة بشر خوفاً عليه. فلما كان ذات ليلة طاف بقبّة بشر وهو يشرب وجاريتاه تغنّيانه وتمدحانه بلقاء بني عبس وقتله الرجلين اللّذين قُتِلا إذ سمع خالد بشراً ينشد هذين البيتين [خفيف]:

لست بالفارس الذي خضب الرُّمْـ
ـحَ ولكنّني زجرت أَمَامَا

حَمَل الفَارِسُ المُقَدَّمُ دوني
فدحاً بعد مَالِكٍ هَمَّامَا

(بُخْـــتُ بِـــالقـــول لا أجمجـــم فيـــه
لا ولا أنّنـــي أُطيـــقُ كَـــلاَمَـــا
حمـــل الفـــارس الكمـــيّ فـــأردى
فـــارســاً كـــان فـــي اللّقـــا مِقْـــدَامَـــا
5 - وثنـــا طعنـــة فـــأردى أخـــا الجُـــو
دِ عـــدِيّـــا وثـــالثـــاً هَمّـــامَـــا
قلـــتُ مَـــنْ أَنْـــتَ؟ قـــال: طـــالـــب وتـــر
مـــن بنـــي تغلـــبَ الـــذيـــن إذَا مَـــا
جـــار ملـــك علـــوه فـــي مقعـــد التّـ
ـــاج بِضَـــرْبٍ يجلـــو سنـــاه الظـــلامـــا)(1)

فلما سمعه خالد صاح بأعلى صوته: الحذر، الحذر! فإن فيكم الأخنس بن شهاب فقام الأخنس فركب فرسه وأمّ قاتل أخيه وكان قد عرفه لطول إقامته فيهم، فخرج الرجل ينظر ما شأن الصوت، فطعنه فقتله ثم خرج منهزماً على وجهه وتبعته خيل بني كلاب فجعل كلّما

---

(1) الأبيات الموضوعة بين قوسين زيادة من «ج».
[ويوم دير الجماجم هو يوم لإياد على الأعاجم حين عبروا شطّ الفرات على إثرهم فلم يفلت منهم إلاّ القليل وجمعوا به جماجمهم وأجسادهم، فكانت كالتلّ العظيم وكان إلى جانبهم دير فسمّي دير الجماجم، عن معجم البلدان لياقوت.
وهنا يريد بيوم الجماجم وقعة الحجّاج بعبد الرحمان بن محمد بن قيس الكندي بن معدي كرب بن يوسف بن الحكم بن عقيل الثقفي، كما أثبته أبو العبّاس المبرّد (4/46) في تعليقه على بيت الفرزدق [طويل]:
ولم تشهد الجونَيْن والشِّعْبَ ذا الصّفا وشدّات قيس يوم دير الجماجم]

لحقوه عطف عليهم، فردّ أوّلهم على آخرهم وآخرهم على أوّلهم وراح فلم يلحقوه ولحق بقومه فأنشأ يقول [وافر]:

أقَمْــتُ الخَمْــسَ لا يحلــو شــرابــي
سِنِينــاً لَسْــتُ أطمــع فــي الإِيَــابِ

أُطَــالِــبُ ثَــأْرَ مَــنْ ولّــى وأبقــى
لعينــي حَسْــرَةَ الكَمِــد المُصَــابِ

لِفَقْــدِ أخيــه ليــس يَــذُوق نَــوْمــاً
ويَطلــب ثَــأْرَهُ فِــي كُــلِّ بَــابِ

تَسَبَّــبَ للقضــاءِ مجــيءُ بِشْــرٍ
حَــرِيصــاً فــي جِــوَارِ بَنِــي كِــلاَبِ

5 ـ وكــانَ فَتّــى يُقَــرِّبُ كُــلَّ يَــوْمٍ
جِفــانــاً مُتْــرَعَــاتٍ كَــالجَــوَابِــي

ويَــدْعُــونِــي مَــعَ الأَرْذَالِ لاَ مَــعْ
صَمِيمِهِــمُ لَــدَيْــهِ ذَا اقْتِــرَابِ[1]

فَجــاءَ القَــوْمَ مُنْتَصِــحٌ نَــذِيــرٌ
يُحَــذِّرُهُــم مُفَــاجَــاةَ الطِّــلاَبِ

/ فَقَــالُــوا مَــنْ يَكُــونُ لَنَــا سَفِيــراً
يَــرُدُّهُــمُ بِقَــوْلٍ أَوْ جَــوَابِ؟

فَقَــالَ لهــم لَهَــا بِشْــرٌ وقَــالُــوا
لَــهُ ذَا الشَّيْــخُ مِــن خَيْــرِ الصِّحَــابِ

10 ـ فقَــال لهــم أرى شيخــاً كبيــراً
ومِحْــرَاكــاً لــرُدْنِــه فــي الــرِّكَــابِ

[83] - [84]

---

(1) ج: مع الأنذال.

فَقُلْــتُ لَــهُ ألاَ يَــا بِشْــرُ دَعْنِــي
فَسَيْفِــي عَــنْ عَــدُوِّكَ غيــرُ نَــابِــي
فَلَمّـــا غَـــارَةٌ لِلْقَـــوْمِ جَـــاءَتْ
عِـــرَاضــاً لِلْهَجِيمَــةِ وَالنِّهَــابِ
مَنَحْــتُ طَــوالِــعَ الأَقْــوَام طَعْنــاً
وَبِشْــرٌ لَيْــسَ يُحْسَــبُ فِــي حِسَــابِــي
فَحَسْبِــي مُهْــرَتِــي فِــي كُــلِّ كَــرْبٍ
وَكَــرِّي فــي المَضَــايِــقِ وَانْقِــلاَبِــي
15 ـ أُبَــاعِــدُهَــا عَــنِ الكَــرَّاتِ مِنْهُــمْ
وَأُدْنِيهَــا إِذَا كَــرِهُــوا اقْتِــرَابِــي
وَأَعْطِفُهـــا إِذَا بَعُـــدَتْ عَلَيْهِـــم
كَــأَنِّــي بَيْــنَ خَــافِقَتَــي عُقَــابِ

[وقال [طويل]:

لَعَمْــرِي لَقَــد جَــاوَرْتُ فــي حــيَّ عــامِــرٍ
لِأُدْرِكَ ثَــأْرِي مِنْهُــمُ حِجَجــاً خَمْسَــا
أَبِيــتُ إذا نَــام الخَلِــيُّ كَــأَنَّنِــي
سَلِيــمُ أَفَــاعٍ لا يُــلاَقِــي لَــهُ أُنْسَــا
ولمّــا رَأَيْــتُ الثَّــارَ قَــدْ حِيــلَ دُونَــه
مَشَيْــتُ لَهُــمْ قَطْــواً وكُنْــتُ لهــم حِلْسَــا
وَلاَحَظْــتُ ثَــأْرِي فِيهِــمُ لأَنَــالَــهُ
مَتَــى مَــا أَنَلْــهُ أَشْــفِ مــن عــامــرٍ نَفْسَــا]

11 ـ وَلاَ كَانَ بِسْطَامُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ
وعَمْـرُو بْـنُ كُلْثُـومٍ شِهَـابُ الأَرَاقِـمِ

* * *

بِسْطَام بن قَيْس الشيباني فارس بكر بن وائل وسيّدها وابن سيّدها [قيس بن مسعود ذي الجَدّيْن وأخوه السليل بن قيس]. وبسطام قتله عاصم بن خليفة الضَّبِّي [يوم نَقَـا الحَسَن، والحسن شجر سُمِّي بذلك لحسنه، وقيل هو جبل]. وكان عاصم فتى أسلم في زمان عثمان بن عفّان وكان يقف ببابه فيستأذن عليه ويقول: بالباب عاصم بن خليفة قاتل بسطام. وكان سبب قتله إيّاه أن بسطاماً أغار على بني ضَبّة [على ألف بعير لمالك بن المشفق فيها فحْلُها قد فقأ عينه، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية إذا بلغت إبل/أحدهم ألف بعير لتردّ عنها العين]. فاكتسح الإبل [85] وكان معهم حازٍ يحزو له [وهو كالكاهن أو المنجّم]. فقال له بسطام: إني سمعت قائلاً يقول:

«الدَّلْوُ تأتي الغَرَب المَزِلَّة»

فقال الحازي: فهلاّ قُلْتَ:

«ثمّ تعود بعدها مُبْتَلّة»

قال: ما قلتُ شيئاً. ثم اكتسح الإبل. [فنادى مالك بقومه فركبت بنو ضبّة وتداعت تميم فتلاحقوا بالبلقاء]. ونظرت أمّ عاصم إليه وهو يَقَعُ حديدة له أي يحُدّها بالميقعة [والميقعة المِطْرَقة] فقالت له: ما تصنع بهذه؟ وكان عاصم مصعوقاً في عقله. فقال لها: أقتل بها بسطاماً، فنهرته وقالت: اَسْتُ أمّك أضيقُ من ذلك. ثم نظر إلى فرس لعمّه موثقة بشجرة فاعْرَوْرَاها، أي ركبها عرياناً ثم أقبل بها كالرّيح فنظر بسطام إلى الخيل قد لحقته فجعل يطعن الإبل في أعجازها، فصاحت بنو ضبّة

ببسطام: ما هذا السَّفَهُ دَعْهَا إمّا لنا وإمّا لك! وانحطّ عليه عاصم فطعنه فرمى به على الألاءة، وهي شجرة ليست بعظيمة.

وكان بسطام نصرانياً وكان مقتله بعد مبعث رسول الله ﷺ، فأراد أخوه الرجوع إلى قومه، فصاح به بسطام فقال: أنا حنيفٌ إن رَجَعْتَ. وفي ذلك يقول بعض بني ضَبّة [وهو عبدالله بن عَنَمَة الضَّبِّي وهو مجاور يومئذ في بني شيبان يرثي بسطاماً وخاف أن يقتلوه] [وافر]:

لأُمِّ الأَرْضِ ويــــلٌ مَـــا أَجَنَّـــتْ
بحيـــث أضـــرّ بـــالحَسَـــنِ السَّبِيـــلُ

أفـــائِتَـــةٌ بنـــو زيـــد بـــن عمـــرو
ولا يُـــوفِـــي بِبِسْطَـــامٍ قَتِيـــلُ

فَخَـــرَّ علـــى الألاَءَةِ لـــم يُـــوَسَّـــدْ
كـــأَنَّ جَبِينَـــهُ سيـــفٌ صَقِيـــلُ

فَـــإِنْ تَجْـــزَعْ عليـــه بَنُـــو أبيـــهِ
فَقَـــدْ فُجِعُـــوا وَنَـــابهُـــمُ جَلِيـــلُ

بِمِطْعَـــامٍ إذا الأَشْـــوَالُ رَاحَـــتْ
إلـــى الحُجُـــرَاتِ لَيْـــسَ لَهَـــا فَصِيـــلُ

وَمِقْـــدَامٍ إِذَا الأَبْطَـــالُ خَـــافَـــتْ
وَغَـــرَّدَ عَـــنْ حَلِيلَتِـــهِ الحَلِيـــلُ[1]

قال: فلمّا سُمع قتل بسطام لم يبق في بكر بن وائل بيتٌ إلا هُجِمَ أي هُدِمَ [إكباراً لقتله].

وعمرو بن كلثوم التغلبي [هو] قَاتِل عمرو بن هند ملك الحيرة وكان

---

(1) خبر يوم «نقا حسن» ويوم الشقيقة في النقائض 190و 233وكذلك الأبيات.

أحد أشراف العرب وفتّاكها/ وشعرائها، وسبب قتله إيّاه أنّ عمرو بن هند [86] قال يوماً لجلسائه: هل تعلمون أحداً من العرب يأنف أن تخدم أمُّه أمّي؟ فقالوا: نعم! عمرو بن كلثوم، لأنّ أمّه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمّها كليب وخالها حجر بن عمرو الكندي. فأرسل إليه عمرو بن هند أن زرني، وأزر ليلى هنداً وتقدّم إلى أمّه فقال: إذا وصلتك فاستَخْدِميها وَلْتُناوِلْكِ الشيء بعد الشيء. قال: فلمّا قعدت معها على سريرها وقد نحّت هند عنها جميع جواريها وخدمها، فقالت لها: يا ليلى نَاوِلِينِي ذلك الطّبق. فقالت: لِتَقُمْ صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فأكرهتها فصاحت: يَا لَتَغْلِبَ! وَاذِلّاهُ! فسمعها ابنها فأخذ سيفاً كان مُعَلَّقاً عند رأس عمرو بن هند فضربه به فقتله. وابتدرت الأراقم فأنهبت ما كان للملك. وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم [وافر]:

بِـــأَيِّ مَشِيئَـــةٍ عَمْـــرَو بْـــنَ هِنْـــدٍ
تَـــرَى أَنَّـــا نكـــونُ الأَرْذَلِينَـــا
تُهَـــدِّدُنَـــا وَتُـــوعِـــدُنَـــا رُوَيـــداً
متـــى كُنَّـــا لأُمِّـــكَ مَقْتَـــوِينَـــا

والمَقْتَوِيّ الذي يخدم بقوته. [كأنه منسوب إلى المقتى وهو الخدمة ثم يجمع مع طرح ياء النسبة فتقول: مَقْتَوُون ومقتوين في النّصب والجرّ][1]. وقال بعض شعراء بني تغلب [وهو أفنون بن صُرَيْم التغلبيّ يفخر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدة له] [طويل]:

لَعَمْـــرُكَ مَـــا عَمْـــرُو بْـــنُ هِنْـــدٍ إِذَا دَعَـــا
لِتَخْـــدُمَ لَيْلَـــى أُمَّـــهُ بِمُـــوَفَّـــقِ

(1) زاد الأنباري في شرح المعلّقة ص 403 مَقْتَوِينٌ للواحد والاثنين والجمع والمؤنث كلّ ذلك سواء.

فَقَامَ ابْـنُ كُلْثُـومٍ إلـى السَّيـف مُصْلِتَـا
فـأَمْسَـكَ مِـنْ نَـدْمَـانِـهِ بِـالْمُخَنَّـقِ
[وجَلَّلَـهُ عَمْـرٌو علـى الـرَّأْسِ ضَـرْبَـةً
بِـذِي شُطَـبٍ حَـامِـي الحَـدِيـدَةِ رَوْنَـقِ][1]

[ويومُ الأراقم يومٌ كان لقيس على تغلب. والأراقم هم جُشَم وعمرو وثعلبة ومعاوية والحرث بنو بكر بن حُبَيْب بن غُنْم بن ثعلب، سُمُّوا بذلك لأن عيونهـم تشبه عيون الأراقم وهي الحيّات].

وفي الأراقم يقول الفرزدق [يردّ على جرير في هجائه له وللأخطل] [كامل]:

إنّ الأَرَاقِـمَ لَـنْ يَنَـالَ قَـدِيمَهَـا
كَلْـبٌ عَـوَى مُتَهَتِّـمُ الأَسْنَـانِ
[قَـوْمٌ إذَا وَزِنُـوا بِقَـوْمٍ فُضِّلُـوا
مِثْلَـيْ مُـوَازِنِهِـمْ عَلَـى المِيـزَانِ]
قَـوْمٌ هُـمُ قَتَلُـوا ابْـنَ هِنْـدٍ عَنْـوَةً
عَمْـراً وَهُـمْ قَسَطُـوا علـى النُّعْمَـانِ[2]

[87] / [وذكروا أنّ عمرو بن كلثوم أسره رجل من مذحج فجعل في شعره حبلاً وقرنه إلى صخرة وربط طرف الحبل بها. فقال: قصّ الصخرة وجُذّ الحبل. فقال: ولِمَ ذلك؟ قال: أو لست القائل:

إذا عقـدت قـرينتنـا بحبـلٍ
نجُـذُّ الحبـلَ أو نقـصّ القـرينـا][3]

---

(1) الأبيات في النقائض 886 وفي الأغاني 11/49. وصُرَيْم هو الأفنون التغلبي.
(2) ديوان الفرزدق 883.
(3) زيادة من «ج» والبيت ليس في المعلّقة وهو بعد ذلك مختلّ الوزن.

12 ـ وَلاَ الأَحْوَصَانِ الأَصْيَدَانِ ولاَ الَّذي
حَمَى النَّعْفَ مَا بَيْنَ العُرَيْضِ وَوَاقِمِ[1]

* * *

الأحوصان: الأحوص بن جعفر مُجير قيس بن زهير وأصحابه من بني عبس [لمّا نشبت العداوة بين عبس وذبيان ابنَيْ غَطَفان في حرب داحِس والغبراء وخرج بنو عبس من ديارهم]. وشهد قيس بن زهير ومن معه من بني عبس مع الأحوص بن جعفر وبني عمه بني عامر يوم شِعْب جَبَلَة. [وكان الأحوص بن جعفر سيّد عامر وكان يومئذ شيخاً كبيراً قد وقع حاجباه على عينيه. وقد ترك الغزو غير أنه يدبّر أمر الناس وكان مجرّباً حازماً ميمون النَقيبة]. وكان من حديثه أن بني تميم حشدت وخرجت في جميع قبائل العرب وطلبوا الغارة على بني عامر [للأخذ بثأر معبد بن زُرَارة ويثربي بن عُدَس اللّذين قتلهما بنو عامر يوم رَحْرَحان]، فأجابهم بنو أسد وذبيان [يطلبون بدم حذيفة بن بدر الذي قتلتْه عبس يوم الهَبَاءة] والرّباب وبنو حنظلة بن مالك بن كندة والجونان [عمرو ومعاوية ابنا الجون الكلبي ملك هجر] في جمع عظيم لم يكن في الجاهلية أكثر منه، فلم يشكّ العرب في هلاك بني عامر [وكان رؤساء تميم حاجب بن

---

(1) في «أ» و«ب»: العيف، والتصويب من «ج». والنعف هو المكان المرتفع. والعُرَيْض وواقم موضعان في المدينة المنوّرة.
[وسُمّي واقم بذلك لحصانته، ومعناه أنه يردّ عن أهله. من وقمه الأمر إذا ردّه عن أربه، (معجم البلدان)].

زرارة ولقيط بن زرارة وعمرو بن عمرو بن عُيَيْنة والحارث بن شِهاب].
فبلغ بني عامر وبني عبس أمرُ مسيرهم وأنّهم قد عزموا على الوثوب عليهم. [وذلك أن كَرِبَ بن صفوان السّعدي لقي جموع تميم وأسد وذُبيان في طريقهم نحو جَبَلة فأعطاهم عهداً وموثقاً ألاّ ينذر بني عامر بقدومهم. ثم مضى إلى بني عامر وأشار لهم أن الخبر بمنزله وإذا فيه صرّة وشوك قد كسر رؤوسه وفرّق جهته وإذا حنظلة موضوعة وإذا وطب معلق فيه لبن. فقال الأحوص: هذا رجل قد أخذ عليه المواثيق أن لا يتكلّم وهو يخبركم أن القوم مثل التراب كثرة وأن شوكتهم كليلة وجاءتكم بنو حنظلة. انظروا ما في الوطب!/ فاصطبّوه فإذا فيه لبن قارص. [88]
فقال: القوم منكم على قدر حلاب اللبن إلى أن يَخْزُر]. فاستعدّوا واجتمعوا إلى الأحوص بن جعفر في جميع بطونهم. [فدعا الأحوص قيس بن زهير وطلب رأيه فقال: أَدْخِلوا نَعَمَكم شِعْب جَبَلة ثم أظمئوها هذه الأيّام ولا توردوها السماء، فإذا جاء القَوم فإن لقيطاً فيه طيش سيقتحم الجبل وحينئذ أخرجوا الإبل وانخسوها بالسيوف والرّماح فتخرج مذاعير عِطاشاً فتشغلهم وتفرّق جمعهم واخرجوا أنتم في آثارها واشفوا نفوسكم. فقال الأحوص: نِعْمَ ما رأيت، وأخذوا برأيه ودخلوا شِعْبَ جَبَلَة]، وهو شعب من شعاب بني عامر في جبل مرتفع فصعدوا فيه [وحصّنوا النّساء والذراري والأموال في رأس الجبل]. وقال لهم قيس: علّقوا في أذناب النّعم البِطَاط[1] واجعلوا فيها الحصى، فإذا صعدت إليكم الكتائب حلّوا عُقُل الإبل وصيحوا فيها، ففعلوا ذلك.

واتّفق رأي حاجب ولقيط وعمرو الذبياني على البيات والصباح لهم. فخالفهم الحارث بن شهاب وقال: لا نقاتلهم إلاّ في القائلة، وكان يجيد ضرب القداح. فقال له حاجب: أتراني أتأخّر عن القوم لِقَلْقَلَتِكَ ممدَاحَكَ حتى يتهيّؤوا، إنما أنت رجل مجنون. فخرج الحارث

---

(1) ج بطّة وهي قارورة على شكل البطّة.

مغضباً وهو يقول [وافر]:

أَيَحْسَــبُ حَــاجِــبٌ إنْ كَــانَ رَبًّــا
بــأنّ المَــرْءَ يُكْــرِمُ مَــنْ أَهَــانَــهْ

فَلَسْــتُ بِمُقْحِــمٍ فــي الحَــرْبِ مُــهْــرِي
لَعَمْــرُكَ مــا أَرَى مُهْــرِي مَكَــانَــهْ

[وأقبل لقيط بن زُرارة وأصحابه مدلّين، فلما أنصفوا الجبل وانتشروا فيه وأخذت الخيل في الهجوم] على بني عامر وعبس وقد فعلوا ما أشار به قيس حلّوا عقل الإبل وصاحوا فيها فخرجت على وجوهها تحطّم كلّ شيء مرّت به وقد شَدَّت الفرسان خلفها بالسيوف فقتلت تميماً ومن كان معها، [وانحطّوا منهزمين في الجبل حتى السّهل ولم يكن لأحد همّة إلاّ أن يذهب على وجهه وانهزموا شرّ هزيمة]. وقُتِل ابنا الحارث ومن معهما من أصحابهما وأُسِر حاجب وشُدَّ لقيط بن زرارة وهو يحرّض الناس ويقول وهو على فرسٍ له مجفّف بديباج أعطاه إيّاه كسرى وكان أوّل عربي جُفِّف [رجز]:

/ [عـرفتكـم والـدّمـع بـالعيـن يكـفْ [89]
لفــارسٍ أتلفتمــوه مــا خُلِــفْ]

إنّ الشّــواء والنّشيــلَ والــرُّغُــفْ
والقينــةَ الحسنــاءَ والكــأسَ الأُنُــفْ

للطّــاعنيــن الخيــلَ والخيــل قُطُــفْ
والضــاربيــن الهــام والمــوت يكــفْ[1]

ثم استنهض فرسه ليقحمها الجبل. فقال ذو الرقبة:

---

(1) خبر يوم شعب جبلة في النقائض، 654 والأغاني، 11/125.

[إن كنـت ذا صـدق فـأقحمـه الجُـرُفْ
وقَـرِّب الأشقـر حتـى تعتـرف
وجوهنا أنّا بنو البِيض العُطُفْ

فضرب لقيط فرسه وأقحمه عليه الجرف فطعنه سُرَيْح وارتثَّ وبه طعنات فبقي يوماً ثم مات، وانهزم الناس]. ويقال إن بني عبس أسروا زيد الخيل في ذلك اليوم ومنّوا عليه بنفسه وقتلوا حارثة بن لأم الطائي، وفي ذلك يقول عنترة بن عمرو بن شدّاد [وافر]:

وحـارثـة بـن لامٍ قـد فَجَعْنَـا
بِـه أَبْنَـاءَ عمـرٍو فـي التّـلاقـي
تـركنـاه صـريعـاً بيـن قَتْلَـى
يَمُـجُّ نَجِيعَـه فـوق التّـراقِـي

وأمّا الأَحْوَص الثّاني فهو عمرو بن الأَحْوَص بن جعفر بن كلاب، وقيل لَهُما الأحوصان كما قيل العُمَرَان يعنون أبا بكر وعُمَر.

13 ـ وَلاَ العَامِرَانِ: ابْنُ الطُّفَيْل وعَامِرٌ
مُـلاَعِـبُ أَطْـرَافِ الـرِّمَـاحِ اللَّهـاذِمِ

*   *   *

عامر بن الطّفيل العبْسي ثم الكلابي [واسم جدّه مالك بن كلاب العامري وهو ابن عمّ لبيد الصاحبي وكنية عامر في الحرب أبو عقيل وفي السلم أبو عليّ. وكان أصيبت إحدى عينَيْه في بعض الحروب وكان من أشهر فرسان العرب. قال الألوسي في **بلوغ الأرب**: وممّن ضُرِب بشجاعته المثل من عرب الجاهليّة عُتَيْبة بن الحارث وربيع بن مُكَدَّم وعنترة العبسي وملاعب الأسنّة وزيد الخَيْل وعامر بن الطّفيل وعمرو بن معدي كرب/ وزيد الفوارس وأميّة بن حرثان وعمرو بن كلثوم. وقال أبو [90] عبيدة: اجتمع العكاظيّون على أن فرسان العرب ثلاثة: ففارس تميم عُتَيْبَة بن الحارث بن شهاب صيّاد الفوارس وسمّ الفرسان، وفارس قيس عامر بن الطّفيل، وفارس ربيعة بِسْطَام بن قَيْس. فكان عامر من أشهر فرسان العرب بأساً ونجدةً وأبعدهم اسماً. ولما قدمت وفود العرب على رسول الله ﷺ في سنة تسع من الهجرة قدم وفد بني عامر وفيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أخو لبيد الصّاحبي لأُمِّـهِ، وكانا رئيسَيْ القوم ومن شياطينهم. فقدم عامر بن الطّفيل على رسول الله ﷺ وهو يريد الغدر به. وقد قال له قومه: يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم. قال: والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي عن تتبّع العرب عَقِبي، فأنا أتبع عَقِبَ هذا الفتى من قريش؟ ثم قال لأربد بن قيس أربد الحتوف: إذا قدمنا على الرجل

فإني شاغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاعْلُه بالسّيف]. ووفد عامر بن الطفيل على النبيّ ﷺ [وجعل يكلّمه وينتظر من أربد ما كان أمره به. فجعل أربد لا يُحِيرُ شيئاً. فلما رأى عامر ما يصنع أربد] سأل النبيّ ﷺ أن يجعل له الأمر من بعده [وأن يجعل له نصف ثمار المدينة]، واستوسق بطلباته وأشطّ فلم يُجِبْه صلّى الله عليه وعلى آله إلى شيء من ذلك، فقال: والله لأملأنّها عليك خيلاً جُرْداً ورجالاً مُرْداً أو لأربطنّ إلى كلّ جذع فرساً ولأغزونّك بخيل أوّلها عندك وآخرها عندي، [وانصرف عامر]. فقال النبيّ ﷺ: اللّهمّ إن لم تَهْدِ عامراً فاكفِنيه. فراح وقد دعا عليه النبيّ ﷺ فاعتلّ في طريقه فنزل في بيت امرأة سلوليّة فلما اشتدّت علّتُه من غدّة نزلت في عنقه وكان يقول: أَغُدَّةً كغدَّة البعير وموتاً في بيت سلوليّة (من بني سلول)؟ احملوني على ظهر فرسي! فلما استوى عليها لم تزل تركض به يميناً وشمالاً حتى سقط عن فرسه ميّتاً. [وأمّا أربد الحتوف فخرج ومعه جمل له يبيعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما. ولعامر وقائع في مَذْحِج وخثعم وغَطَفان وسائر العرب].

وهو القائل [طويل]:

[91] / وإنّي وإن كُنْتُ ابْنَ فَارِسِ عَامِرٍ
وفِي السِّرِّ منها والصَّرِيحِ المُهَذَّبِ

فمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ
أَبَى اللَّهُ أن أَسْمُو بِأُمٍّ وَلاَ أَبِ

وَلَكِنَّنِي أَحْمِي حِمَاهَا وأَتَّقِي
أَذَاهَا وأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمِقْنَبِ

ومن قوله يفتخر على علقمة بن عُلاثة وهو ابن عمّه [طويل]:

أَعَلْقَمُ لاَ تَفْخَرْ عَلَيْنَا فَإِنَّمَا
نَمَانَا إِلَى العَلْيَاءِ فَرْعٌ مُثَمَّرُ

أبُــونَــا كِــلاَبٌ قَصْــرُهُ دُونَ عَــامِــرٍ
وَدُونَ كِــلاَبٍ فَــارِسُ الحَــيِّ جَعْفَــرُ
فَنَحْــنُ سَــوَاءٌ فــي ذُؤَابَــةِ عَــامِــرٍ
كِــلاَ أَبَــوِيْنــا ذُو حُجُــولٍ مُشَهَّــرُ
فَمَــا أَنْــتَ مِــنْ ملــك المُــرَادِ وَحُجْــرِهَــا
وَلاَ مِــنْ بَنِــي عَبْــدِ المَــدَان فَتُعْــذَرُ
5 - وَلاَ لَــكَ فِــي عَــدْنَــانَ صِهْــرٌ تَعُــدُّهُ
وَلاَ لــكَ فِــي أَزْدِ الشَّنُــوءَةِ عُنْصُــرُ
وَلاَ لَــكَ فِــي حَيَّــيْ بِكَيــلٍ وَحَــاشِــدِ
نَصِيــبٌ وَلاَ رَدَّاكَ بِــالمُلْــكِ حِمْيَــرُ
فَمَــا أَنْــتَ مِنْهُــمْ لاَ وَلاَ أَنْــتَ صِهْــرُهُــمْ
فَفِيــمَ عَلَيْنَــا بِــاعْتِــزَازِكَ تَفْخَــرُ؟

[وكان ممّن وفد على كسرى بالمدائن في بعثة النّعمان بن المنذر عامر بن الطّفيل فلمّا تأتّى له الكلام قال: كثر فنون المنطق ولَبْسُ القول أعمى من حِنْدِس الظلماء، وإنما الفخر في الفعل والعزّ في النّجدة والسؤدد مطاوعة القدرة. وما أَعْلَمَكَ بقدرنا وأَبْصَرَكَ بفضلنا. وبالحرِيّ إن أدالت الأيّام وثَابَتِ الأَحْلاَم أن تحدث لنا أمور لها إعلام. قال كسرى: وما تلك الأحلام؟ قال: مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر على أمْرٍ يُذْكَر. قال كسرى: وما الأمر الذي يُذْكَر؟ قال: ما لي علمٌ بأكثر ممّا أخبرني به مُخْبِر. قال كسرى: متى تكاهنت يا ابن الطّفيل؟ قال: لست بكاهن ولكنّي بالرّمح طاعن. قال كسرى: فإن أتاك آتٍ من جهة عينك العوراء ما أنت صانع؟ قال: ما هيبتي في قفاي بدون هيبتي في وجهي وما أذهب عيني في عَيْثٌ ولكن مطاوعة العبث].

ومُلاعِب الأسنّة أبو بَرَاء وهو عامر بن مالك بن جعفر. ولذلك قيل العامران، كما قيل: دولة العُمَرَيْن أبي بكر وعُمَر. [سمّي ملاعب الأسنّة يقول أَوْس بن حَجَر: **[طويل]**:

وَلَاعِـــبُ أَطْـــرَافِ الأَسَنَّـــةِ عَـــامِـــرٌ
فَـــرَاحَ لَـــهُ حَـــظُّ الكَتِيبَـــةِ أَجْمَـــعُ

[92] / قال ابن قتيبة: وملاعب الأسنّة عمّ لبيد. وكان أخذ أربعين مِرْباعاً في الجاهليّة، والمرباع ربع الغنيمة، وكان رئيس القوم يأخذه لنفسه في الجاهليّة ثم صار خُمُساً في الإسلام. ومُلاعِبُ الأسنّة من الفرسان الذين يُضرَبُ بهم المثل في الشجاعة والإقدام.

واللَّهَاذِم جمع لَهْذَم وهو الحدّ القاطع من السّيوف والأسنّة والأنياب].

14 ـ ولا هَرِمُ القَاضِي ولا هَرِمُ النَّدَى
إِذَا احْتَبَيَـا بَيْـنَ البُحُـورِ الخَضَـارِمِ

* * *

هَرِمُ القاضي هو: هرم بن قطب بن سنان[1] أحد بني فَزَارة بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفان. وكان سيّداً مُقدَّماً في قومه. وكانت العرب ترجع إليه في الحكم في الجاهلية. وكان عامر بن الطفيل بن جعفر بن كلاب وعلقمة بن عُلاثة بن الأحوص بن جعفر بن كلاب قد تنافرا إليه فرحلا ومع كلّ واحد منهما ثلاثمائة ناقة: مائة للمُنَفَّر ومائة للحاكم ومائة ينحرها في طريقه. ومع كلّ واحد منهما جماعة من أصحابه وأهل بيته: فالذين مع عامر لبيد بن ربيعة ومالك بن جعفر وأعشى بن قيس بن ثعلبة والذين مع علقمة الحطيئة بن أوس العَبْسي والسَّنْدَرِيُّ بن شريح بن الأَحْوَص. فلمّا علم هَرِم بدنوّهما اختفى فلم يظهر لهما وجعلا يتهاتران ويتنازعان فأرسل هَرِم إلى علقمة سِرّاً من عامر في اللّيل، فخلا به وقال: أين ضَلَّ حِلْمُكَ؟ أتريد أن أنفرك على فتى قيس وسيّدها، مستقبلٌ خيرُه، بعيدٌ أجلُه، طويلٌ أمله، وأنت شيخ قد فنيَ عمرك. فقال له علقمة: نشدتك الله والرّحم، هذه ناصيتي، فإن كنتَ لا بدّ على ما أرى فلا تنفره عليّ ولا تنفرني عليه. ثم أرسل إلى عامر سِرّاً من علقمة فخلا به وقال: أين ضلّ حلمك؟ أتريد أن أنفرك على سيّد قَيْس وشيخها وأنت غلام

(1) في «أ» و «ب»: فضلة بن شيبان وفي «ج»: بن قطبة بن سنان، والصواب: بن سيّار كما في المعارف 83.

حَدَث السنّ حين طلعت؟ فأنشده الله والرّحم وقال: إن كنت فاعلاً فلا تنفّرني عليه ولا تنفّره عليّ وأصلح بيننا. ويقال إنّ هَرِماً لما بلغه ما يتهاتران به دعا بنيه وبني أخيه وقال: إني خارج إلى هذين الرّجلين وقائل فيهما قولاً فإذا قلت فلينحر كلُّ واحد منكم عشر جُزُور عن علقمة وعشر جُزُور/ عن عامر، وفرِّقُوا ذلك بين النّاس لئلاّ يقع بينهم شرّ. ثم [93] خرج فجلس لهما وجلسا بين يدَيْه. فقام لبيد بن ربيعة وهو يقول [رجز]:

يَـــا هَـــرِمُ بْـــنَ الأَكْـــرَمَيْـــنِ مَنْصِبَـــا
إنَّـــك قَـــدْ وُلِّيـــتَ حُكْمـــاً مُعْجَبَـــا
فَـــاحْكُـــمْ وصَـــوِّبْ رَأْيَ مَـــنْ تَصَـــوَّبَـــا
وَطَبِّـــقِ الفَصْـــلَ واغْنَـــمْ طيِّبَـــا

[وفي رواية ديوان الأعشى:

يَـــا هَـــرِمُ بْـــنَ الأَكْـــرَمَيْـــنِ مَنْصِبَـــا
إنَّـــكَ قَـــدْ وُلِّيـــتَ حُكْمـــاً مُعْجَبَـــا
فَـــاحْكُـــمْ وَصَـــوِّبْ رَأْسَ مَـــنْ تَصَـــوَّبَـــا
إنَّ الّـــذِي كُنْـــتَ عَلَيْنَـــا تُـــرْتُبَـــا
لَخَيْـــرُنَـــا خَـــالاً وَأُمَّـــا وَأَبَـــا
وَعَـــامِـــرٌ خَيْـــرُهُمَـــا مُـــرَكَّبَـــا

وعامِرٌ أَدْنَى لِقَيْسٍ نَسَبَا]

وقام الحطيئة وأنشأ يقول [طويل]:

وَمَـــا مَنَـــعَ الحُكَّـــامُ مِـــنْ بَعْـــدِ أنْ بَـــدَا
لَهَـــا سَـــابِـــقٌ ذُو غُـــرّةٍ وحُجُـــولِ

[وفي رواية أبي العبّاس ثعلب على شرح ديوان الأعشى ميمون بن قَيس بن جَنْدَل ما نصُّه:

قال: ووثب الحطيئة فقال:

فَمَـا يَحْبِـسُ الحُكَّـامُ بـالفَصْـلِ بَعْـدَمَـا
بَـــدَا سَـــابِـــقٌ ذُو غُــــرّةٍ وحُجُـــولِ]

وقام السِّنْدَرِيُّ وقال [بسيط]:

يـا عَـامِ قَـدْ كُنْـتَ ذَا بَـاعٍ ومَكْـرُمَـةٍ
لَـوْ أنَّ مَسْعَـاةَ مَـنْ جَـارَيْتَـهُ أَمَـمُ
[جَـارَيْـتَ قَـرْمـاً أَجَـادَ الأَحْـوَصَـانِ بِـهِ
سَمْـحَ اليَـدَيْـنِ وَفِـي عِـرْنِينِـهِ شَمَـمُ
لا يَصْعُـبُ الأَمْـرُ إلاَّ رَيْـثَ يَـرْكَبُـهُ
وَلاَ يَبِيـتُ لِمَـرْغُـوبٍ لَـهُ قَسَـمُ
هـابَـتْ بَنُـو مَـالِـكٍ مَجْـداً وَمَكْـرُمَـةً
وَغَـايَـةً كـانَ فِيهَـا المَـوْتُ لَـوْ قَـدِمُـوا
5 ـ وَمَا أَسَـاؤُوا مِـرَاراً عَـنْ مُجَلِّحَـةٍ
لا كَـاهِـنٌ يُمْتَـرَى فِيهَـا وَلاَ حَكَـمُ]

فلمّا رأى هَرِم ذلك قال: إنّكما قد حكّمتماني وإنّكما كركبتيْ الجمل الأَدْرَمِ تقعان الأرض معاً وليس فيكما أحد إلاّ وفيه ما في صاحبه، وكلاكما سيّدٌ كريمٌ، ثم انكفأ عنهما. فعمد بنو هَرِم وبنو أخيه فضربوا الجُزُرَ على ما أمرهم أبوهم: عن علقمة عشراً وعن عامر عشراً. فقال/ الأعشى يدّعي تفضيل هرمٍ عامراً [سريع]: [94]

عَلْقَمُ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرٍ
النَّاقِضِ الأَوْتَارَ وَالوَاتِرِ

سُدْتَ بَنِي الأَحْوَصِ لَمْ تَعْدُهُمْ
وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ

سَادُوا وكانوا سَادةً قَادَةً
وَكَابِراً سَادَكَ عَنْ كَابِرِ

حَكَّمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ
أَبْلَجَ مِثْلَ القَمَرِ الزَّاهِرِ

5 - لاَ يَأْخُذُ الرَّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ
وَلاَ يُبَالِي غَبَنَ الخَاسِرِ

قَدْ قُلْتُ شِعْرِي فقضَى بَيْنَكُمْ
وَاعْتَرَفَ المَنْفُورُ للنَّافِرِ (1)

فلمّا أنْشدَت هذه الأبيات قال النّاس نفّر عامر. فقال علقمة للحطيئة: قُمْ فَقُلْ. قال: وما أقول وقد سبقني الرّجل؟ ثم قام فقال شعراً وهو قوله [طويل]:

لَعَمْرِي لَقَدْ فَازَتْ يَدَاكَ بِعَامِرٍ
كَمَا فَازَ بِالسَّبْقِ المُبَرَّزُ حَاتِمُ

مَضَى سَلَفاً لاَ يَعْرِفُ النَّاسُ غَيْرَهُ
وَإِنْ رُغِمَتْ فِيهِ الأُنُوفُ الرَّوَاغِمُ

فقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لِهَرِم يوماً وقد دخل عليه في خلافته: مَن كنتَ منفّراً على صاحبه؟ قال: يا أمير المؤمنين لو احتكمت

---

(1) المنافرة بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة في الأغاني 16/215، وانظر ديوان الأعشى، 193.

ذلك اليوم لحزن أعقابهما. [فقال عمر: نِعْمَ مُسْتَوْدَعُ السرّ ومسند الأمر إليه أنتَ يَا هَرِمِ! مثلك فَلْيَسُدِ العشيرة وليستصنع الناس أحلامهم].

ونذر علقمة دم الأعشى فخرج بعد ذلك يريد وجهاً فأخطأ به دليله وألقاه في ديار بني عامر بن صعصعة فأخذه أصحاب علقمة فأتوا به إليه، فلمّا وقف بين يديه أنشأ علقمة يقول [طويل]:

أَأَخْطَا بِأَعْشَاكَ الدَّلِيلُ طَرِيقَهُ
وَأَصْبَحَ مَرْمِيًّا بِهِ كُلّ جَارِحِ

يُكَابِدُ لَيْلاً مَا يَنَامُ دَلِيلُهُ
لَهُ وَهَجٌ بَيْنَ الحَشَا وَالجَوَامِحِ

فقال الأعشى [متقارب]:

أَعَلْقَمُ قَدْ صَيَّرَتْنِي الأُمُورُ
إِلَيْكَ وَمَا أَنْتَ لِي مُنْقِصُ

كَسَاكُمْ عُلاَثَةُ أَثْوَابَهُ
وَأَوْرَثَكُمْ مَجْدَهُ الأَحْوَصُ

/ وَكُلُّ أُنَاسٍ إِذَا أَفْحَلُوا [95] - [96]
مَتَى نصَرُوا فَحْلَكُمْ بَصْبَصُوا

وَإِنْ فَحَصَ النَّاسُ عَنْ سَيِّدٍ
فَسَيِّدُكُمْ عَنْهُ لاَ يُفْحَصُ

5 - فَهَلْ تُنْكَرُ الشَّمْسُ فِي ضَوْئِهَا
أَوِ الْقَمَرُ البَاهِرُ المُبْرِصُ

فَهَبْ لِي ذُنُوبِي فَدَتْكَ النُّفُوسُ
وَلاَ زِلْتَ تَنْمُو وَلاَ تَنْقُصُ[1]

(1) ديوان الأعشى، 419.

فعفا عنه علقمة. فقال بعض بني علقمة للأعشى ما قلتَ في عامر فأنشأ يقول [سريع]:

عَلْقَمَ يا خَيْرَ بَنِي عَامِرٍ
لِلضَّيْفِ والصَّاحِبِ والزَّائِرِ

وَالضَّاحِكِ السِّنَّ عَلَى هَمِّهِ
وَالقَائِلِ العَثْرَةَ لِلْعَاثِرِ

لَوْ عَامِرٌ أسعف في عرضه
أَنْحَى عليه شَفْرَةَ الجَازِرِ

حتى إذا اللّحم بدا عظمه
أنحى على اللّحم فمَنْ ناصِرِي[1]

وهَرِم النّدى هو هَرِم بن سِنان المُرّي الذي كان زهير بن أبي سلمى له مادحاً. [وفيه قال [طويل]:

عَلَى مُكْثِرِيهِمْ حَقُّ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ
وَعِنْدَ المُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ والبَذْلُ]

[وقال: [بسيط]:

إنَّ البَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثَ كَانَ وَلَـ
ـكِنّ الجَوَادَ عَلَى عِلاّتِهِ هَرِمُ

هُو الجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ
عَفْواً ويُظْلَمُ أحْيَاناً فَيَظَّلِمُ

وَإنْ أتاه خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْألَةٍ
يَقُولُ لاَ غَائِبٌ مَالِي وَلاَ حَرِمُ

---

(1) هذه الأبيات مفقودة من الديوان.

القَــائِــدُ الخَيْــلَ مَنكُــوبــاً دَوَابِــرُهَــا
مِنْهــا الشَّنُــونُ وَمِنْهَــا الــزَّاهِــقُ الزَّهِمُ][1]

وآلَى هَرِمٍ على نفسه لا يمدحه زهير بقصيدة إلاّ أعطاه مائة ناقة. وكان زهير يمنع نفسه أن يمدحه خوف الإجحاف به، إلاّ إذا احتاج في السنة الممحلة. فاستبطأ هرم منه فآلى على نفسه ألاّ يطرح زهير عليه سلاماً إلاّ أعطاه مائة ناقة. وكان زهير يمرّ على الناس في النّادي فيقول: سلام عليكم إلاّ هَرِماً فإني لم أَعْنِه، وخير القوم استثنيت.

ولقي عمرُ بن الخطّاب بعضَ أولاد هَرِم، فقال: أنشدني شعر زهير فيكم. فأنشده عدّة أشعار حتى أتى على قوله [كامل]:

السِّتْــــرُ دُونَ الفَــــاحِشَــــاتِ وَلاَ
يَلْقَــــاكَ دُونَ الخَيْــــرِ مِــــنْ سِتْــــرِ

فقال عمر رضي الله عنه: ذاك رسول الله ﷺ، ثم قال له: لقد كان زهير يقول فيكم فيُجِيد. فقال: يا أمير المؤمنين لأنّا كنّا نُعْطِي فَنُجْزِلُ. فقال: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما قال فيكم.

(1) شعر زهير للأعلم، 100.

15 ـ ولاَ الزِّبْرِقَانُ والأَغَرُّ بْنُ حَابِسٍ
وَصَعْصَعَــةُ الفَكَّــاكُ أَهْــلَ الْمَغَــارِمِ

* * *

[97] - [98] / [الزِّبْرِقان هو الحُصَيْن بن بدر بن امرىء القَيْس بن خَلَف بن بَهْدَلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مَناة. والزِّبْرِقَان هو القمر والرجل الخفيف اللحية وسُمِّي الزِّبْرِقان لحُسْنِه شُبِّهَ بالقمر وقيل بل لبس عمامة مُزَبْرَقة بالزعفران فسمّي الزبرقان لذلك.

قدم على النبيّ ﷺ وفدُ بني تميم فيهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعُطَارد بن حاجب وقيس بن عاصم وعمرو بن الأَهْتَم وانطلق معهم عُيَيْنة بن حصن، فقدموا المدينة فدخلوا المسجد فوقفوا عند الحجرات فنادَوْا بصوت عالٍ جافٍ: اخرج إلينا يا محمّد فقد جئناك لنفاخرك وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا. فخرج إليهم رسول الله ﷺ فجلس. فقال الأقرع بن حابس: إنّ مدحي لزَيْنٌ وإنّ ذَمّي لشَيْنٌ. فقال النبي ﷺ: ذلك الله. فقالوا: إنّا أَكْرَمُ العرب. فقال رسول الله: أَكْرَمُ منكم يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السّلام. فقالوا: ائْذَنْ لشاعرنا وخطيبنا. فأذن لهم. فتكلّم عُطَارِد ثم ثابت بن قيس بن شمّاس ثم قام الزِّبْرِقَانُ فقال [بسيط]:

نَحْــنُ الكِــرَامُ فَــلاَ حَــيٌّ يُقَــارِبُنَــا
مِنَّــا المُلُــوكُ وَفِينَــا تُقْسَــمُ الــرِّبَــعُ

تِلْـكَ المَكَـارِمُ حُـزْنَـاهَـا مُغَـارَمـةً
إِذَا الكِـرَامُ عَلَـى أَمْثَـالِهَـا اقْتَـرَعُـوا

كَـمْ قَـدْ نُشِـدْنَـا مِـنَ الأَحْيَـاءِ كُلِّهِـمُ
عِنْـدَ النِّهَـابِ وَفَضْـلُ العِـزِّ يُتَّبَـعُ

وَنَنْحَـرُ الكُـومَ عُبْطـاً فِـي مَنَـازِلِنَـا
لِلنَّـازِلِيـنَ إِذَا مَـا اسْتَطْعَمُـوا شَبِعُـوا

5 ـ وَنَحْـنُ نُطْعِـمُ عِنْـد المَحْـلِ مَـا أَكَلُـوا
مِـنَ العَبِيـط إِذَا لَـمْ يَظْهَـرِ القَـزَعُ

ونَنْصُـرُ النَّـاس تَـأْتِينَـا سَـرَاتُهُـمُ
مِـنْ كُـلِّ أَوْبٍ فَتَمْضِـي ثُـمّ تُتَّبَـعُ

فَـلاَ تَـرَانَـا إِلَـى حَـيّ نُفَـاخِـرُهُـمْ
إِلَّا اسْتَقَـادُوا وَكَـادَ الـرَّأْسُ يُقْتَطَـعُ

فَمَـنْ يُفَـاخِـرُنَـا فِـي ذَاكَ نَعْـرِفُـهُ
فَيَـرْجِـع القَـوْمُ والأَخْبَـارُ تُسْتَمَـعُ

إِذَا أَبَيْنَـا فَـلاَ يَـأْبَـى لَنَـا أَحَـدٌ
إِنَّـا كَـذَلِـكَ عِنْـدَ الفَخْـرِ نَـرْتَفِعُ[1]

فأرسل رسول الله ﷺ إلى حسّان بن ثابت فجاء وقال قصيدته التي مطلعها [بسيط]:

إِنَّ الـذَّوَائِـبَ مِـنْ فِهْـرٍ وإِخْـوَتَهُـمْ
قَـدْ بَيَّنُـوا سُنَّـةً لِلنَّـاسِ تُتَّبَـعُ[1]

فقال الأقرع بن حابس: والله إنّ هذا الرّجل لَمُؤْتًى له. والله

(1) سيرة ابن هشام، 563، وديوان حسّان، نشر البرقوقي، 248.

لشاعره أشعر من شاعرنا ولخطيبه أخطب من خطيبنا ولأصواتهم أرفع من أصواتنا. أعطني يا محمّد فأعطاه، فقال: زدني، فزاده. فقال: اللهمّ إنّه سيّد العرب. فنزلت فيهم: ﴿إنّ الذين يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[1]. ثم إنّ القوم أسلموا وأقاموا عند النبيّ ﷺ يتعلّمون القرآن/ ويتفقّهون في الدين. ثم أرادوا الخروج إلى قومهم فأعطاهم رسول الله وكساهم[2]. [99] - [100]

ووفد على الرّسول ﷺ عمرُو بن الأَهْتَم والزِّبْرِقان بن بدر وقيس بن عاصم، فسأل النبيّ عمرو بن الأهتم عن الزِّبْرِقَان، فقال عمرو: مُطاعٌ في أَدْنَيْه شدِيدُ العَارِضة مانِعٌ لما وراء ظهره. فقال الزِّبْرِقان: يا رسول الله إنّه ليعلم منّي أكثر من هذا، لكنّه حسدني. فقال عمرو: أَمَا والله إنه لَزَمِرُ المروءة ضيّق العَطَن أحمق الوالد لئيم الخال. والله يا رسول الله ما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى ولكنّي رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسخطت فقلت أقبح ما وجدت. فقال عليه الصلاة والسلام: إنّ من البيان لسحراً.

وقد ولّى النبيّ ﷺ الزِّبْرِقانَ عملاً وأقرّه أبو بكر رضي الله عنه على عمله].

وأدّى الزبرقان ما كان من الصّدقة أيّام الرّدة. وشكره أبو بكر على المنبر فقال: وَفَى الزِّبْرِقَانُ.

[وقدم على عمر في سنه مجدبة ليُؤَدِّيَ صدقات قومه. فلقي الحطيئة واتّخذه جاراً. ثم إن الحطيئة سار مع بغيض بن شمّاس

(1) سورة الحجرات، الآية 4.
(2) انظر حول قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات، سيرة ابن هشام، 4/206 ـ 213.

وعلقمة بن هَوْذة واختار جوارهما. وقال الزبرقان في علقمة [كامل]:

لِــــي إبْـــــنُ عَــــمٍّ لاَ يَــــزَا
لُ يَعِيبُنِـــــي ويُعِيـــــنُ عَـــــائِـــبْ

وأُعِينُـــــه فِـــــي النَّـــــائِبَـــا
تِ ولا يُعِيـــــنُ عَلَـــــى النَّـــوَائِـــبْ

تَسْـــــرِي عَقَـــــارِبُـــــهُ إلـ
ـــــيَّ ولاَ تَـــدِبُّ لَـــــهُ عَقَـــارِبْ

لاَهِ ابْـــــنُ عَمِّـــــكَ لاَ يَخَـــا
فُ المُحْـــزِنَـــاتِ مِـــنَ العَـــوَاقِـــبْ[1]

وهجا الحُطَيْئَةُ الزِّبْرِقَانَ حِين هجا دِثارُ بنُ شيبان بغيضَ بنَ الشمّاس بأمر [من] الزبرقان].

وممّا رواه الثعالبي قوله [طويل]:

أَخُـوكَ الَّـذِي لا يَنْقُـضُ الـدّهْـرَ عَهْـدَهُ
وَلاَ عَـنْ صُـرُوفِ الـدَّهْـرِ يَـزْوَرُّ جَـانِبُـهْ

ولَيْـسَ الَّـذِي يَلْقَـاكَ بِـالبِشْـرِ وَالـرِّضَـى
وَإِن غِبْـتَ عَنْـهُ تَـابَعَتْـكَ عَقَـارِبُـهْ

فخُـذْ مِـنْ أَخِيـكَ العَفْـوَ وَاغْفِـرْ ذُنُـوبَـهُ
وَلاَ تَـكُ فِـي كُـلِّ الأُمُـورِ تُحَـاسِبُـهْ

وقوله [بسيط]:

تعْـدُو الـذِئَـابُ علـى مَـنْ لاَ كِـلابَ لَـهُ
وَتَتَّقِـي مَـرْبِـضَ المُسْتَـأْسِدِ الضَّـاري]

والأقرع بن حابس [بن عقال بن محمد بن سفيان] التميمي ثم

(1) الأغاني، 152/2.

الدّارمي ثم المجاشعي [من حُكّام تميم ومرجعهم في واقعاتهم ومنافرتهم. قال ابن إسحاق: وفد على النبيّ ﷺ]. وهو من المؤلّفة قلوبهم أعطاه رسول الله وأرضاه فغضب العبّاس بن مرداس السُّلَمِي فقال بين يَدَيْ رسول الله ﷺ [متقارب]:

فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ العُبَيْـ ... ـدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعِ

[101] / وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلاَ حَابِسٌ ... يَفُوقَانَ مِرْدَاسَ فِي المَجْمَعِ

وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا ... وَمَن تَضَعِ اليَوْمَ لَمْ يُرْفَعِ]

[وشهد الأقرع فتحَ مكّة وحُنَيْناً والطّائف، وقد حَسُنَ إسلامُه وشهد مع شرحبيل بن حسنة دَومَةَ الجندل ومع خالد بن الوليد حرب أهل العراق وفتح الأنبار. وقال ابن دريد إن اسم الأقرع بن حابس فراس وإنما قيل له الأقرع لقرع كان برأسه. وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام. وذكر ابن الكلبي أنّه كان مجوسيّاً قبل أن يسلم. وذكر الرّضيّ الشاطبي[1] أنّ الأقرع قُتِل باليرموك في عشرة من بيته].

وقوله: «صعصعة الفكّاك أهل المغارم»: هو جدّ الفرزدق.

[وهو صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم ويقال له محيي المَوْؤُودات. مرَّ صعصعة برجل من قومه وهو يحفر بئراً وامرأته تبكي. فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: يريد أن يئد ابنتي هذه، فقال له: ما حَمَلَك على هذا؟ قال: الفقر. فقال: إنّي أشتريها منك بناقتَيْن يتبعهما أولادهما تعيشون بألبانهما، ولا تئدِ الصبيّةَ. قال: قد فعلت، فأعطاه الناقتَيْن وجملاً كان تحته فحلاً. فجاء الإسلام وقد فدى ثلاثمائة موؤودة

(1) لعلّه رضي الدين محمد بن علي الشاطبي المتوفّى سنة 684 (انظر الوافي بالوفيات، 4/190، رقم 1735).

ففخر بذلك الفرزدق فقال [طويل]:

أَبِــي أَحَــدُ الغَيْثَيْــنِ صَعْصَعَــةُ الَّــذِي
مَتَــى تُخْلِــفِ الجَــوْزَاءُ وَالــدِّلْــوُ يُمْطِــرِ
أَجَــارَ بَنَــاتِ الــوَائِــدِيــنَ وَمَــنْ يُجِــرْ
عَلَــى الفَقْــرِ يَعْلَــمْ أَنَّــهُ غَيْــرُ مُخْفَــرِ
علَــى حِيــنِ لاَ تَحْيَــى البَنَــاتُ وَإِذْ هُــمُ
عُكُــوفٌ عَلــى الأَصْنَــامِ حَــوْلَ المُــدَوَّرِ
أَنَــا ابْــنُ الَّــذِي رَدَّ المَنِيَّــةَ فَضْلُــهُ
وَمَــا حَسَــبٌ دَافَعْــتُ عَنْــهُ بِمُعْــوِرِ[1]

ووَفَدَ صعصعة بن ناجية المجاشعي على النبيّ ﷺ فعرض عليه الإسلام فأسلم وحادثه فيما فعله من فكّ المَوْؤُودَات في الجاهلية، فقال له النبيّ ﷺ: هذا باب من البرّ ولك أجره إذ منّ الله عليك بالإسلام.

وقال الفرزدق [متقارب]:

وَجَــدِّي الَّــذِي مَنَــعَ الــوَائِــدَاتْ
وَأَحْيَــى الــوَئِيــدَ فَلَــمْ يُــوأَدِ

وصَعصعة هذا كان شاعراً، ومن قوله [طويل]:

/ إِذَا المَرْءُ عَــادَى مَــن يَــوَدُّكَ صَــدْرُهُ [102]
وَكَــانَ لِمَــنَ عَــادَاكَ خِــدْنــاً مُصَــافِيَــا
فَــلاَ تَسْــأَلَــنْ عَمَّــا لَــدَيْــهِ فَــإِنَّــهُ
هُــوَ الــدَّاءُ لاَ يَخْفَــى بِــذَلِــكَ خَــافِيَــا]

ويقال هو صعصعة بن بكر بن هوازن، ويقال صعصعة بن سعد بن زيد مناة.

---

(1) ديوان الفرزدق، 477.

16 ـ وَلاَ مُحْكَمٌ نَجْرُ اليَمَامَةِ كُلِّها
وَلاَ هَوْذَةُ المَعْصُوبُ تَاجُ الأَعَاجِمِ

* * *

مُحْكَمٌ من بني حنيفة وكان من حلمائهم وحكمائهم. وكانوا يرجعون إليه في أمورهم وهو مشهور بذلك.

وهَوْذَة هو هَوْذَةُ بن علي بن بكر وائل وكان شريفاً سيّداً [وهَوْذَة في الأصل اسم للقطاة والجمع هُوذ، سمّي به هوذة بن علي بن ثُمَامة بن عمرو بن عبد العزّى بن سُحَيْم ابن الدُّول بن حنيفة بن لُجَيْم بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل. ذكر ابن الأثير أنّ كسرى أنو شروان لما دخل عليه هَوْذَة أُعْجِبَ به فدعا بعقد من درّ فعقد على رأسه ومن ثمّ سمّي هَوْذَة ذا التاج]. ويقال إنه ما تتوّج مَعَدِّيّ في الجاهليّة غيره.

[قال أبو العبّاس المبرّد: وحدّثني الثّوريّ قال: سمعت أبا عبيدة يقول عن أبي عمرو قال لم يتتوّج معدّيّ قطّ وإنما كانت التيجان لليمن. فسألته عن هوذة بن علي الحنفي، فقال إنما كانت خرزات تُنظَم له، فتُجْعَل على رأسه تشبُّهاً بالملوك. وكان هوذة ذا قدر عالٍ. قال فيه الأعشى [بسيط]:

مَنْ يَلْقَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِبٍ
إِذَا تَعَصَّبَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا
لَهُ أَكَالِيلُ بِاليَاقُوتِ فَصَّلَهَا
صَوَّاغُهَا لاَ تَرى عَيْباً وَلاَ طَبَعَا

وقال فيه [طويل]:

تضَيَّفْتُـــهُ يَـــوْمـــاً فقَـــرَّبَ مَجْلِسِـــي
وأَصْفَـــدَنـــي عَلَـــى الـــزَّمَـــانَـــةِ قـــائِـــدَا

وأَمْتَعَنِـــي عَلـــى العَشَـــا بِـــوَلِيـــدَةٍ
فَـــأُبْـــتُ بِخَيْـــرٍ مِنْـــك يـــا هَـــوْذُ حَـــامِـــدَا

فتًـــى لَـــوْ يُبَـــارِي الشَّمْـــسَ أَلْقَـــتْ قِنَـــاعَهَـــا
أَوِ القَمَـــرَ السَّـــارِي لأَلْقَـــى الْمَقَـــالِـــدَا](1)

/[ووفد هَوْذَة على كسرى وكان يُجيزُ لطيمته في البَرّ بجنبات [103] اليمامة، واللّطيمة الإبل تحمل الطّيب والبزّ]. فسأله عن حاله وأولاده، فعدّ كثيراً، فقال: أيُّهُمْ أحبّ إليك؟ قال: الصَّغير حتى يكبر، والغائب حتى يقدم، والمريض حتى يصحّ، فقال له كسرى: ما غِذَاؤُكَ؟ فقال: الخُبْزُ. فالتفت كسرى إلى أصحابه فقال: هذا عقل الخبز! ـ يفضّله على عقول أهل البوادي الذين يغتذون اللّبن والتمرْ. وقد كاتبه رسول الله ﷺ مكاتبةَ الملوك وأنصفه كما أنصفهم.

[ويُرْوَى أن النبيّ ﷺ بعث إليه سليط بن عمرو العامري ومعه كتاب فيه: «بسم الله الرّحمان الرّحيم. من محمّد رسول الله إلى هَوْذَة بن عليّ، سلامٌ على من اتّبع الهدى. واعْلَمْ أنّ ديني سيظهر إلى منتهى الخفّ والحافر فأسلم تسلم، وأَجْعَلُ لَكَ ما تحت يَدَيْك».

فأرسل إلى النبيّ ﷺ وفداً يقول له: إن جعل الأمر من بعده له أسلم وسار إليه ونصره، وإلاّ قصد حربه. فقال ﷺ لا ولا كرامة، اللهمّ اكفنيه! فمات بعد قليل.

وقال الأعشى في قصيدة يمدح بها هَوْذَةَ بن علي [متقارب]:

---

(1) ديوان الأعشى، ص 157 و 115.

فَـــأَعْـــدَدْتَ لِلحَـــرْبِ أَوْزَارَهَـــا
رِمَـــاحـــاً طِـــوَالاً وَخَيْـــلاً ذُكُـــورَا
وَمِـــنْ نَسْـــجِ دَاوُدَ تُحْـــدَى بِهَـــا
عَلَـــى أَثَـــرِ العِيـــسِ عِيـــراً فَعِيـــرَا
إِذَا ازْدَحَمَـــتْ فِـــي المَكَـــانِ المضِيـ
ـــقِ حَـــثَّ التّـــزَاحُـــمُ مِنْهَـــا القَتِيـــرَا
لهـــا زَجَـــلٌ كحَفِيـــفِ الحَصَـــا
دِ صَـــادَفَ بِـــاللَّيْـــلِ رِيحـــاً دَبُـــورَا

وقال في قصيدة أخرى [طويل]:

أَحَيَّتْـكَ تَيَّـا أَمْ تُـرِكْـتَ بِـدَائِكَـا
وَكَـانَـتْ قَتُـولاً لِلـرِّجَـالِ كَـذَلِكَـا
إِلَـى هَـوْذَةَ الـوَهَّـابِ أَهْـدَيْـتُ مِـدْحَتِي
أُرَجِّي نَـوَالاً فَـاضِـلاً مِـنْ عَطَـائِكَـا
سَمِعْـتُ بِـرَحْـبِ البَاعِ وَالجُـودِ وَالنَّدَى
وَأَلْقَيْـتُ دَلْـوِي فَـاسْتَقَـتْ بِـرِشَـائِكَـا
وَمَـا ذَاك إلاّ أَنَّ كَفَّيْـكَ بِـالنَّـدَى
تَجُـودَانِ بِـالإِعْطَـاءِ قَبْـلَ سُـؤَالِكَـا
5 - فَتَـى يَحْمِـلُ الأَعْبَـاءَ لَـوْ كَـانَ غَيْـرُهُ
مِـنَ النَّـاس لَـمْ يَنْهَـضْ بِـهَـا مُتَمَـاسِكَـا
وَأَنْـتَ الَّـذِي عَـوَّدْتَنِـي أَنْ تَـرِيشَنِـي
وَأَنْـتَ الَّـذِي آوَيْتَنِـي فِـي ظِـلاَلِكَـا
[104] - [105] / وَإِنَّـكَ فِيمَـا نَـابَنِـي بِـيَ مُـولَـعٌ
بِخَيْـرٍ وَإِنِّـي مُـولَـعٌ بِثَنَـائِكَـا

وَجَــدْتَ عَليًّــا بــانيــاً فَــوَرِثْتَــهُ

وَطَلْقــاً وَشَيْبَــانَ الجَــوَادَ وَمَــالِكَــا

وَلَــمْ يَسْــعَ فِــي العَلْيَــاءِ سَعْيَــكَ مَــاجِــدٌ

وَلاَ ذو إِنَــى فِــي الحَــيِّ مِثْــل إِنَــائِكَــا][1]

(1) نفس المصدر، ص 149 و 139.

17 ـ وَلَا ابْنُ أَبِي شَمْرٍ وَوَالِي جَذِيمَةٍ[1]
وَلا سَاطِرُونُ المُنْتَمِي للعَظَائِمِ

* * *

يريد ابن أبي شمر الغسّاني [وهو الحارث بن أبي شمر جَبَلَة بن الحارث الأعرج الغَسّاني ملك الشّام، يوم وثب بخيله ورجله على المنذر بن ماء السّماء اللّخمي ملك الحيرة حينما غزا غزوته التي قُتِل فيها. وهذا اليوم سُمِّي بيوم حليمة وأضيف لبنت الحارث بن أبي شمر، لأنه لما رأى في جيش المنذر ما لا تطيقه قواه ندب من أصحابه مائة رجل اختارهم رجلاً رجلاً وقال لهم: انطلقوا إلى عسكر المنذر فأخبروه أنا ندين له ونعطيه حاجته، فإذا رأيتم منه غرّة فاحملوا عليه. ثم أمر ابنته حليمة فأخرجت لهم مركناً فيه خَلوق، فقال خَلِّقيهم، فخرجت إليهم وهي من أجمل ما يكون من النساء فجعلت تخلقهم ومضى القوم حتى أتوا المنذر فقالوا له: أتيناك من عند صاحبنا وهو يدين لك ويعطيك حاجتك. فتباشر أهل عسكر المنذر بذلك وغفلوا بعض غفلة فحملوا على المنذر فقتلوه.

وقتل ابن شمر خلقاً كثيراً وأسّر من تميم مائة أسير منهم شأس بن عبدَة أخو علقمة. فأطلق أخاه وأسرى تميم ومنحه مالاً جزيلاً. فقال علقمة بن عبدة [طويل]:

---

(1) في «أ» و «ب»: والي جدية، والتصويب من «ج».

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الحِسَانِ طَرُوبُ
بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

. . . إلى الحَارِثِ الوَهَّاب أعمَلْتُ نَاقَتِي
لِكَلْكَلِهَا والقُصْرَيَيْنِ وجيبُ

لِتُبْلِغَنِي دَارَ امْرِئٍ كَان نَائِيًا
فَقَدْ قَرَّبَتْنِي مِنْ نَدَاك قَرُوبُ

إلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كَانَ وَجِيفُهَا
بِمُشْتَبِهَاتٍ هَوْلُهُنّ مَهِيبُ

5 - هداني إليك الفرقدان ولاحِبٌ
له فوق أصواء المِتان عُلُوبُ

وَأَنت امْرؤٌ أَفْضَتْ إليكَ أَمَانَتِي
وَقَبْلَكَ ربَّتْنِي فضِعتُ رُبوبُ

. . . تَجُود بنَفْسٍ لا يُجَادُ بِمِثْلِهَا
وَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ خَصِيبُ

. . . وَأَنْتَ الَّذِي آثَارُه فِي عَدُوِّه
مِنَ البُؤْس والنُّعْمَى لَهُنَّ نُدُوبُ

وَفِي كُلِّ حيّ قد خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ
فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ

10 - فَلاَ تَحْرِمَنِّي نَائِلاً عَنْ جَنَابَةٍ
فَإِنِّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبَابِ غَرِيبُ [1]

وقال الحارث بن حلّزة يذكّر عمرو بن هند بذلك [خفيف]:

---

(1) المفضليّة 119.

أَمْ عَلَيْنَــــا جَـــــرَّا حَنِيفَـــةَ أَمْ مَـــا
جَمَعَـــــتْ مِـــــنْ مُحَـــارِبٍ غَبْــــرَاءُ

فحرّضه بذلك على حلفاء بني تغلب بني حنيفة].

[ويقال إن الحارث بن أبي شمر الغسّاني هو الذي أتى السَّمَوْأَل ليأخذ منه أدراع امرىء القيس، فتحصّن منه السموأل فأخذ ابناً له غلاماً وناداه: إمّا أن تسلّم الأدراع وإمّا أن قتلتُ ابنَك. فأبى السَّمَوْأل أن يسلّم الأدراع إليه، فضرب الحارث وَسَط الغلام بالسيف فقطعه اثنين].

[106] / وسَاطِرُون مَلَكَ الحِصْنَ[1] حِصْنَ سابور مدّةً فلم يقدر عليه حتى آل الأمر إلى أن عشقت ابنة ساطرون سابور، فأرسلت إليه تمايلُه على قتل أبيها [فأجابها إلى ذلك فاحتالت على أبيها] ومكّنت سابور من الحصن حتى دخله وقتل ساطرون وهدم الحصن وانصرف إلى [مملكته] بعرشه. فقيل إنه كان يوماً معها إذ امتلأ الفراش دماً من جسدها فنظر من أيّ موضع هو. فإذا هو من ورقة آس خدشتها في عكنتها فسالت دماً. فقال لها سابور: بِمَ كان يغذوكِ أَبَوَاكِ؟ قالت: بالمخ والخمر والعسل. ورُوِي أن سابور قتلها بعد ذلك. وسابور هو ذو الأكتاف.

أما والي جذيمة فلم يُذكَرْ له خبر.

---

(1) عرّف اليعلاوي الساطرون بأنه ملك «الحَضْر» لا الحصن، وقال إنّ الحضر مدينة في زمن السريانيّين كانت تقع على أميال من الموصل، الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص 226، هامش 15.

18 ـ ولا ابْنُ الجُلُنْدَى في عُمَانٍ ولاَ الَّذِي
أَجَارَ جَرَادَ القَفْرِ مِنْ كُلِّ طَاعِمِ

* * *

الجُلُنْدَى هو الذي ذكره الله في مُحَكم كتابه بقوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[1] وهو من الأزد.

ومجير الجراد هو أبو حنبل بن حارثة بن مرّة الطائي[2]. وذلك أن الجراد باتت بقرب داره فأتى الحيّ ليأخذوه، فلما رآهم مقبلين [ومعهم أوعيتهم] قال: إلى أين تريدون [وما خطبكم]؟ قالوا: نريد جارك هذا. قال: وأيّ جيراني؟ قالوا: الجراد. قال: أمّا إذا سمّيتموهُ جاري فلا تصلون إليه أبداً، ثم نادى في بني أبيه وقومه وفتيانه وولده: تَنَكَّبُوا النّبل وسُلُّوا السيوف وأَشْرِعوا الرماح! فانصرف النّاس عن الجراد حتى طلعت الشمس [وحميت عليه وطار. فقال: شأنكم به الآن وقد تحوّل عن جواري]. وفي ذلك يقول هلال بن معاوية الطائي [متقارب]:

وبـالجبلَيْـن لَنَـا مَعْقِـلٌ
صَعِـدْنَـا إليـه بِسُمْـرِ الصِّعَـادِ

مَلَكْنَـاهُ فِـي أوْلَيَـاتِ الـزَّمَـانِ
ومِـنْ قَبْـلِ نـوحٍ وَمِـنْ قَبْـلِ عـادِ

---

(1) سورة الكهف، الآية 79.

(2) وحسب اليعلاوي، هو مدلج بن سويد بن مرثد الطائي، المرجع المذكور، ص 226، الهامش 16.

وَمِنَّـــا ابْـــنُ مُـــرٍّ أَبُـــو حَنْبَـــلٍ
أَجَـــارَ مِـــنَ النَّـــاسِ رَجْـــلَ الجَـــرَادِ
وزَيْـــدٌ لَنَـــا وَلَنَـــا حَـــاتِـــمٌ
غِيَـــاثُ الـــوَرَى فِـــي السِّنِيـــنِ الشِّـــدَادِ

/ 19 ـ وَلاَ قَاتِلُ الغَازِينَ تَحْتَ لِوَائِهِ[1] [107]

بِيَوْمِ خَزَازَى كالنُّسُورِ القَشَاعِمِ

* * *

وقاتل الغازين هو كُلَيْب بن ربيعة بن مُرّة [هو وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جُشم بن بكر بن حُبَيْب بن عمر بن تغلب] وبه يُضْرَب المثل في العزّ فيقال «أعزّ من كليب وائل». وكان هو الذي بنى منازلهم ولم يكونوا يظعنون من موضع ولا ينزلون منزلاً إلاّ بأمره. وبلغ من عزّه ومنعته أنه اتّخذ جروَ كلب وكان إذا نزل منزلاً مكْلِئاً قذف ذلك الجرو فيه فعوى ولا يقرب ذلك الكلأ أحدٌ إلاّ بإذنه أو من أذن بحرب. وكان إذا ورد الماء قذف به عند الحوض فلا يقرب أحد ذلك الحوض حتى تصدر إبله. [وكان يجير على الدهر فلا تُخْفَر ذمّته]. وكان يحمي الصيد فيقول: صيد كذا وكذا في جواري فلا يُهاج ذلك الصّيد ولا يخوض معه أحد. [وكان قد حمى حِمًى لا يطؤُه إنسان ولا بهيمة. فدخل فيه يوماً فطارت قُبَرَة بين يديه من على بيضها فقال لها [رجز]:

يَا لَكِ مِن قُبَّرَةٍ بِمَعْمَرِي
لا تَرْهَبِي خَوْفاً وَلاَ تَسْتَنْكِرِي
قَدْ ذَهَبَ الصَّيَّادُ عَنْكِ فَابْشِرِي
وَرُفِعَ الفَخُّ فَمَاذَا تَحْذَرِي؟

---

(1) في «ج»: ولا قائد الغازين.

خَــلاَ لَــكِ الجَــوُّ فبيضِــي واصْفِــري
ونَقِّــري مَــا شِئْــتِ أن تُنَقِّــرِي
فَــأَنْــتِ جَــارِي فِــي صُــرُوفِ الحَــذَرِ
إلــى بُلُــوغِ يَــوْمِــكِ المُقَــدَّرِ]

ولا يمرّ بين يديه أحدٌ إذا جلس ولا يحتبي في مجلسه أحد غيره [ولا يُغير إلاّ بإذنه]، فصار في العرب مثلاً، فقتله جسّاس بن مُرّة بن ذُهْل بن شيبان. وذلك أنّ البسوس امرأة من غنيّ وهي التي يضرب بها المثل في الشؤم فيقال: أشأم من البسوس وكانت في جوار جسّاس [وكانت معها ناقةٌ خوّارة مع فصيلها واسم النّاقة سراب]، فوردت بعض المياه ومرّت إبل كليب تريد الماء فاختلطت بها ناقة البسوس فوردت الماء مع الإبل فرآها كليب فأنكرها. [فقال له جسّاس وهو معه: هذه ناقة جارتنا، فقال: لا تَعُدْ هذه الناقة إلى هذا الحِمَى. فقال جسّاس: لا [108] ترعى/ إبلي مرعى إلاّ وهذه معها. فقال كليب: لئن عادت لأَضَعَنَّ سهمي في ضرعها. فقال جسّاس: لئن وضعت سهمك في ضرعها لأَضَعَنَّ سِنَان رمحي في صُلْبِك، ثمّ تفرّقا. ثم إنّ كليباً خرج إلى الحمى فوجد بيض القنبرة قد وطأتها سراب فكسرتها، فغضب وأمر غلامه أن آرْمِ ضرعها، فخرقه بسهم وقتل فصيلها ثم طرد إبل جسّاس ونفاها عن مياه غديرَيْن اسمهما شُبَيْث والأَحَصّ حتى كادت تهلك عطشاً]. فأقبلت النّاقة تعجّ وضرعها يسيل دماً ولبناً. فلما رأتها البسوس مزّقت خمارها وصاحت: واذُلّاه! واجواراه! فأحمت جسّاساً. فركب فرسه مغضباً وأخذ رمحه ومعه عمرو بن الحارث بن ذُهْل بن شيبان فركضا نحو الماء فلقيا رجلاً فسألاه: من رمى الناقة؟ قال: الذي جلاكما عن الماء وسامكما الخسف. فزادهما ذلك حميّة وغضباً وأقبلا حتى وقفا على كليب فقال له جسّاس: يا أبا الماجد أعلمت أنها ناقة جارتي؟ فقال كليب: فإذا كانت

جارتك فما يكون؟ أتراك مانعي أن أذبّ عن حِمَايَ فأحفظه؟ فحمل عليه فطعنه طعنة وطعنه عمرو طعنة فقتلاه. فقال كليب وهو يجود بنفسه: اسقني الماء يا جسّاس. فقال: هيهات تجاوزت الأحصّ وشُبَيْثاً وماءهما، فذهبَتْ مثلاً. وقال الشعراء في نعي كليب وما كان يصنع في قومه، فقال عمرو بن الأهتم في ذلك [طويل]:

فــإنّ كُلَيْبــاً كَــانَ يَظْلِــمُ قَــوْمَــهُ
فَــأَدْرَكَــهُ مثــلُ الــذي تَــرَيَــانِ

ولمّــا سَقَــاهُ السُّــمَّ رُمْــحُ ابــنِ عَمِّــهِ
تَــذَكّــر غِــبَّ الظُّلْــمِ أيَّ أوانِ

وَقَــالَ لِجَسَّــاسٍ أغِثْنِــي بِشَــرْبَــةٍ
وَإِلاَّ فَخَبِّــرْ مَــنْ لَقِيــتَ مَكَــانِــي

فَقَــالَ: تَجَــاوَزْتَ الأحَــصَّ وَمَــاءَهُ
وَمَــاءَ شُبَيْــثٍ وهــو غيــرُ دِفانِ[1]

وقال نابغة بني جعدة [طويل]:

وَقَــالَ لِجَسَّــاسٍ أَغِثْنِــي بِشَــرْبَــةٍ
تَمُــنُّ بِهَــا فَضْــلاً عَلَــيّ وَأَنْعِــمِ

فَقَــال: تَجَــاوَزْتَ الأَحَــصَّ وَمَــاءَهُ
وَمَــاءَ شُبَيْــثٍ وَهْــوَ ذُو مُتَــوَسَّــمِ

[وَبَلّــغْ عُقَــالاً أَنَّ خُطَّــةَ دَاحِــسٍ
بكفَّيْــكَ فَــاسْتَــأْخِــرْ لَهَــا أَوَ تَقَــدَّمِ

تُجِيــرُ عَلَيْنَــا وَائِــلاً بِــدِمَــائِنَــا
كَــأَنّكَ عَمَّــا نَــابَ أَشْيَــاعَنَــا عَــمِ

---

(1) العقد، 5/215.

[109] / 5 ـ كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً
وَأَيْسَرَ ذَنْباً مِنْكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَّ بِطَعْنَةٍ
كَحَاشِيَةِ البُرْدِ اليَمَانِي المُسَهَّمِ][1]

وقال العبّاس بن مرداس السُّلمي يخاطب رجلاً اسمه كليب، وكان جحد قومه حظّهم فحذّره غبَّ الظلم فقال [**كامل**]:

أَكُلَيْبُ مَالَكَ كُلَّ يَوْمٍ ظَالِماً
والظُّلْمُ أَنْكَدُ وَجْهُهُ مَلْعُونُ
فَافْعَلْ بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بِوَائِلٍ
يَوْمَ الغَدِيرِ سَمِيُّكَ المَطْعُونُ[1]

[ويوم خزاز أو خزازى (جبل قريب من أمَرة على يسار الطريق بين البصرة ومكّة) بين مِلك كندة وحِمير، وربيعة قوم كليب. وسببه أن لبيد بن عنبسة عامل ملوك كندة لطم امرأته جدرة الزّهراء أخت كليب لمّا أنكرت عليه صُنْعَه بربيعة وكان عَتَا وتجبّر وأخذ فيهم بالعنف والظلم وقالت له: ما أعرف أعزّ من كليب، فقتله كليب. وكان يوم خزازى أعظم يوم التقته العرب في الجاهلية وهزم فيه كليب جموع اليمن فاجتمعت عليه معدّ كلّها وجعلوا له قسم الملك وتاجه ونجيبته وطاعته].

[وكان مقتل كليب سنة 494 م. بالذّنائب عن يسار فلجة مصعداً إلى مكّة وقبره هناك، وفيه يقول المهلهل [**وافر**]:

ولَو نُبِشَ المَقَابِرُ عَنْ كُلَيْبٍ
فَيُخْبَرَ بالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرِ][1]

---

(1) الأغاني، 5/29 و 32.

20 ـ وَلاَ عَلَمُ الأَجْوَادِ كَعْبُ بْنُ مَامَةٍ
عَقِيـدُ الثَّنَـاءِ الْمَحْـضِ دُونَ اللَّـوَائِـمِ

21 ـ وَلاَ عَوْفُ المُوفِي بِذِمّةِ جَارِهِ
وَلاَ حُـرَّ فِـي وَادِيـهِ غَيْـرَ المُسَـالِـمِ

* * *

كعب بن مامة الإيادي كان أحد أجواد العرب يُؤْثِر على نفسه، ومن حديثه أنه خرج مسافراً في ركب فيهم رجل من النَّمِر بن قاسط في شهر ناجر وهو شهر صفر فقلّ عليهم الماء فتصافنوه، والمصافنة المقاسمة [وهو أن يطرح في القعب أي الإناء حصاة ثم يصبّ فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة وتلك الحصاة هي المقلة فيشرب كلّ إنسان / بقدر واحد لئلا يتغابنوا]، وكلّ شيء وُقِف على كيله أو وزنه والأصل ما [110] ذكرناه. [فقعدوا للشرب فلما دار القعب وانتهى إلى كعب] أبصر النَّمَري يحدد النظر إليه نظر راغب فيقول كعب للسّاقي: اسْقِ أخاك النّمَري، [فشرب النمَري نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ثم نزلوا من غدهم المنزل الآخر فتصافنوا بقيّة مائهم، فنظر إليه النّمري كنظرة أمس، فقال كعب كقوله أمس وارتحل القوم]. ولم يزل كعب يؤثره حتى جُهِد. ورُفِعَت له أعلام الماء فقيل له: رِدْ كعبُ إنّك ورّاد! فعجز عن الجواب. [فلما يئسوا منه خيّموا عليه بثوب يمنعه من الوحوش أن تأكله وتركوه مكانه ففاض] ومات عطشاً.

وفي ذلك يقول أبو دُوَاد الإيادي[1] يرثيه، وكان شاعراً مُجيداً [بسيط]:

[ما كَانَ مِنْ سُوْقَةٍ أَسْقَى عَلَى ظَمَـإٍ
خَمْـراً بِمَـاءٍ إِذَا نَـاجُـودُهـا بَـرَدَا

مـنِ ابْـنِ مـامـةَ كَعْـبٍ ثـم عَـيَّ بِـهِ
زوُّ المَنِيَّـــةِ إلّا حَـــرَّةً وَقَـــدَى]

أَوْفَـى عَلَـى المَـاءِ كَعْـبٌ ثُـم قِيـلَ لَـهُ
رِدْ كعـــبُ إِنَّـــك وَرَّادٌ فَمَـــا وَرَدَا

فضرب به المثل في الجود والكرم وقيل فيه: «أجود من كعب بن مامة».

وقال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز [وافر]:

[أَبَـــتْ عَيْنَـــاكَ بـــالحُسْـــنِ الـــرُّقَـــادَا
وأَنْكَـــرَت الأصـــادِقَ والبِـــلاَدَا]

... يَعُودُ الفَضْل مِنْـكْ عَلَـى قُـرَيْـشٍ
فَتُفْـرِجُ عَنْهُـمُ الكُـرَبَ الشِّـدَادَا

وَتَبْنِـي المَجْـدَ يَـا عُمَـرُ بْـنَ لَيْلَـى
وَتَـذْكُـرُ فِـي رَعِيَّتِـكَ المعَـادَا

... فَمَا كَعْبُ بْنُ مَـامَـةَ وَابْـنُ سُعْـدَى
بِـأَجْـوَدَ مِنْـكَ يَـا عُمَـرُ الجَوَادَا[2]

[وفيه يقول حَبِيب [بسيط]:

يجُـودُ بـالنَّفْـسِ إِذْ ضَـنَّ البَخِيـلُ بِهَـا
وَالجُـودُ بِـالنَّفْـسِ أَقْصَـى غَـايَـةِ الجُـودِ

---

(1) الأبيات لمامة الإيادي أبي كعب، وانظر اللسان: زوي، وأمالي القالي 2/221.
(2) ديوان جرير، 134.

وإلى كَعْبٍ وحاتِمٍ أشار الشاعر بقوله [كامل]:

هـــذَا الـّــذِي خَلَــفَ السَّحَــابَ وَمَــاتَ ذَا
فِـــي الجَهْـــدِ مِيتَـــةَ خَضْـــرَمٍ صِنْـــدِيـــدِ
إِلاَّ يَكُـــنْ فِيهَـــا الشَّهِيـــدَ فَقَـــوْمُـــهُ
لاَ يَسْمَحُـــونَ بِـــهِ بِـــأَلْـــفِ شَهِيـــدِ][1]

/ [وعَوْف هو عَوْف بن مُحَلِّم بن ذُهْل بن شيبان. وكان وفاء هذا [111] الرّجل أنّ مروانَ القَرَظِ بنَ زنبَاع غزا بكر بن وائل فقَصُّوا أثر جيشه حتى أسره رجل منهم وهو لا يعرفه، فأتى به أمَّهُ، فلمّا دخل عليها قالت: إنك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ. فقال لها مروان: وما ترتجين من مروان؟ قالت: عِظَم فدائه. قال: وكم ترتجين من فدائه؟ قالت: مائة بعير. قال مروان: ذلك لكِ على أن تؤدّيني إلى خُماعة بنت عوف بن محلّم.

وكان السّبب في ذلك أن ليث بن مالك المسمّى بالمنزوف ضَرِطاً لمّا مات أخذت بنو عبس سلبه وفرسه ثم مالوا إلى خبائه فأخذوا أهله وسلبوا امرأته خُمَاعة بنت عوف بن محلّم. وكان الذي أصابها عمرو بن قارب وذؤاب بن أسماء. فسألها مروان القرظ: مَنْ أنتِ؟ قالت: أنا خماعة بنت عوف بن محلّم. فانتزعها من عمرو وذؤاب لأنه كان رئيس القوم، وقال لها: غطّي وجهك والله لا ينظر إليه عربي حتى أردّك إلى أبيك. ووقع بينه وبين عَبْس شرٌّ بسببها. ويقال إنّ مروان قال لعمرو وذؤاب: حَكِّمَاني في خماعة. قالا: حكّمناك يا أبا صهبان. قال: فإني أشتريها منكما بمائة من الإبل. وضمّها إلى أهله حتى إذا دخل الشّهر الحرام أحسن كسوتها وأخدمها وأكرمها وحملها إلى عكاظ. فلما انتهى

(1) حبيب هو أبو تمّام والبيتان في ديوانه، 1/392.

بها إلى منازل بني شيبان قال لها: هل تعرفين منازل قومك ومنزل أبيك؟ فقالت: هذه منازل قومي وهذه قبة أبي. قال: فانطلقي إلى أبيك. فانطلقت فخبَّرَتْ بصنيع مروان.

فكانت هذه يد مروانِ عند خماعة. فلهذا قال: ذلك لكِ على أن تؤدّيني إلى خماعة بنت عوف بن محلّم. قالت المرأة: ومن لي بمائة من الإبل؟ فأخذ عوداً من الأرض فقال: هذا لك بها. فمضت به إلى عوف بن محلّم. فبعث إليه عمرو بن هند أن يأتيه به وكان عمرو وجد على مروان في أمر فآلى أن لا يعفو عنه حتى يضع يده في يده. فقال عوف حين جاءه الرسول: قد أجارته ابنتي وليس إليه سبيل. فقال عمرو: قد آليت أن لا أعفو عنه أو يضع يده في يدي. قال عوف: يضع يده في يدك على أن تكون يدي بينهما. فأجابه عمرو بن هند إلى ذلك. فجاء عوف مروان فأدخله عليه فوضع يده في يده ووضع عوف يده بين أيديهما فعفا عنه عمرو وقال: «لا حُرَّ بوادي عَوْفٍ»، فأرسلها مثلاً: / أي [112] - [113] لا سيّدَ به يناوئُه وأنه يقهر من حلّ بواديه فكلّ من فيه كالعبد له لطاعتهم إيّاه، وإنما سمّي مروان القرظ لأنه كان يغزو اليمن وهي منابت القرظ.

ويقال: «أَوْفَى من عَوْف بن مُحَلِّم»(1). وقال أبو عبيدة: كان المفضل يخبر أن المثل للمنذر بن ماء السماء قاله في عوف بن محلّم. وذلك أن المنذر كان يطلب زهير بن أميّة الشيباني بذحْل، فمنعه عوف فعندها قال المنذر: «لا حُرَّ بوادي عَوْف». وكان أبو عبيدة يقول: هو عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم].

---

(1) المثل وخبرُ خماعة في مجمع الأمثال للميداني برقم 4433.

22 ـ وَلَا الأَشْعَثُ الكِنْدِيُّ بَيْنَ فَوَارِسٍ
صُفُوفٍ على أَهْلِ النُّجَيْرِ[1] صَلَادِمِ

* * *

الأشعث الكنديَ أسرته مذحِج ففُدِي بما لم يُفْدَ به عزيز قطّ ولا ملك سواه. وذلك أنه فُدِيَ بثلاثة آلاف بعير وإنّما فداء الملوك ألف بعير، فَفُدِي بدية ثلاثة ملوك. وقال عمرو بن معدي كرب [وافر]:

وَكَانَ فِدَاؤُهُ أَلْفَيْ بعيرٍ
وأَلْفاً من طَرِيفَاتٍ وَتُلْدِ

[ووفد على كسرى ليتكلّم بمآثر قومه فقال: لقد علمت العرب أنّا نقاتل عديدها الأكثر، ونديم زحفها الأكبر، وإنّا غِيَاث اللَّزْبَات. فقالوا: لِمَ يا أخا كندة؟ قال: لأنّا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه وتقلّدنا منكبه الأعظم وتوسّطنا بحبوحه الأكرم].

وقوله: «صفوف على أهل النجير» يعني يوم أخذ الأشعث الراية فغلب عسكر معاوية على الماء بصفّين. ولما أُتِيَ بالأشعث إلى أبي بكر أسيراً مَنَّ عليه وزوّجه أخته أمّ فروة [بنت أبي قحافة] وصدّره في مجلسه

---

(1) في «ج»: على أعلى النجير.

رغبةً في شرفه وعودته إلى الإسلام هو وشيعته من قومه وغيرهم. فقال في ذلك الإصبع بن حرملة [طويل]:

أُتِيـــتَ بِكِنْـــدِيّ وَقَـــدْ خَـــانَ واغْتَـــدَى
إلـــى غَـــايَـــةِ مِـــنْ نَكْـــثِ مِيثَـــاقِـــهِ كُفْرَا[1]

فَـــكَـــانَ ثَـــوَابُ النَّكْـــثِ إِحْيَـــاءَ نَفْسِـــهِ
وَكَـــانَ ثَـــوَابُ الكُفْـــرِ تَـــزْوِيجَـــهُ بِكْـــرَا

وأَوْلَمَ حين تزوّج أمّ فروة وليمة لم يأت بها غيره قطّ ولم يُسمَع بأعجب منها. وذلك أنه لَمَّا خرج من عند أبي بكر وقد زوّجه أمّ فروة أمر في السّوق وشوارع المدينة أعوانَه أن لا يلقاهم ذات أربع قوائم إلا ضربوا عرقوبها. ففعلوا ذلك فأُتِيَ إلى أبي بكر فقيل له: قد ارتدّ الأشعث ثانية. فبعث ينظر ما خَطْبه وانصرف الأشعث ودخل داراً من دور الأنصار، فاجتمع الناس إلى الباب فأشرف عليهم وقال: يا معشر الناس إني رجل غريب / ولو كنت في بلادي أَوْلَمْتُ مثلما يولم غيري بمن هو مثلي، ولكن هذه وليمتي فليأكل كلّ واحد ما وجد بقربه واعذروا ولكم أثمان ما عُقِر لكم. فلم يبق دار في المدينة إلا دخلها من ذلك اللّحم شيء ولم يُرَ يوم أشبه بيوم الأضحى من ذلك اليوم. وقال في ذلك يزيد الخزاعي [طويل]: [114]

لَقَـــدْ أَوْلَـــمَ الكِنْـــدِيُّ يَـــوْمَ مَـــلاَكِـــهِ
وَلِيمَـــةَ حَمَّـــالٍ لِثِقْـــلِ العَظَـــائِـــمِ

---

(1) في «ج» قد ٱرتدَّ وٱنتهى.

لَقَـدْ سَـلّ سَيْفـاً كَـانَ مِـنْ قَبْـلُ مُغْمَـدَا
لَـدَى الحَـرْبِ يَـومـاً فـي الطُّـلاَ والجَمَـاجِـمِ

فَـأَغْمَـدَهُ فِـي كُـلِّ بَكْـرٍ وَسَـابِـحِ
وعَيْـرٍ وَبَغْـلٍ فِـي الحَشَـا وَالقَـوَائِـمِ

[فيَـا للفتـى الكنـديّ يَـوْمَ لقـائِـه
ذهبْـتَ بـأسنـى ذكـرِ أُولِي المكارِمِ][1]

ووصّى الأشعث بنيه عند موته فقال: يابني عِزُّوا في أعراضكم ولا تُخْدَعوا في أموالكم، ولتخفّ بطونكم من أموال الناس وظهوركم من دمائهم، فإن لكلّ أَمْرٍ تَبِعَة، واصلحوا المال لجفوة السّلطان ونَبْوَة الزّمان واجملوا في طلب الرّزق حتى يوافي قدر نجاحٍ وقفوا عند أوّل مسألة وكفى بالردّ مَنْعاً.

[وهو الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي أبو محمّد الصّحابي وسُمِّي الأشعث لشعث رأسه. وفد على النبيّ ﷺ وروى عنه وعن عمر رضي الله عنه ونزل الكوفة ومات بها في آخر سنة أربعين هجرية حين صالح الحسن معاوية فصلّى عليه. وكان ممّن يُضـرَب بهم المثل بفدائهم في الوفرة وكان أفضل أهل الكوفة. وكانت مُرَاد قتلت قيس بن معدي كرب فجاء الأشعث ثائراً بأبيه فأُسرَ وكان أسيراً في أيدي بني الحارث بن كعب عند الحُصَيْن بن قنّاب حتى افْتُدِي بألف قلوص وألف من طرائف اليمن فخلّى سبيله وأبى أن يبايع أبا بكر فحاربه. والنجير حصن باليمن قرب حضرموت منيع لجأ إليه أهل الردّة مع

(1) هذا البيت من «ج».

الأشعث بن قيس في أيّام أبي بكر رضي الله عنه، فحاصره زياد بن لبيد البيّاضي حتى افتتحه عنوة وقتل مَنْ فيه وأسرّ الأشعث بن قيس سنة 12 هـ].

23 ـ وَلاَ الخُطَبَا طُرًّا وَرَهْطُ مُكَحَّلٍ
وَلاَ شيْخُهُـمْ عَمْـرٌو لِسَـانُ الأَهَـاتِـمِ

* * *

خطباء العرب خاصّة ورهط مُكَحَّل لم يذكرهم. وعمرو بن الأهتم غير مدافع/ في شرفه وعلوّ همّته. [فهو عمرو بن سنان الأهتم المِنْقَري [115] - [116] التّميمي وكان من سادات تميم وخطبائهم وشعرائهم وذوي الفصاحة واللسن في الجاهلية والإسلام.

اجتمع الزِّبْرِقَانُ بن بدر والمخبّل السعدي وعبَدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم قبل أن يسلموا، فنحروا جزوراً واشتروا خمراً ببعير وجلسوا يشوون ويأكلون. فقال بعضهم: لو أن قوماً طاروا من جودة أشعارهم لطرنا. فتحاكموا إلى أوّل من يطلع عليهم. فطلع عليهم ربيعة بن حذار الأسدي، فقالوا له: أخبرنا أيّنا أشعر. فقال: أما عمرو فشعره برود يمنيّة تُنشَر وتُطوَى. وأمّا أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيُؤْكَل ولم يُتْرَك نيئاً فيُنْتَفَعَ به. وأما أنت يا مخبل فشعرك شهب من نار الله يلقيها على من يشاء. وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادة أُحْكِمَ خزرها فليس يقطر منها شيء.

ثم قدم على النبي ﷺ مع وفد تميم فدخلوا المسجد ووقفوا عند الحجرات ونادوه، فخرج لهم وتحادث معهم، فأسلم القوم وأقاموا عند رسول الله ﷺ يتعلّمون القرآن ويتفقّهون في الدين. وعمرو بن الأهتم هو

صاحب الحديث مع الزبرقان بن بدر بين يدي رسول الله ﷺ، وله مواقف مشهورة. توفّي سنة 57 هـ. (672 م).

وأمير شعره وغرّة كلامه قوله [**طويل**]:

لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلاَدٌ بِأَهْلِهَا

وَلَكِنَّ أَخْلاَقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

من القطعة الآتية]:

أَلاَ طَرَقَتْ أَسْمَاءُ وهي طَرُوقُ

وشاقت على أنّ الخَيَالَ يشُوقُ

ذَرِينِي فَإِنَّ الشُّحَّ يَا أمّ مالِكِ

لِصَالِح أَخْلاَقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ

ذَرِينِي وَحَظّي في هَوَاكِ فَإِنَّنِي

عَلَى الحسَبِ الزّاكِي الرَّفِيعِ شَفِيقُ

ذَرِينِي فَإنّي ذُو فِعَالٍ تَهُمّنِي

نَوائبُ يُغْشَى رُزْؤُهَا وَحُقُوقُ

5 - وكلُّ كَرِيمٍ يتَّقِي الذّمَّ بالقِرَى

وَلِلْحَقِّ بَيْنَ الصَّالِحينَ طَرِيقُ

لَعَمْرُكَ ما ضَاقَتْ بِلادٌ بِأَهْلِهَا

وَلَكِنَّ أَخْلاَقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

24 ـ وَلَا قَـائِـدُ الشَّهْبَـاءِ مِـنْ آلِ مُنْـذِرٍ
وَلَا قَــائِــدُ الحَــدْبَــاءِ مِــنْ آلِ دَارِمِ

* * *

/[يريد بقائد الشّهباء النّعمان بن المنذر وكان له كتيبتان إحداهما [117] يقال لها الشهباء لأنه كان يعلوها بياض الحديد [وفيها بنو عمّه فقط][1] والأخرى يقال لها دوسر سُمِّيَت دوسر اشتقاقاً من الدسر وهو الطعن بالثقل لثقل وطأتها. وكانتا تسمّيان القبيلتين وكان يغزو بهما بلاد الشام وكلّ من لم يَدِنْ له من العرب. والدَّوْسَر كانت أخشن كتائب النعمان وأشدّها بطشاً ونكاية.

والنّعمان هذا هو أبو قابوس من المناذرة ملوك الحيرة التي كانت تابعة للأكاسرة لقربها من بلاد العجم وكانت الملوك التي تتولّى عليها عُمّالاً لملوك العجم وبلغت دولة المناذرة في أيّام هذا الملك منتهى الترف والرّخاء وكان معاصراً لهرمز الرابع وكسرى أبرويز. وكان لأبرويز ملك العجم سفير يقال له عديّ بن زيد النّعماني فحبسه النّعمان لوشاية وصلت إليه وجعل عديّ يقول الشعر وهو في الحبس فبلغ النعمان قوله فندم على حبسه وخاف منه إذا أطلقه. وبلغ كسرى أبرويز حال عديّ فكتب إلى النّعمان أن يطلقه وعلم النّعمان بالرّسالة قبل وصول الرّسول فشاور أصحابه فخوّفوه من إطلاقه فبعث إليه جماعة خنقوه ودفنوه. وكان الرسول قد رآه في السّجن قبل وصوله إلى النّعمان. فلما أدّى الرّسالة قال له النّعمان: اذهب إلى السّجن فخذه. فقيل له إنه مات منذ أيّام، فعلم أنهم غدروا به وقتلوه. فعاد إلى النّعمان بذلك فرشاه واستوثقه أن

---

(1) الزيادة من «ج».

لا يقول لكسرى وقد ندم على ما فرط منه. ورأى النّعمان ابناً لعديّ اسمه زيد فأراد أن يكرمه تكفيراً عن إساءته لأبيه فطلب إليه زيد أن يسعى له عند كسرى ليكون مكان أبيه. فتقرّب زيد من كسرى وفي نفسه شيء على النّعمان يضمره ويظهر الثناء عليه ويترقّب الفرص. فاتّفق أنّ كسرى احتاج إلى نساء لتزويج أولاده، فأشار عليه زيد أن يطلب من النّعمان بعض بنات عمّه وأثنى على جمالهن وحسنهنّ وهو يعلم أن النّعمان يضنّ بذلك، فبعث كسرى في طلبهنّ، فشقّ ذلك على النّعمان. وقال: «أما في مها السوادِ وعينِ فارس ما يبلُغ به كسرى حاجتَه؟»[1] ولما بلغ ذلك كسرى غضب ثم بعث يستقدم النّعمان فأخذ سلاحه وما استطاع حمله ولحق بجبل طيء وطلب إليهم/ أن يمنعوه فأبوا عليه خوفاً من [118] كسرى. فأقبل وليس أحد من العرب يقبله حتى نزل بذي قار على بني شيبان سرًّا فلقي هناك هانىء بن قصيبة بن هانىء بن مسعود الشيباني وكان سيّداً منيعاً فأودعه أهله وماله وتوجّه إلى كسرى، فلما وصل إلى بابه بعث إليه مَنْ قيّده وأرسله مخفوراً إلى خانقين[2] وحبسه فيها حتى جاء الطاعون فمات سنة 613 م. وبذلك قامت الحرب بين العرب والعجم والتحم الفريقان بذي قار فانهزمت الأعاجم تحت قيادة زارويه الذي تملّك على العجم بعد أبرويز بصفوفهم وخيولهم وثبت العرب ثباتاً جميلاً فانتصروا وولّى الفرس الأدبار مع كثرة عددهم. وبهذه الهزيمة عاد مُلْك الحيرة إلى آل النّعمان وبقي فيهم إلى أن استولى عليها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه].

---

(1) خزانة الأدب، 1/ 384.

(2) خانقين بلدة في سواد العراق (ياقوت).

25 ـ وَلاَ كَانَتْ الأَحْيَاءُ فِي مُطْمَئِنِّها
وَلاَ جَمَرَاتُ الحَرْبِ في كُلِّ جَاحِمِ

* * *

جمَرات الحرب(1): ضُبّة بن أُدْ وعبس بن بغيض والحرث بن كعب ويربوع بن حنظلة. [وضُبّة كان له ابنان هما سعد والآخر سعيد. فنفرت إبل لضبّة تحت اللّيل فوجّه ابنَيْه في طلبها فتفرّقا فوجدها سعد فردّها، ومضى سعيد في طلبها فلقيه الحرث بن كعب وكان على الغلام بُردَانِ فسأله الحرث إيّاهما فأبى عليه فقتله وأخذ بُرْدَيْه. فكان ضبّة إذا أمسى فرأى تحت الليل سواداً قال: «أَسَعْدٌ أم سعيد»؟ فذهب قوله مثلاً في الخيفة. فمكث ضبّة بذلك ما شاء الله أن يمكث ثم إنّه حجّ فوافى عكاظ فلقي بها الحرث بن كعب ورأى عليه بردَيْ ابنه سعيد فعرفهما، فقال: هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال: بلى، لقيت غلاماً وهما عليه فسألته إيّاهما فأبى عليّ فقتلته وأخذت بردَيْه هذين. فقال ضبّة: بسيفك هذا؟ قال: نعم، فقال: فأعطنيه أنظر إليه فإني أظنّه صارماً، فأعطاه الحرث سيفه فلما أخذه من يده هزّه وقال: «الحديث ذو شجون»، ثم ضربه به حتى قتله. فقيل له: يا ضبّة أفي/ الشهر الحرام؟ **[119] - [120]** فقال: «سبق السّيف العذل». فهو أوّل من سار عنه الأمثال الثلاثة.

قال الفرزدق [طويل]:

لاَ تَـأْمَنَـنَّ الحَـرْبَ إنَّ اسْتِعَـارَهَـا
كضَبّـةَ إذْ قـالَ الحَـدِيـثُ شُجُـونُ]

---

(1) الجمرة هي القبيلة التي تكتفي بعددها ولا تنضمّ إلى أحد ولا تستنجد بأحد.

26 ـ وَلَا الأَشْرَمُ العَاتِي وكِسْرَى وَقَيْصَرُ[1]

وَلَا رَبُّ غُمْـــدَانَ الحَمِيـــدُ العَـــزَائِـــمِ

27 ـ وَلَا الخَمْسَةُ الحَامُونَ إذْ حَنَقَ الرَّدَى

وطَـــارَتْ قُلُـــوبُ الجَيْـــشِ بَيْـــنَ الحَيَـــازِمِ

* * *

[الأشرم العاتي هو أبرهة بن الصباح قائد من قوّاد الحبشة تولّى أمر اليمن من سنة 537 إلى سنة 570. كان غزا ذو نواس ملك من ملوك اليمن أهل نجران وكانوا نصارى فعرض عليهم اليهوديّة فامتنعوا من ذلك فحرقهم بالنّار وحرق الإنجيل وهدم بِيعتهم. فاشتكوا إلى قيصر فكاتب ملك الحبشة للأخذ بثأر النصارى، فعيّن قائده أرياط فدخل اليمن وقتل أهلها وهدّم حصونها ثم أخذ الأموال وأظهر العطايا في أهل الشّرف دون الفقراء. وقام أبرهة بحقّ الفقراء وقد ثارت ثائرتهم ومشوا تحت أمره. فقام أرياط على رأس جيشه والتحق بالثائرين فخاطبه أبرهة ودعاه للمبارزة. وكان أرياط قد عُرِف بالشجاعة والنّجدة وكان جميلاً وكان أبرهة قصيراً دَميماً قبيحاً. فاستحيى أرياط أن يجبن فبرز ومشى أحدهما إلى صاحبه وحمل أرياط على أبرهة فضربه ضربة وقع منها حاجباه وعامة أنفه

(1) [كانت العرب تسمّي مَنْ ملك الفرس بكسرى وتسمّي قيصر مَنْ ملك الشام مع الجزيرة من الروم. وتفسير قيصر أي شقّ عنه كما جاء في مروج الذهب للمسعودي. وذلك أن أغستس الذي هو الثاني من ملوكهم ماتت أمّه وهي حامل به فشُقَّ بطنها، فكان هذا الملك يفتخر في وقته بأن النساء لم تلده، وكذلك من حدث بعد من ملوك الروم]. ومن هنا جاءت كلمة «قَيْصَرِيّة» وهي عمليّة شقّ البطن لاستخراج المولود.

ووقع بين رِجْلَيْ أرياط. فعمد أبرهة إلى عمامته فشدّ بها وجهه فسكن الدم والتأم الجرح وأخذ عوداً وجعله في فيه وقال: أيها الملك إنّما أنا شاة فاصنع ما أردت، فقد أبصرت أمري. ففرح أرياط بما صنع. وكان أبرهة قد سمّ خنجراً وجعله في فخذه كأنه نَسِيَهُ. فلما رأى أن أرياط قد أفلت عنه وهو ينظر يميناً وشمالاً لئلا تراه ملوك الحبشة، استلّ خنجره فطعنه طعنة في فرج درعه أثبته وخرّ أرياط على قفاه وقعد أبرهة/على صدره [121] فأجهز عليه. فسمّي أبرهة الأشرم بتلك الضربة التي شرمت وجهه وأنفه][1].

وأرباب غُمدان كثيرة. وكأنه خصّ سيف بن ذي يزن. [وهذا الملك هو ابن ذي يزن الذي بقتله دخلت اليمن في ملك الأحباش. وكان سيف هذا جميل المنظر عالي الهمّة عظيم الهيبة قويّ السلطان شديد البأس كريم الأخلاق جواداً حسن التدبير والسياسة. وكان قد ترك بلاد اليمن بعد موت أبيه وتوجّه لقيصر الروم واستنجده في ردّ مُلْكِ والده فلم يجبه قيصر لطلبه. فقصد كسرى أنو شروان ملك العجم لهذا الغرض فأجابه إلى طلبه وأرسل معه جيشاً تحت قيادة وهرز فأخرجهم من اليمن وردّ إليه ملكه. فتربّع سيف على عرش أجداده تحت رعاية الأعاجم واتّخذ مقرّ أعماله قصر غُمدان بمدينة صنعاء التي كانت إذ ذاك عاصمة الملك. وقد نظم أميّة بن أبي الصلت قصيدة يهنِّىء بها سيف بن ذي يزن يوم تغلّبه على الأحباش قال في مطلعها [بسيط]:

لا يَطْلُبُ الثَّأْرَ إلاَّ كَابْنِ ذِي يَزَنٍ

فِي البَحْرِ خَيَّمَ لِلأَعْدَاءِ أَحْوَالاَ

---

(1) لقد بنى أبرهة كنيسة القليس بمدينة صنعاء باليمن وأراد أن يصرف إليها حجّ العرب، فأمر جيشه بهدم الكعبة بالفيل وأرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجّيل، انظر اليعلاوي، الأدب بإفريقية، ص 228، هامش 23.

وكان من جملة وفد المهنّئين وفد الحجازيّين الذي كان يرأسه عبد المطلّب جدّ النبيّ ﷺ. فاستأذن عبد المطلّب الملك فقال: إن الله قد أحلّك أيها الملك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً باذخاً شامخاً وأنبتك منبتاً طابت أرومته وعزّت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه في أكرم معدن وأطيب موطن. فأنت أبيت اللّعن رأس العرب وربيعها الذي به تخصب وملكها الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومغلقها الذي إليه يلجأ العباد، فسلفك خير سلف وأنت لنا بعدهم خير خلف فلن يهلك من أنت خلفه ولم يخمل من أنت سلفه. نحن أيّها الملك أهل حرم الله وذمّته وسدنة بيته أشخصنا إليك من أنهجك لكشف الكرب الذي فَدَحَنا. فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة. لا زلت ناعم البال مُهَنّأً في كلّ حال.

فقال الملك: قد سمعت مقالتكم وعرفت قرابتكم، أنتم أهل الشرف والنّباهة ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم. ثم أحضر عبدالمطلّب وأَسَرَّهُ بقرب ظهور نبيّ آخر الزّمان من العرب وأنه من ذريّته حسبما قرأه في الكتب السماويّة وأمره بكتمان ذلك/ [122] وردّهم بالعطايا الفاخرة.

ثم أخذ ينتقم من الأحباش وصار يقتل من يقع تحت يده منهم حتى طهّر منهم أرض اليمن إلاّ بعض أفراد اختصّهم لخدمته فانتهزوا له فرصة الانفراد فقتلوه وبقتله دخلت اليمن تحت سلطة العجم إلى أن افتتحها المسلمون في عصر أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه].

[والخمسة الحامون حسب القرائن هم خمسة من بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم يُدْعَوْنَ البراجم وهم: عمرو والظليم وغالب وكلفة ومَنْيَس سُمّوا بذلك لأنّ عددهم كان قليلاً].

28 ـ وَلاَ عَنْتَرٌ فِي بَأْسِهِ واحْتِدَامِهِ
وَلاَ هَاشِمُ المُرِّيُّ يَوْمَ النَّقَائِمِ

* * *

يريد عنترة بن عمرو بن شدّاد وهو معروف بالشجاعة. [كان يقال له عَنْتَرَةَ الفَلْحَاء، وذلك لتشقّق شفتَيْه ويُلَقَّب أيضاً بأبي المغلّس. قال ابن الكلبي: وعنترة أحد أغربة العرب وهم ثلاثة: عنترة بن شدّاد وخُفاف بن عمير الشريدي والسُّلَيْك بن عمير السعدي. وأمّ عنترة أمَة حبشيّة يقال لها زُبَيْبَة وادّعاه أبوه بعد الكبر، والسّبب في ذلك أنّ بعض أحياء العرب أغاروا على بني عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلاً فتبعهم العبسيّون فلحقوهم فقاتلوهم عمّا معهم وعنترة يومئذ فيهم. فقال له أبوه: كرّ يا عنترة. فقال عنترة: العبد لا يحسن الكرّ إنما يحسن الحلاب والصرّ. قال: كرّ وأنت حرّ. فكرّ وقاتل قتالاً حسناً فادّعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه. وأبلى عنترة في حرب داحس والغبراء وصافح القتال في حرب كانت بين العرب والعجم وقتل جمهوراً من أبطال العجم وله وقائع عديدة مشهورة.

وحكى الجوهري قال: أنشد النبيّ ﷺ قول عنترة [**كامل**]:

ولقد أَبِيتُ على الطَّوَى وأَظَلُّهُ
حتّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المَأْكَلِ

فقال النبيّ ﷺ: ما وُصِف لي أعرابي قطّ فأحببت أن أراه إلاّ عنترة.

وكان عمرو بن معدي كرب يقول: ما أبالي من فرسان العرب ما لم/ يَلْقَني حُرّاها وهجيناها، يعني بالحُرَّيْن عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحرث بن شهاب وبالعبدَيْن عنترة والسليك بن السلكة. [123]

وقال النضر بن عمرو: قيل لعنترة أنت أشجع العرب وأشدّها. قال: لا. قيل: فبماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أُقْدِم إذا رأيتُ الإقدام عزماً وأُحْجِم إذا رأيتُ الإحجام حزماً ولا أدخل موضعاً إلاّ أرى لي منه مخرجاً. وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله.

وجلس عنترة يوماً في مجلس بعدما كان قد أبلى واعترف به أبوه وأعتقه فسابّه رجل من بني عبس وذكر سواده وأمّه وإخوته. فسبّه عنترة وفخر عليه وقال فيما قال له: إني لأحضر البأس وأوفي المغنم وأعفّ عند المسألة وأجود بما ملكت يدي وأفضل الخطة الصمّاء. قال له الرجل: أنا أشعر منك. قال: ستعلم ذلك، ثم قال عنترة [كامل]:

هَــلْ غَــادَرَ الشُّعَــرَاءُ مِــنْ مُتَــرَدَّمِ
أَمْ هَــلْ عَــرَفْــتَ الــدَّارَ بَعْــد تَــوَهُّــمِ

وكان السّبب في قتله في ما رواه الكلبي أن عنترة] قتله رجل من طيء يُعرَف بالأسد الرّهيص، وهو القائل [وافر]:

أَنَــا الأَسَــدُ الــرَّهِيــصُ فَمَــنْ يَسَلْنِــي
أُخَبِّــرْهُ كَبَــائِــرَ مَــا فَعَلْــتُ
قَتَلْــتُ مُحَلِّمــاً وَأَسَــرْتُ عَمْــراً
وَعَنْتَــرةُ الفَــوَارِسِ قَــدْ قَتَلْــتُ

فتَكْـــتُ بِطَعْنَــةٍ فِـــي الصَّـــدْرِ مِنْـــهُ
وَكَـــمْ مِـــن فَـــارِسٍ بَطَـــلٍ فتَكْـــتُ

[وفي رواية صاحب الأغاني أنه أغار على بني نبهان من طيء فأطرد لهم طريدة وهو شيخ كبير وكان وزَر بن جابر النبهاني في فتوّة فرماه وقال خذها وأنا ابن سلمى فقطع مطاه فتحامل بالرمية حتى أتى أهله فقال وهو مجروح [طويل]:

وإِنَّ ابْـــنَ سَلْمَـــى عِنْـــدَهُ فـــاعْلَمُـــوا دَمِـــي
وَهَيْهَـاتَ لا يُـرْجَـى ابـنُ سَلْمَـى وَلاَ دَمِـي
اذَا مـــا تَمـــشّـــى بَيْـــنَ أَجْبَـــالِ طيِّـــئٍ
مَكَـــانَ الثُّـــرَيَّـــا لَيْـــسَ بِـــالمُتَهَضَّـــمِ
رمَـــانِـــي وَلَـــمْ يَـــدْهَـــشْ بِـــأَزْرَقَ لَهْـــذَمِ
عَشِيَّـــةَ حَلُّـــوا بَيْـــنَ نَعْـــفٍ ومَخْـــرِمِ]

وأمّا هاشم المُرّي فهو قاتل معاوية بن عمرو بن الشريد أخي الخنساء. وقيل/ لصخر بن عمرو بن الشريد: ألا تهجو غَطَفان؟ فقال: ما [124] بيني وبينهم أقبح من الهَجْو، ولم أترك هجاهم إلا صَوْناً لنفسي من القدح. ثم خشي أن يُنسَب إلى العيّ فقال [طويل]:

وعَـــاذِلَـــةٍ هَبَّـــتْ بِلَيْـــلٍ تَلُـــومُنِـــي
أَلاَ لاَ تَلُـــومِنِـــي كَفَـــى اللَّـــوْمَ مَـــابِيَـــا
تقُـــولُ أَلاَ تَهْجُـــو فَـــوَارِسَ هَـــاشِـــمٍ
وَمَـــالِـــيَ أَنْ أَهْجُـــوهُـــمُ ثُـــمَّ مـــالِيَـــا
أَبَى الشَّتْمَ أَنِّـي مُـذْ أَصَـابُـوا كَـرِيمَتِـي
وَأَنْ لَيْـــسَ إِهْـــدَاءُ الخَنَـــا مِـنْ شَمَـالِيَـا

ولمّا ثأر صخر لأخيه وقتل دُرَيْداً وأخاه هَاشِماً زاد أبياتاً في أبياته فقال:

وذِي إِخْــوَةٍ قَطَّعْــتُ أَقْــرَانَ بَيْنِهُــمْ
كَمَــا تَــرَكُــونِــي مُفْــرَداً لاَ أَخَــا لِيَــا

اذَا مَــا امْــرُؤٌ أَهْــدَى لِمَيْــتٍ تَحِيَّــةً
فَحَيَّــاكَ ربُّ العَــرْشِ عَنِّــي مُعَــاوِيَــا

وهَــوَّنَ وَجْــدِي أَنَّنِــي لَــمْ أَقُــلْ لَــهُ
كَــذَبْــتَ وَلَــمْ أَبْخَــلْ عَلَيْــهِ بِمَــالِيَــا

[والصّواب أن صخراً لم يقتل هاشماً وإنما قتله قيس بن الأصوار الجشمي. قال أبو عبيدة: إن هاشم بن حرملة خرج غازياً فلما كان ببلاد جشم بن بكر بن هوازن نزل منزلاً وأخذ صُفْنَتَه[1] وخلا لحاجته بين شجر ورأى غفلته قيس بن الأصْوَار الجشمي فتبعه وقال: هذا قاتل معاوية لا وأَلَتْ نفسي إن وَأَل. ولما قعد على حاجته تقتّر له بين الشجر حتى إذا كان خلفه أرسل إليه مِعْبَلَةً فغلَقَ قِحْفَهُ فمات].

وكان معاوية فارساً شجاعاً. وأغار على غَطَفان في جمع بني سُلَيْم وكانوا في صميم خيلهم فنذروه فتهيَّؤُوا للحرب فلم يزل يطعن فيهم ويضرب حتى أثخن فيهم. فلمّا رأوا ذلك منه تهيَّأ له ابنا حرملة: دريد وهاشم، فاستطرد له أحدهما وحمل عليه معاوية فطعنه في عضده وخرج عليه الآخر فقتله، فنادى في القوم: قُتِل معاوية! فقال خُفاف بن ندبة: قتلني الله إن سرت من مكاني حتّى أَثْأَرَ له. فحمل على مالك بن صِنْدل الطعان وهو سيّد شمخ. [وفي رواية الأغاني: فشدّ على مالك ابن خمّار أو ابن حمّار الشمخي سيّد بني فزارة وشيخهم]، فطعنه فقتله وقال [طويل]:

(1) هي وعاءٌ توضع فيها اللوازم. وانظر الخبر في الأغاني، 15/ 79.

فـــإنْ تَــكُ خَيْلِــي قَــدْ أُصِيــبَ صَمِيمُهَــا

فَعَمْـــداً علــى عَيْنَــيَّ تَيَمَّمْــتُ مَــالِكَــا

نصَبْــتُ لــهُ علــواً وَقَــدْ خَــامَ صُحْبَتِــي

لأَبْنِــيَ مَجْــداً أَوْ لأَثْــأَرَ هَــالِكَــا

/ أقُولُ لَـهُ وَالـرُّمْـحُ يَـأْطُـرُ مَتْنَـهُ [125]

تَــأَمَّــلْ خِفَــافــاً إِنَّنِــي أَنَــا ذَلِكَــا

29 ـ وَلاَ الجُشَمِيُّ المُسْتَضَاءُ بِرَأْيِهِ وَأُسْرَتُهُ الأَخْيَارُ أَهْلُ الحَرَائِمِ

* * *

أراد بالجشمي هاهنا دُرَيْدَ بن الصِّمّة. [قال أبو الفتح يجوز أن يكون دُرَيْدَ تحقير أَدْرَد على الترخيم، يقال رجل أدرد وامرأة درداء وهو الذي كبر حتى سقطت أسنانه فصار يعضّ على درده. ودُرَيْد فارس شجاع وشاعر فحل وكان أطولَ الفرسان الشعراء غزواً وأبعدَهم أثراً وأكثرهم ظفراً. قال أبو عبيدة: كان دريد سيّد بني جشم وفارسهم وقائدهم وكان مظفراً ميمون النقيبة وغزا نحو مائة غزاة ما أخفق في واحدة منها وأدرك الإسلام فلم يسلم. ويقال لقومه أهل الحرائم لأنهم كانوا خرجوا بحرائمهم إلى حُنَيْن وعَصَوْا دُرَيْداً وقد كره الخروج بالحرائم فمنعهم مالك بن عوف من قبول مشورته وخالفه لئلاّ يكون له ذكر، وإنّما أخرجوه تَيَمُّناً به وليقتبسوا من رأيه وقُتِل دريد ذلك اليوم].

[خرج دريد مع أخيه عبدالله لما غزا غَطَفَان فظفر عبدالله بهم وساق أموالهم يوم اللِّوَى وأقسم لا يَرِيمُ حتى يأخذ مرباعه وينقع نقيعته. ونصحه أخوه دريد أن لا ينزل فأقبلت عليه فَزَارة وأشجع وقُتل عبدالله فعطف دريد فذبّ عنه فلم يُغْنِ شيئاً وجُرِح دريد فسقط وكفّوا عنه وهم يرون أنّه قُتِل حتى إذا كان اللّيل مشى وهو ضعيف قد نزفه الدّم فوقع بين عرقوبَيْ بعير ظعينة فأعلمت الحيّ بمكانه فغُسِل عنه الدّم وزُوِّد زاداً وسقاءً فنجا. وحلف أن لا يكتحل ولا يدّهن ولا يمسّ طيباً ولا يأكل

لحماً ولا يشرب خمراً حتى يدرك ثأره. ثم أغار دريد على غَطَفان يطالبهم بدم أخيه عبدالله فاستقراهم حيًّا حيًّا وأصاب جماعة منهم وذلك في يوم الغدير.

وكان لقيه عبدالله بن جدعان بعكاظ فقال له: لِمَ هجوتني؟ قال دريد: هجوتك لأنك كنت امرءاً كريماً فأحببت أن أضع شعري موضعه. فقال له عبدالله: لئن كنت هجوت فقد مدحت وكساه وحمله على ناقة برحلها.

/ ثم إن دريداً مرّ بالخنساء فأعجبته فخطبها إلى أبيها فدخل إليها [126] وأفضى بالأمر. فقالت: يا أبت أتراني تاركة بني عمّي مثل عوالي الرّماح وناكحة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غد؟ فسمع دريد قولها فانصرف وغضب فهجاها.

وقتلت بنو يربوع الصِّمَّة أبا دريد غدراً وأسروا ابن عمٍّ له فغزاهم ببني نصر فأوقع ببني يربوع وبني سعد.

وتحالف دريد ومعاوية بن عمرو بن الشريد وتواثقا إن هلك أحدهما أن يرثيه الباقي بعده وإن قُتِل أن يطلب بثأره فقُتل معاوية ورثاه دريد.

ولما أسنّ دريد جعل له قومه بيتاً منفرداً عن البيوت ووكلوا به أَمَة تخدمه فكانت إذا أرادت أن تبعد في حاجة قيّدته بقيد الفرس.

ولمّا سمعت هوازن بفتح مكّة جمعها مالك بن عمرو بن عوف النَّصْري فاجتمعت إليه ثقيف مع هوازن واحتشدت، وفي بني جشم شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمّن برأيه. فدعا بمالك وقال له: ما لي أسمع رُغاء البعير ونُهاق الحمير وبكاء الصبيان وثُغَاءَ الشاء؟ قال: سُقْتُ مع النّاس نساءهم وأبناءهم وأموالهم. قال: ولِمَ؟ قال: أردت أن أجعل خلف كلّ رجل أهلَه وماله ليقاتل عنهم. (قال) فأَنْقَضَ به ووبّخه ولامه ثم قال: راعي ضَأْنٍ والله! أي أحمق، وهل يَرُدُّ المنهزمَ شيءٌ؟ إنّها إن كانت لك لم ينفعك إلاّ رجل بسيفه ورمحه وإن كانت لهم عليك

فُضِحْتَ في أهلك ومالك. ثم قال: ما فَعَلَتْ كعب وكلاب؟ قال: لم يشهدها أحد منهم. قال: غاب الحَدُّ والجِدُّ، لو كان يومَ عَلاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ولَوَدِدْتُ أنكم فعلتم مثل ما فعلوا. فَمَنْ شَهِدَها منهم؟ قالوا: بنو عمرو بن عامر وبنو عوف بن عامر. قال: ذانك الجَذَعان من عامر لا يضرّان ولا ينفعان. ثم قال: يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البَيْضَةِ بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، ارْفَعْهُم إلى مُتَمَنَّع بلادهم وَعُلْيَا قومهم ثم ٱلقَ القومَ بالرجالِ[1] على متون الخيل، فإن كانت لك لَحِقَ بك مَنْ وَرَاءَك وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك ولم تُفْضَحْ في حريمك. فقال: لا والله ما أفعل ذلك أبداً إنك قد خرفت وخرف رأيك وعلمك. فلما لقيهم رسول الله ﷺ انهزم المشركون وأدرك ربيعة بن رُفَيْع السُّلَمِي دريد بن الصمّة فأخذ بخطام/ جمله وهو يظنّ أنّها [127] امرأة وذلك أنه كان في شجار له، فأناخ به فإذا هو شيخ كبير يقول [متقارب]:

وَيْـــحَ ابْـــنِ أكْمَـــةَ مَـــاذَا يُـــرِيـــدُ
مِـــنَ المُـــرْعَـــشِ الـــذّاهِـــبِ الأدْرَدِ
فَـــأُقْسِـــمُ لَـــوْ أنّ بِـــي قُـــوَّةً
لَـــوَلَّـــتْ فَـــرَائِصُـــهُ تُـــرْعَـــدِ
ويـــا لَهْـــفَ نَفْسِهِـــي أَنْ لاَ تَكُـــونَ
مَعِـــي قُـــوَّةُ الشَّـــارِخِ الأَمْـرَدِ[2]

فضربه السّلمي بسيفه فلم يُغْنِ شيئاً، فقال له: بئس ما سَلَّحَتْك أمُّك! خذ سيفي هذا من مؤخّر الرّحل، ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإني كذلك كنت أضرب الرّجال، فإذا أتيتَ أمّكَ أخْبِرْها أنّك قتلت دُرَيْدَ بن الصّمّة، فرُبَّ يوم قد منعتُ فيه نساءَك. فقتله وأخبر أمّه بذلك، فقالت: لقد أعتق قتيلُك ثلاثاً من أمّهاتك][1].

(1) انظر سيرة ابن هشام 2/439، وفيها: ٱلقَ الصُّبَّاءَ (وهم المسلمون عندهم).
(2) الأغاني، 10/32.

30 ـ وَشَأْسٌ وَوَرْقَاءُ الظَّمَا وأبُوهُمَا
وَقَيْسٌ أَخُو النَّكْرَاءِ عِنْدَ المَلاحِمِ(1)

* * *

هو شأس بن زهير قتيل بني غنيّ [قتله رياح بن الأسَكّ الغنويّ عند عودته من زيارة النّعمان بن المنذر حين أخذ يغتسل بين ناقته وبيت رياح، وامرأة رياح تنظر إليه وهو مِثْلُ الثور الأبيض. فأخذ رياح قوسه وسهماً ثم أهوى لشأس بسهم ففتر صُلْبَهُ وحفر له حفراً فهدمه عليه ونحر جمله وأكله وأدخل متاعه بيته. فأقبل قومه يقصّون أثره فلم تتّضح لهم سبيله حتى رأوا امرأة رياح باعت بعكاظ قطيفة حمراء وبعض ما كان من حِباء الملك، فعرفوا وتيقّنوا أن رياحاً ثَأَرَهُم ثَأْرَهم]، وبسببه هاجت الحرب بين هوازن وَغَطَفان. [وغزت بنو عبس غنيّاً، ففرّ رياح ولحقت به فرسانُها فقتل منهم اثنين وأصابته جراحة فمات منها. فكان يوم مَنْعِج لعبس على غنيّ ويقال له يوم الرّدهة].

وورقاء أخو شاس، وقَيْس هو قاتل الحُنْدُج بن البكّاء الكلابيّ الذي قتل أباه زهيراً وكان في آخر مدّته جاراً للنَّمِر بن قاسط ومتزوّجاً فيهم. فقال يوصيهم: اعلموا أنّ لكم حقّاً وسآمركم بخصال وأنهاكم عن خلال. عليكم بالأناة فإنّ بها يُنَال الغرض. وعليكم بالوفاء، ففيه يعيش الناس. وعليكم بتسويد من لا تعابون تسويده وإعطاء/ من تريدون إعطاءه [128]

(1) في «ج»: وقيس أخو المكراء يوم الملاحم.

قبل المسألة ومنع من تريدون منعه قبل العسرة وإعانة الجار على الدّهر وخلط الضيف بالعيال ولا تردّوا الأكفاء عن النساء فإن لم تجدوا فخير أكفائهنّ القبور، ولا تعطوا المال في الفضول إلا بعد أداء الحقّ، فإن قدرتم فافعلوا. وأنهاكم عن الرّهان فإنه أثكلني أخي مَالِكاً وأحذّركم البغي فإنه صرع أبي زهيراً وعن السَرَف في القتل فإنّ تسرّفي في القتل يوم الهباءة أورثني الذلّ. وأُعْلِمُكم أنّي أصبحت ظالماً مظلوماً، ظَلَمَتْنِي بنو بدر بقتلهم مَالِكاً [أخي] وظَلَمْتُهُمْ بقتلي مَنْ لا ذَنْبَ له[1]

(وهو القائل في يوم الهباءة [خفيف]:

إنّ يــــوم الهبـــــاة أَوْرَثَنِــــي الــــذُّ
لَّ فـــأصبحـــتُ ظـــالمـــاً مظلـــومـــا

كــــان ظلمـــي قتلـــي سَـــرَاةَ بنـــي بَـــدْ
رِ فـــأصبحـــتُ بعـــدهـــم مهمـــومـــا

يــــوم نَـــادَوْا علـــى الهبـــاةِ بصـــوتٍ
كـــان لـــولا فظـــاظتـــي مـــرحـــومـــا

لطمــــوا وجــــه داحـــسٍ حَـــذَرَ السّبـ
ـــق لقـــد كـــان داحـــسٌ مشـــؤومـــا

5 ـ وثنـــوهـــا بمـــالـــك بـــن زهَيْـــرٍ
فـــارسِ الخيـــل لـــم يكـــن مـــذمـــومـــا

فقتلـــتُ الجميـــل مـــن حُـــرَّقِ الثكـــل
لقـــد كنـــت فـــي الـــذمّـــاء غشـــومـــا

كـــان ثَـــأْرِي لِمَـــالـــكِ بـــن زُهَيْـــرِ
واحـــدٍ لـــو قتلتـــه معلـــومـــا

فخضبـــت الـــرّمـــاح مـــن ثُغَـــر القـــو
م وكـــانـــوا للمُعْتَقِيـــن نجـــومـــا

---

(1) انظر وصيّة قيس بن زهير في أمالي المرتضى 1/ 207.

إنّ للمــــرء فــــي إجـــارتـــه الجـــا

رَ وحِفْـــظِ الإِخَـــاءِ حِفظـــاً عظيمـــاً

ومن كلامه يوم نزل على النَّمِر بن قاسط: معشر النّمر بن قاسط! أنا قيس بن زهير غريب جرّيب وأمري عجيب، وقد حصلت بينكم فانظروا لي امرأةً قد ذلّلها الفقر وأدّبها الدّهر لها حسبٌ وقدر، فزَوِّجُونِي بها واعلموا أني لا أقيم بين أظهركم ولا أجاوركم ولا أصاهركم حتى أعرّفكم بخصالي كلّها. أنا رجل فخور غيور أَنِفٌ نكف ولست أفخر حتى أفاخر ولا أغار حتى أرى ولا آنف حتى أُظْلَم ولا انكف حتى أُحْقَر. فإن رضيتم بهذه الخصال وهذه الأخلاق أقمت بينكم وإن كرهتم انصرفت عنكم. قالوا: بل رضينا يا أبا الحارث وقبلنا. فزوّجوه بامرأة كما سأل ووصف وأقام بين أظهرهم ما شاء الله أن يقيم، حتى إذا كان ذات يوم وهو جالس في السّوق يبيع ويشري وسيفه بين يديه، إذ أقبل إليه رجلان من العرب، وقد كان قيس طعن في السنّ، فقالا له: السلام عليك أيّها الشيخ الكبير، وكان قيس قد أتى عليه مائة سنة. فقال لهما: وعليكما السّلام ورحمة الله، أحاجةٌ لكما فتُقْضَى أم حقٌّ لمظلوم فيُمضى؟ قالا له: نعم أيها الشيخ، إنا جئناك لنسألك عن السّبق يوم الرّهان، أكان لحُذَيْفة بن بدر أم لقيس بن زهير؟ قال لهما: السّبق كان لقيس بن زهير، غير أنه كان ظالماً مظلوماً. فقال له أحدهما: كذبتَ أيها الشيخ. فغضب قيس من كلامه فوثب عليه فضربه ضربة فقتله، ودخل عجلاً إلى فرسه الدّاحس فأسرجه ووضع عليه درعه وتقلّد سيفه واعتقل رمحه وأخذ ابنه الجليد وهو من امرأته النَّمَريّة فأركبه بين يديه وأردف ابنته الحمانة خلفه، وقد كان آلى يميناً أن لا يزوّجها أحداً من العرب لِحُسْنِ كلامها ورأيها وفهمها. وكانت الحمانة صاحبة رأي جميل. وخرج قيس من النّمر بن قاسط، ثم قال: يا معشر نمر بن قاسط اسمعوا ما أقول: إنّ

لكم عليّ ذماماً وحقًّا واجباً، وأنا أوصيكم بخصال فاسمعوها واتّبعوها، وأنهاكم عن خصال فاجتنبوها. عليكم بالأناة فإنها تُنِيل الفرصة، وعليكم بتسويد مَنْ لا تعابون بتسويده. ـ وقد تقدّمت الوصيّة في أوّل قصّته. فلما وصل إلى قوله: ظالماً ومظلوماً، قال: وعليكم السّلام ورحمة الله. ثم اهتمز فرسه إلى البحر فغرق هو وابنه الجليد وابنته الحمانة والنّاس ينظرون إليه)[1].

---

(1) الفقرات الواردة بين قوسين مضافة من «ج» وساقطة من «أ» و «ب» ومن مخطوط المحقّق.

31 ـ وَلاَ أَكْمَلُ الصِّيدِ[1] الصَّنَادِيدِ إِنْ دُعُوا
إِلَــى الجُــودِ أَوْ لِلْمَــأْزِقِ المُتَــلاَحِــمِ

* * *

وأَكْمَلُ الصِّيدِ هم الكَمَلَة من بني عبس [يقال إنهم الكملة الأصحّاء أي الأبرياء من العيوبِ، وهم أولاد زياد بن عبدالله بن سفيان العَبْسِي، وهم: الربيع ويقال له الكامل (أو الحفّاظ) وعُمَارة ويقال له الوهّاب وأنس وهو أنس الفوارس وقيس وهو البرد والحرث وهو لاحق وعمرو وهو الدّارك. وكان يقال لهم الكَمَلَة لكمالهم في النجابة. وكانت أمّهم فاطمة بنت الخرشب بن حارثة بن أنمار من بني غَطَفان، وكانت تُعَدُّ من منجبات العرب. زعم أبو عبيدة أنّ فاطمة هذه أُرِيَتْ في منامها قائلاً يقول: أعشرةٌ هُدَرَةٌ أَحَبُّ إليك أم ثلاثة كعشرة؟ فلم تقل شيئاً، فعاد لها في الليلة الثانية فلم تقل شيئاً، ثم قصّت ذلك على زوجها فقال: إن عاد لكِ الثالثة فقولي: ثلاثة كعشرة. فلما عاد لها قالت: ثلاثة كعشرة. فولدتهم كلّهم غايةً.

وفاطمة هذه هي التي لقيها عبدالله بن جدعان وهي تطوف بالكعبة، فقال لها: أيّ بنيك أفضلُ؟ فقالت: ثكلتهم إن علمت أيّهم أفضل، فهم كالحلقة المفرغة لا يُدْرَى أين طرفاها. وقيل كان أفضلهم الربيع وعُمَارة وأنس، فيُطلَق الكَمَلَة على هؤلاء الثلاثة].

---

(1) في «ج»: ولا الكُمّلُ الصيد.

32 ـ وَلاَ الفَاتِكُ البَرَّاضُ في سَطَوَاتِهِ[1]
وَلاَ دَغْفَلٌ بَحْرُ الرُّوَاةِ الخَضَارِمِ

* * *

[129] /[كان البرّاض بن قَيْس الكناني سكّيراً فاسقاً خلعه قومُه وتبرّؤوا منه. فشرب في بني الدِّيل (حيّ من عبد قيس)، فخلعوه ثم نزل على حرب بن أميّة فحالفه وأحسن جواره، ولكن شرب بمكّة فلم يسعه إلاّ الخروج منها.

ولمّا دفع النّعمان بن المنذر لطيمة لعروة بن عتبة بن جعفر من بني عامر بن صعصعة الرّحّال ليجيزها له سيّد مُضَر بسوق عكاظ دون البرّاض الذي كان يؤمّل أن يجيزها على بني كنانة، غضب لذلك البرّاض وتبع عروة حتى إذا نام دخل عليه وقتله واستاق اللّطيمة إلى خَيْبر وتبعه رجلان أحَدُهما من غنيّ والآخر من غَطَفان ليأخذاه ففتك بهما الواحد بعد الآخر. ومن ذلك كان يوم النخلة لقيس عَيْلان على كنانة وقريش. والبرّاض يُضرَب به المثل بفتكه، فيقال: «أفتك من البرّاض». قال أبو تمّام [خفيف]:

مَنْ أَبَنَّ البُيُوتَ أَصْبَحَ فِي ثَوْ
بٍ مِنَ العَيْشِ لَيْسَ بِالفَضْفَاضِ
وَالفَتَى مَنْ تَعَرَّقَتْهُ اللَّيَالِي
والفَيَافِي كَالحَيَّةِ النَّضْنَاضِ

---

(1) في «ج»: فتكاته.

كُــلَّ يَــوْمٍ لَــهُ بِصَــرْفِ اللَّيَــالِــي
فَتْكَـــةٌ مِثْـــلُ فَتْكَـــةِ البَـــرَّاضِ]

ودَغْفَل الذي ذكره هو دغْفَل النسّابة. قال الشاعر [**طويل**]:

أَحَــادِيــثُ مِــنْ عَــادٍ وجـرْهـم جَمّـةٌ
تَـــوَرَّثَهَـــا الفَتْيَـــانِ زَيْـــدٌ وَدَغْفَـــلُ

[وقال الجاحظ في **البيان والتّبيين**: ومن رؤساء النسّابين دَغْفَلُ بن حَنْظَلَة أحد بني عمرو بن شيبان، لم يدرك الناس مثله لساناً وعلماً وحفظاً. قال سمّاك العُكْلِي [**وافر**]:

فَسَـــائِـــلْ دَغْفَـــلاً وأَخَـــا هِـــلاَلٍ
ونخَّـــاراً يُنَبِّئْـــكَ اليَقِينَـــا][1]

(1) البيان والتبيين، 1/322 وصحّح النّاشر اسم الشاعر فقال: سمّاك العكرمِيّ.

33 ـ وَلاَ ثَابِتٌ والشَّنْفَرَى حِينَ أَدْلَجَا
بِــدَاوِيَــةٍ أَوْ هَجّــرَا فــي السَّمَــائِــمِ

* * *

قوله ثابت يعني تأبّط شرًّا [وكنيته أبو زهير بن جابر بن سفيان بن عميل بن عديّ يعني كعب بن حرب بن تميم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عَيْلان]، لأنه كان وهو حدث السنّ يأتي بالصيد في مِزْوَدٍ له مثل الضبّ واليربوع وما شاكلهما، فتأتي أخته فتسرق ما في المزود. فلما طال ذلك عليه جعل حيّة في المزود فأتت أخته فلدغتها/ الحيّة فصاحت [130] إلى أبيها: يا أبتاه إنّ أخي تأبّط لي شرًّا. وفيه رواية أخرى [قال الألوسي وفي تلقيبه بتأبّط شرّاً قولان: أحدهما وهو المشهور أنه تأبّط سيفاً وخرج فقيل لأمّه: أين هو؟ فقالت: لا أدري، تأبّط شرًّا وخرج. والثّاني أن أمّه قالت له في زمن الكمأة: ألا ترى غلمان الحيّ يجتنون لأهلهم الكمأة فيروحون بها؟ فقال لها: أعطني جرابك حتى أجتني لك فيه. فأعطته فملأه لها أفاعي من أكبر ما قدر عليه وأتى به متأبّطاً له فألقاه بين يديها ففتحتْه فسعين بين يديها في بيتها فوثبت وخرجت منه. فقالت لها نساء الحيّ: ماذا كان الذي تأبّطه ثابت اليوم؟ قالت: تأبّط شرًّا].

[وكان أحدَ لصوص العرب يغزو على رجليه وحده، وكان إذا جاع نظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه].

وأما الشنفرى فهو عبد شمس بن مالك الأزدي وهو ابن خالة تأبّط شرًّا وكلاهما من شياطين العرب وفتّاكها وأبطالها، وأخبار فتكهما مشهورة. [والشنفرى هو الذي يُضْرَب المثل به في العَدْوِ، فيقال: أعـدى من الشنفـرى]. ومن كرم نفس الشنفرى ونخوته مع فقره الذي يُعرَف به قوله [**طويل**]:

أُطِيــلُ مِطَــالَ الجُــوعِ حَتَّــى أُمِيتَــهُ
وأَضْــرِبُ عَنْــهُ الــذِّكْـرَ صَفْحـاً فَـأَذْهَـلُ

وأغـدُو عَلَـى القَـوْتِ الـزَّهِيـدِ كَمَـا غَـدَا
أَزَلُّ تَهَــادَاهُ التَّنَــائِــفُ أَطْحَــلُ

ومن قدرته على أخذ أموال الناس قوله:

ولَيْلَــةِ قُــرٍّ يَصْطَلِــي القَــوْسَ رَبُّهــا
وَأَقْطُعَــهُ الــلاَّتِــي بِهَــا يَتَنَبَّــلُ

سَـرَيْـتُ عَلَـى غَطْـشٍ وبَغْـشٍ وَصُحْبَتِـي
سُعَــارٌ وإِرْزِيــزٌ وَوَجْــرٌ وأَفْكُــلُ

فَــأَيْتَمْــتُ أَوْلاَداً وَأَيَّمْــتُ نِسْــوَةً
وَعُــدْتُ كَمَــا أَبْــدَأْتُ واللَّيْــلُ أَلْيَــلُ

وَلَـوْلاَ اجْتِنَـابُ الـذَّأْمِ لَـمْ يُلْـفَ مَشْـرَبٌ
يُعَــاشُ بِــهِ إِلاَّ لَــدَيَّ وَمَــأْكَــلُ

فمنَعَتْه المروءةُ من أَخْذِ ما لا يَحْسُن أَخْذُهُ.

34 ـ وَلَيْسَ طَرِيفٌ يَوْمَ أَلْقَى رِدَاءَهُ
وَلاَ الهُذَلِيُّ القَرْمُ يَوْمَ الغَمَاغِمِ[1]

* * *

[131] / أحسب أن طريفاً هو مُجِير ولد أبي خِرَاش [وأبو خِرَاش الهُذَلي هو خُوَيْلَد بن مُرَّة من شعراء هذيل المذكورين وفصحائهم المعروفين أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم. وكان من العدّائين الذين يسبقون الخيل على أرجلهم ونهشته أفعى فمات في خلافة عمر بن الخطاب].

وكان ولد أبي خِرَاش أسيراً عند رجل من ثُمَالة الأزدي أسره بعد قتل أخيه عُروة في مقام واحد. فأدخل الثُّمالي ضيفاً فوجد خراشاً في القَيْدِ، فسأله عن خبره فأخبره، فقال: كيف دليلاك؟ قال: قطّاه، فحلّ عنه كتافه وطرح عليه ثوبه. فقال الثُّمَالي: أسيري، وقال الضّيف: جاري، ثم أطلقه ولم يعرفه. فلمّا وصل إلى أبيه قال مسروراً بوصوله [طويل]:

حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا
خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِن بَعْضِ

[فَوَاللَّهِ لاَ أَنْسَى قَتِيلاً رُزِئْتُهُ
بِجَانِبِ قَوْسِي مَا حَيِيتُ عَلَى الأَرْضِ

---

(1) في «ج»:
وليس طريف يوم ألقى قناعه ولا الهذلي القرم يوم الغمائم

عَلَــى أَنَّهَــا تَعْفُــو الكُلُــومُ وَإِنَّمَــا
نُــوَكَّــلُ بِــالأَدْنَــى وإِنْ جَــلَّ مَــا يَمْضِــي]

ولـــم أَدْرِ مَــــنْ أَلْقَــــى عَلَيْــــهِ رِدَاءَهُ
سِــوَى أنّــه قَــد سُــلَّ عَــنْ مَــاجِــدٍ مَحْــضِ

وأظنّ الفزاري قد عرف صاحب الرّداء الذي لم يعرفه أبو خِرَاش. وقال الشعراء لم يُعْلَمْ أحدٌ مَدَحَ مَنْ لا يعرفه غير أبي خِرَاش.

35 ـ وَلاَ سَيِّدَا أَهْلِ الشَّرِيدِ اللَّذَا هُمَا
صَمِيمُ العَوَادِي وَارْتِوَاءُ الحوائِمِ[1]

* * *

سيّدا أهل الشريد: معاوية وصَخْر ابنا عمرو بن الشريد من بني سليم أَخَوَا الخنساء. وقوله: صميم العوادي أراد قول خفاف بن ندبة حيث يقول:

فَإِنْ تَكُ خَيْلِي قَدْ أُصِيبَ صَمِيمُهَا
فعَمْداً عَلَى عَيْنِي تَيَمَّمْتُ مَالِكَا

يعني معاوية أخا الخنساء لأبيها وأمّها، وهو أصغرهما، وكان صخر أحبّ إليها من معاوية. وكان يستحقّ ذلك منها لأنه كان موصوفاً بالحلم، مشهوراً بالجود، معروفاً بالتقدّم والشجاعة، محظوّاً في العشيرة. وكان دُرَيْد بن الصِّمَّة قد خطبها وهي راجع فأراد/ معاوية [132] تزويجه إيّاها، فكرهت ذلك فأكرهها على التزويج وكان صخر غائباً فقالت [وافر]:

لئِنْ لَمْ أُعْطَ مِنْ أَمْرِي نَصِيباً
لقَدْ أَوْدَى الزّمَانُ إِذَنْ بِصَخْرِ

(1) قرأ اليعلاوي: حَمِيمُ الصَّوَادي، باعتبار أن الصّوادي هي العطاش وكذلك الحوائم، صَدِي وحام بمعنى عطش عطشاً شديداً. انظر، الأدب بإفريقية، ص 230، هامش 32. وفي المخطوطات الثلاث: صميم العوادي.

أَتُكْرِهُنِي هُبِلْتَ عَلَى دُرَيْدٍ
لَقَدْ أَحْرَمْتَ سَيِّدَ آلِ عَمْرِو

معَاذَ اللَّهِ يَنْكَحُنِي حَبَرْكَى
قَصِيرُ البَاعِ مِنْ جُشَمَ بْنِ بَكْرِ

يَرَى مَجْداً وَمَكْرُمَةً أَتَاهَا
إِذَا غَشَّى الصَّدِيقُ حَرِيمَ تَمْرِ

قيل فهجاها دُرَيْد بأبيات منها [وافر]:

وَلاَ يَنْكَحْكِ يَا ابْنَةَ آلِ عَمْرِو
مِنَ الأَزْوَاجِ أَمْثَالِي وَنَفْسِي

تُرِيدُ أُفَيْحِجَ الرِّجْلَيْن شَثْناً
يُقَلِّعُ بِالحَدِيدَةِ كُلَّ ضَرْسِ[1]

ويُرْوَى أنّها دخلت على بعض نساء رسول الله ﷺ، وقد أسلمت وعليها صدار من صوف وهي محلوقة الرّأس، فوعظتها وقالت: إنّ الإسلام قد نسخ حكم الجاهليّة ـ وكلاماً هذا معناه: الْبَسِي أَلْيَنَ مِنْ هذا. فقالت: كلاّ والله لا كَذَبْتُ صخراً. فسألنها عن معنى هذا. فقالت: كان لي زوج أتلف مالنا، فجئت إلى صخر وشكوت إليه فقسم إبله نصفَيْن فسلّم إليّ نصفها، فقامر بها زوجي فأتلفها. فجئت إليه ثانياً فأعطاني نصف إبله ولم يسألني عن الأولى، فلامته زوجته وقالت: أتلفت مالنا لمن لا يصون ماله. فلم ينظر إلى قولها وأنشأ يقول [رجز]:

تَاللَّهِ لاَ أَمْنَعُهَا خِيَارَهَا
وَهْيَ حَصَانٌ قَدْ كَفَتْنِي عَارَهَا

(1) الأبيات في الأغاني: نسب الخنساء وخبرها، 15/61، مع اختلاف في الرواية.

وَإِنْ هَلَكْتُ مَزَّقَتْ خِمَارَهَا
وَجَعَلَتْ مِنْ شَعَرٍ صِدَارَهَا

وَوَاللَّهِ مَا كذَبْتُه ولا يزال صداري من شَعَرٍ إلى أن أموت. وليس لها في معاوية عُشْرُ مَا لَها في صخر، وهي القائلة في معاوية [وافر]:

أَرِيقِي مِنْ دُمُوعِكِ وَاسْتَفِيقِي
وَصَبْراً إنْ أَطَقْتِ وَلَنْ تُطِيقِي
وقُولِي إنَّ خَيْرَ بَنِي سُلَيْمٍ
وفَارِسَهَا بِصَحْرَاءِ العَقِيقِ
ألاَ هَلْ تَرْجِعَنَّ لَنَا اللَّيَالِي
وَأَيَّامٌ لَنَا بِلِوَى الشَّقِيقِ
وإِذْ تَتَحَاكَمُ الرُّؤَسَاءُ فِينَا
لَدَى أَبْيَاتِنَا وَذَوُو الحُقُوقِ
5 ـ وإِذْ فِينَا فَوَارِسُ كُلِّ هَيْجَا
إِذَا رَكِبُوا وَفِتْيَانُ الخُرُوقِ
[133] / إِذَا مَا الحَرْبُ صَلْصَلَ نَاجِذَاهَا
وَفَاجَأَهَا الكُمَاةُ لَدَى البُرُوقِ
وإِذْ فِينَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو
عَلَى أَدْمَاءَ كَالجَمَلِ الفَنِيقِ
فَأَبْكِيهِ فقَدْ أَوْدَى حَمِيداً
أَمِينَ الرّأْيِ مَحْمُودَ الصَّدِيقِ
فَلاَ وَاللَّهِ مَا سَلَّيْتُ نَفْسِي
لِفَاحِشَةٍ أَتَيْتُ وَلاَ عُقُوقِ

10 - وَلَكِنِّـــي رَأَيْـــتُ الصَّبَـــرَ خَيْـــراً
مِـــنَ النَّعْلَيْـــنِ وَالـــرَّأسِ الحَلِيـــقِ

وقالت هذه قبل أن يُصَاب صخر، فلما أصيب صخر نسيت ما كان قبله، وكان في الأشهر الحرم، وقد وقف على غَطَفان وقال: أيّكم قاتل أخي؟ فقال أحد بني حرملة لأخيه: خبّره، فقال: إني استطردت فطعنني هذه الطعنة وحمل عليه أخي هذا فقتله، فأيُّنا قتلتَ فهو ثأرك، غير أنّا لم نسلب أخاك. قال: فما فعلت فرسه؟ قال: ها هي هذه فخذها، فأخذها وانصرف. فلما تقضّت الأشهر الحرم جمع ليُغِير عليهم. فنظرت غَطَفان إلى خيله فقال بعضهم: هذا صخر على فرسه الشمّاء، وقال بعضهم إن الشمّاء غرّاء محجّلة، وكان قد حمّم غرّتها. فحمل ذلك اليوم فأصاب فيهم وقتل دريد بن حرملة قاتل أخيه. وأمّا هاشم بن حرملة فإنه لقي قيساً الجشمي من بني جشم بن بكر بن هوازن بن منصور، والخنساء من بني سليم بن منصور، لقي بعضهم بعضاً منصرفين كلّ قوم من جهته، فرأى قيس هاشماً وقد انفرد، فقال: لا أطلب لمعاوية بعد اليوم ثأراً، وأرسل عليه سهماً فقتله، فقالت الخنساء في ذلك [وافر]:

فَـــذَاكَ الحَـــيُّ حَـــيُّ بَنِـــي سُلَيْـــمٍ
بِظَـــاعِنِهِـــمْ وَبِـــالأُنْـــسِ المُقِيـــمِ
فِـــدًى لِلْفَـــارِسِ الجُشَمِـــيّ نَفْسِـــي
وأَفْـــدِيـــه بِمَـــنْ لِـــي مِـــن حَميـــمِ
كَمَـــا فـــي هَـــاشِـــمٍ أَقْـــرَرْتَ عَيْنِـــي
وَكَـــانَـــتْ لاَ تَنَـــامُ مَـــعَ المنِيـــمِ

وكان سبب قتل صخر بن الشّريد أنه أغار على بني أسد بن خزيمة فأُعْلِمُوا به والتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً وانفضّ أصحاب صخر عنه وطُعِنَ

طعنة في جنبه. [طعنه رجل يقال له ربيعة بن ثور فأدخل جوفه حلقاً من الدرع فاندمل عنه وجوى منها ومرض قريباً من حول حتى ملّه أهله وذلك يوم كُلاب أو ذات الأثل]. وسمع سائلاً يسأل امرأته سلمى بنت عمّه عن حاله، فقالت: لا ميّت فيُنْعَى ولا حيٌّ فيُرْجَى. /[134] ثم سأل السائل أمّه فقالت: ربّما يفرّج الله عنه ولا يزال بخير ما بدا سواده فينا. ورأى من جزع أمّه عليه وحزنها ما ليس عند امرأته، فقال في ذلك [طويل]:

أَرَى أُمَّ صَخْــرٍ لاَ تَمَــلُّ عِيَــادَتِــي
وَمَلَّــتْ سُلَيْمَــى مَضْجَعِــي وَمَكَــانِــي

ومَــا كُنْــتُ أَخْشَــى أَنْ أَكُــونَ جَنَــازَةً
عَلَيْــكِ وَمَــنْ يَغْتَــرُّ بِــالحَــدَثَــانِ

وأيُّ امْــرِىءٍ سَــاوَى بِــأُمٍّ حَلِيلَــةً
فَــلاَ عَــاشَ إلاَّ فِــي شَقــاً وَهَــوَانِ

أهُــمُّ بِفِعْــلِ الحَــزْمِ لَــوْ أسْتَطِيعُــهُ
وَقَــدْ حِيــلَ بَيْــنَ العِيــرِ والنَّــزَوَانِ

5 - لعَمْــرِي لَقَــدْ نبَّهــتَ مَــنْ كَــانَ نَــائِمــاً
وَأَسْمَعْــتَ مَــنْ كَــانَــت لَــهُ أُذُنَــانِ

[وَحَــيٌّ مــريــدٌ قَــد صبحــت نَعَــارُه
كَــرِجْــلِ جَــرَادٍ أو دبــاً لِتَفَــانِ

فلَــوْ أنَّ حَيّــا فَــائِــتُ المَــوْتِ فَــاتَــهُ
أَخُــو الحَــرْبِ فَــوْقَ القــادح العُــدْوَانِ

وَلَلْمَــوْتُ خَيْــرٌ مِــنْ حَيَــاةٍ كَــأَنَّهَــا
مَحَلَّــةُ يَعْسُــوبِ بِــرَأْسِ سِنَــانِ]

فلمّا طال به البلاء وقد نتأت قطعة مثل اللّبد من جنبه في موضع الطعنة عزم على قطع ذلك الزائد في جرحه فلما قطعه وجد التعب فقال في ذلك [طويل]:

أَجَارَتَنَا إِنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ
وَمَا النَّاسُ إلاّ مُخْطِىءٌ وَمُصِيبُ
[فَإِنْ تَسْأَلِينِي هَلْ صَبَرْتُ فَإِنَّنِي
صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ]
كأَنِّي وَقَدْ أَدْنَوا إِلَيّ شِفَارَهُمْ
مِنَ السُّقْمِ مَصْقُولُ البَرَاةِ يُصِيبُ[1]
[أَجَارَتُنَا لَسْتُ الغَدَاةَ بِظَاعِنٍ
وَلَكِنْ مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ]

ومن أحسن ما رثته الخنساء قولها [وافر]:

الاَ يَا صَخْرُ إِنْ أَبْكَيْتَ عَيْنِي
فَقَدْ أَضْحَكْتَنِي دَهْراً طَوِيلاَ
بكَيْتُكَ فِي نِسَاءٍ مُعْوِلاتٍ
وكُنْتُ أَحَقَّ مَنْ أَبْدَى العَوِيلاَ

(1) الأغاني، 15/64: من الصبر دامي الصفحتين رَكُوبُ.

36 ـ وَلاَ كَانَ قَعْقَاعُ بْنُ شَوْرٍ إذَا اجْتَبَى
جَلِيساً لَـهُ لَـمْ يَشْـقَ بَيْـنَ الأَقَـاوِمِ[1]

* * *

قَعْقَاعُ بْنُ شَوْرٍ هو أحد بني عمرو بن شيبان بن ثَعْلَبَة بن عُكَابة بن [135] / صعب بن بكر بن وائل، إذا جالسه جليس فعرّفه بالقصد إليه، جعل له نصيباً من ماله وأعانه على عدوّه وشفع له في حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً له حتى شُهِر بذلك وفيه يقول الشاعر [وافر]:

وكُنْـتُ جَلِيـسَ قَعْقَـاعِ بْـنِ شَـوْرٍ
وَلاَ يَشْقَـى بِقَعْقَـاعٍ جليـسُ

ضَحُـوكُ السِّـنِّ إنْ أَمَـرُوا بِخَيْـرٍ
وَعِنْـدَ الشَّـرِّ مِطْـرَاقٌ عَبُـوسُ

وروى الثوري أنّ رجلاً جالس قوماً من بني مخزوم بن يقظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة فأساؤوا عشرته وسَعَوْا به إلى معاوية بن أبي سفيان في ذلك، فقال [وافر]:

شَقِيـتُ بِكُـمْ وَكُنْـتُ لَكُـمْ جَلِيسـاً
فَلَسْـتُ جَلِيـسَ قَعْقَـاعِ بْـنِ شَـوْرِ

---

(1) في «أ» و «ب»: إذا احتبى جليسٌ له، وفي «ج»: إذا اجتبى جليساً له.

وَمِـــنْ جَهْـــلِ أَبُـــو جَهْـــلٍ أَخُـــوكُـــمْ
أَتَـــى بَـــدْراً بِمِجْمَـــرَةٍ وثَـــوْرِ

[نسَبَهُ إلى التوضيع. يريد أنّه لم تكن مجمرة وثور وإنّما كنّى بهما عن التوضيع وهو التخنيث. يقال فلان مُوَضَّع وفيه توضيع إذا كان مُخَنَّثاً].

37 ـ بِـأَمْنَـعَ مِنِّـي فِـي جِـوَارِ خَلِيفَـةٍ
عَطُـوفٍ عَلَـى أَهْـلِ البُيُـوتَـاتِ رَاحِـمِ

* * *

كَـرِيـمِ المَسَـاعِـي وَالأَيَـادِي سَمَـتْ بِـهِ[1]
أُبُـــوَّةُ صِـــدْقٍ مِـــنْ ذُؤَابَـــةِ هَـــاشِـــمِ

شَـرِيـفِ الأَدَانِـي وَالأَقَـاصِـي مُهَـذَّبٌ[2]
إِذَا مَـا عَـدَدْنَـا فَضْـلَ أَهْـلِ الْمَكَـارِمِ

40 ـ لَـهُ مِـنْ إِمَـامِ المُـرْسَلِيـنَ وَصِنْـوِهِـمْ
عَلِـيٍّ مَعَـالٍ ثَـابِتَـاتُ الـدَّعَـائِـمِ

مَعَـالٍ هِـيَ الفَخْـرُ الصَّحِيـحُ وَغَيْـرُهَـا
مَعَـالِـي مَجَـازٍ بَيْـنَ وَاهٍ وَسَـالِـمِ

[136] / وَمَنْ ذَا يَقِيسُ الشَّمْسَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى
إِلَـى كَـوْكَـبٍ فِـي غَيْهَـبِ اللَّيْـلِ عَـائِـمِ

سَـأَشْكُـرُ آلاءَ الإِمَـام وَمَـنْ يَنَـمْ[3]
عَـنِ الشُّكْـرِ أَوْ يَسْـأَمْ فَلَسْـتُ بِسَـائِـمِ

---

(1) في «ج»: ذَمَتْ له.
(2) في «ج»: مُقدَّمُ.
(3) في «أ» و «ب»: سأشكر إلَّا للإمام.

وَمَـا عُـذْرُ مَشْحُـوذِ اللِّسَـانِ مُثَقَّـفٍ
يَـرَى الشُّكْـرَ فِـي الإِنْعَـامِ ضَـرْبَـةَ لاَزِمِ

45 ـ أَبَيْـتَ أَمِيـرَ الْمُـؤْمِنِيـنَ سِـوَى الَّتِـي
يَـزِيـدُ نَقَـاءً ذِكْـرُهَـا فِـي المَـوَاسِـمِ[1]

تُقًـى وَنَـدًى مَـا بَيْـنَ حِلْـمٍ وَسُـؤْدَدٍ
وَعَفْـوٍ وَإِمْضَـاءٍ عَلَـى كُـلِّ ظَـالِـمِ[2]

وكَـذَّبْـتَ[3] أَقْـوَالَ الـوُشَـاةِ فَـأَدْبَـرُوا
لأَعْقَـابِهِـمْ مَـا بَيْـنَ خَـازٍ وَنَـادِمِ

أَرَادُوا بِكَيْـدِ المُلْـكِ مَـا عَـوَّدَتْهُـمُ
أَمَـانيهـمُ واللَّـهُ أَعْـدَلُ حَـاكِـمِ[4]

فَصَـبَّ عَلَيْهِـمْ مُحْصِـدَاتٍ كَـأَنَّهَـا
شَـآبِيـبُ قَطْـرٍ وَاكِـفِ العَيْـنِ سَـاجِـمِ

50 ـ أَتَـاهُـمْ نَـذِيـرٌ مِـنْ عِقَـابِـكَ فَـانْتَهَـوْا[5]
فَعَـافُـوا وعَـافَ النَّـاسُ طَيْـرَ الأَشَـائِـمِ

وَأَنِّـي لأَدْرِي أَنَّ أَبْغَـضَ مَـنْ نَمَـى
إِلَيْـكَ وَلَـوْ وَالاَكَ نُصْـحَ مُـدَاوِمِ[6]

---

(1) في «ج»: يزيد سناءً.
(2) في «ج»: ما بَيْنَ حِلْمٍ ونَجْدَةٍ.
(3) في «أ» و «ب»: وَكَذَّبَ.
(4) في «ج»:
رَجَوْا من فَسَادِ المُلْكِ مَا عَوَّدَتْهُمُ أمـانِيهِـمُ وَاللَّـهُ ليس بِنَـائِـمِ
(5) في «ج»: وَلَوْلاَ حِذَارٌ مِنْ عِقَابِكَ أَرْجَفُوا.
(6) في «ج»: وَلَوْ وَلاّكَ.

ظَلُــومٌ وَكَــذَّابٌ وَبَــاغٍ وَحَــاسِــدٌ
وَقَــالٍ وَكُــلٌّ مُسْتَحِــلُّ المَحَــارِمِ[1]

وَلِلْكَــذِبِ المَشْنُــوءِ فِــي القَلْــبِ سَــوْرَةٌ
أَضَــرُّ مِــنَ الــدَّاءِ العَيَــاءِ المُــلاَزِمِ[2]

[137] / لَقِيتُ بِهَــا النُّكْــدَ اللِّئَــامَ وَبَغْيَهُــمْ[3]
وَتَسْــوِيَــةً مِــنْ جَــاهِــلٍ غَيْــرِ عَــالِــمِ

55 ـ بِقَــافِيَــةٍ لَــوْ حُصِّلَــتْ لَتَطَــايَــرَتْ
شُعَــاعــاً ولــم تثبُــتْ على كَــفِّ نَــاظِــمِ

أَيَحْسَبُهَــا المَغْــرُورُ تُنْشَــدُ بَعْــدَهُ
وتُنْقَــلُ مِــنْ قِــرْطَــاسِهَــا المُتَقَــادِمِ

ومَــا هِــيَ إلاَّ كَــالقَسِــيِّ مَتَــى انْحَنَــتْ
أَعَــالِيــهِ يُطْــرَحْ مِــنْ جِيَــادِ الــدَّرَاهِــم

وَإِنَّ الَّتِــي رَتَّبْتُهَــا بِمَــدِيحِكُــمْ
مُحَبَّــــرَةٌ مَــــا دَامَ نَسْــــلٌ لآدَمِ[4]

رَأَيْــتُ عَــدُوًّا بَــاسِمــاً غَيْــرَ عَــابِــسٍ
وَكَــانَ زَمَــانــاً عَــابِســاً غَيْــرَ بَــاسِــمِ

---

(1) في «ج»:
ظَلُــومٌ وَكَــذّابُ المَقَــالِ وَحَــاسِــدٌ وَبَــاغٍ وَعَــاتٍ مُسْتَحِــلُّ الْمَحَــارِمِ

(2) في «أ» و «ب»:
وللكذب المشفي في القلب صورة أشــدّ مـن الــدّاء العيـاء المـلازم

(3) في «ج»: أَمِنْتُ بك النُّكْدَ اللِّئَامَ وَبَغْيَهُمْ.

(4) في «ج»:
وإنّ التــي زَيَّنْتُهــا بمــديحكــم محبّــرة مــا قــام نســلٌ لآدم

60 ـ يُكَـاشِـرُنِـي والعَيْـنُ أَعْـدَلُ شَـاهِـدٍ

عَلَـى غَيْـبِ وِدٍّ أَوْ دَفِيـنِ سَخَـائِـمِ[1]

وَكَـانَ غُـرَابُ البَيْـنِ قَـدْ طَـارَ قَبْلَـهُ

يَهُـزُّ ذُنَـابَـاهُ قَصِيـرَ القَـوَادِمِ[2]

وإنّـي لأَرْجُـو مِنْـكَ أَجْـراً يُعِـزُّنِـي[3]

عَلَـى رَغْـمِ مَجْـدُوعِ المَعَـاطِـسِ رَاغِـمِ

وَمَـا هِـيَ إِلاَّ فِـي يَـدِ اللَّـهِ إِنْ قَضَـى

بِهَـا يَسُـرَتْ مِـن كَـفِّ أَغْلَـبِ هَـاشِـمِ[4]

وَإِنِّـيَ لِلْـوَهَّـابِ شَـاكِـرُ نِعْمَـةٍ

وَلِلْقَـائِـمِ المَـرْجُـوِّ رَاجِـي مَـرَاحِـمِ[5]

65 ـ وَمَـدّ بِهَـا الـوَهَّـابُ كَفًّـا كَـرِيمَـةً

مُعَـوَّدَةً بَـذْلَ اللُّهَـى والمَكَـارِمِ

/ فَمِثْلِيَ يُـرْجَـى مَـدْحُـهُ وَثَنَـاؤه [138]

وَمِثْلُـكَ يُـرْجَـى لِـلأُمُـورِ العَظَـائِـمِ[6]

---

(1) في «أ» و «ب»: يكاشرني وفي «ج»: وباشرني، وقرأها اليعلاوي يكاسرني، الأدب بإفريقية، ص 233، هامش 43.

(2) في «ج»: كسير القوادم.

(3) في «أ» و «ب»: وإنّي لأرجو منك أخرى تعزّني، وأخذنا بقراءة «ج».

(4) في «ج»:

ولا شـيء إلاّ فـي يـد الله إن قضـى بها يَسُرَت من كف أغلب هاشمي

وقرأ اليعلاوي: نُشِرَتْ عوض يَسُرَتْ، المرجع المذكور، ص 234.

(5) البيت 64 ساقط من «ج».

(6) في «ج»:

فمثلـي يـبقى شُكْـرُهُ وثنـاؤه ومِثْلُكَ يُرْجَى للأمور الجسائم

يُغَنّـي بِهَـا الـرّكْبَـانُ فِـي كُـلِّ بَلْـدَةٍ
وَتُحْـدَى بهـا خُـوصُ الـرِّكَـابِ الـرَّواسِـمِ

* * *

تمّت القصيدة الفزاريّة بحمد الله ومنّه وحسن توفيقه وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم[1].

---

(1) في «ج»:
«تمّت القصيدة المشهورة بالفزارية والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم».



الصفحة الأخيرة من المخطوطة «ب»

مصادر المراجعة

- **ابن الأثير**: الكامل في التاريخ، نشر عبد الوهاب النجّار، القاهرة، 1934.
- **إدريس** (عماد الدين): تاريخ الخلفاء الفاطميّين بالمغرب (قسم من عيون الأخبار)، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
- **إدريس** (الهادي روجي): الدولة الصنهاجيّة، تعريب حمادي السّاحلي، بيروت، 1992.
- **الأصبهاني** (أبو الفرج): الأغاني، طبعة الثقافة، بيروت، 1981.
- **ابن الأنباري**: شرح القصائد السبع الطوال، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1963.
- **البغدادي**: خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1986.
- **التجاني**: الرحلة، نشر ح.ح. عبد الوهاب، تونس، 1958.
- **أبو تمّام**: ديوانه، تحقيق محمد عبده عزّام، القاهرة، 1976.
- **الجاحظ**:
- ● البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1976.
  ● الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1969.
- **جاد الربّ** (إبراهيم الدسوقي): شعراء المغرب حتى خلافة المعزّ، القاهرة، 1973.
- **الجراوي**: الحماسة المغربية، نشر محمد رضوان الداية، بيروت، 1991.

- **جرير**: ديوانه، نشر عبدالله الصّاوي، القاهرة، د.ت.
- **الجوذري** (منصور العزيزي): سيرة الأستاذ جوذر، نشر محمد كامل حسين وعبد الهادي شعيرة، القاهرة، 1954.
- **ابن حزم**: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1982.
- **حسّان بن ثابت**: ديوانه، نشر عبد الرحمان البرقوقي، القاهرة، د.ت.
- **حسن** (حسن إبراهيم): تاريخ الدولة الفاطميّة، القاهرة، 1967.
- **ابن حمّاد**: أخبار ملوك بني عُبَيْد، الجزائر، 1926.
- **ابن خلدون** (عبد الرحمان): كتاب العِبَر، بيروت، 1958.
- **الدبّاغ** (وابن ناجي): معالم الإيمان، تونس، 1902.
- **الدشراوي** (فرحات): الخلافة الفاطمية بالمغرب (بالفرنسية)، تونس، 1981.
- **ابن أبي دينار**: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمّد شمّام، تونس، 1976.
- **الزبيدي**: طبقات النحويّين واللغويّين، نشر محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1954.
- **الزبيري**: نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، 1982.
- **زهير بن أبي سلمى**: شعره جمع الأعلم الشنتمريّ، نشر قباوة، حلب 1970.
- **ابن الشجري**: الأمالي، نشر محمود الطناحي، القاهرة، 1978.
- الشريف المُرتضى: الأمالي، نشر محمد أبو الفضل، القاهرة 1954.
- **الطالبي** (محمد): الدولة الأغلبية، تعريب المنجي الصيّادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
- **ابن عبد ربّه**: العقد الفريد، نشر أحمد أمين وجماعة، القاهرة، 1965.

ـ **عبد الرحمان** (عفيف): الشعر وأيّام العرب في العصر الجاهلي، بيروت، 1985.

ـ **عبد الوهاب** (حسن حسني):

● مجمل تاريخ الأدب التونسي، تونس، 1968.

● ورقات في الحضارة العربية بإفريقية (3 أجزاء)، مكتبة المنار، تونس، 1965 ـ 1982.

● كتاب العمر في المصنّفات والمؤلّفين التونسيّين (المجلدان 1 و 2) تحقيق محمد العروسي المطوي والبشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

ـ **أبو عبيدة**: نقائض جرير والفرزدق، نشر بيفن، ليدن، 1908.

ـ **ابن عذاري**: **البيان المُغرِب في أخبار المَغرِب، نشر كولان وليفي بروفنسال، ليدن 1948 ـ 1951 (جزآن).**

ـ **أبو العرب** (الخشني): طبقات علماء إفريقية، نشر ابن أبي الشنب (جزآن)، باريس 1915 ـ 1920.

ـ **عنترة بن شدّاد**: ديوانه، تحقيق محمد سعيد مولوي، بيروت، 1983.

ـ **عياض** (القاضي): الشفاء.

ـ **الفرزدق**: ديوانه، نشر عبدالله الصّاوي، القاهرة، 1936.

ـ **القالي**: الأمالي، بيروت، د.ت.

ـ **ابن قتيبة**: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة، 1981.

ـ **المالكي**: رياض النفوس (3 أجزاء) تحقيق البشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981 ـ 1984.

ـ **المرزوقي**: شرح ديوان الحماسة، نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة، 1952.

ـ **المسعودي**: **مروج الذهب، نشر شارل بلاّ، بيروت**، 1966.

- **المفضّل الضبّيّ**: المفضلّيّات، نشر شاكر وهارون، القاهرة، د.ت.
- **المقريزي**:
  - ● اتّعاظ الحنفاء بأخبار الأئمّة الفاطميّين الخلفاء، القاهرة، 1948.
  - ● كتاب المقفّى الكبير (تراجم مغربية ومشرقيّة من الفترة العُبَيْدية)، جمع وتحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
- **النعمان (القاضي)**:
  - ● افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، تونس، 1975.
  - ● كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق إبراهيم شبّوح والحبيب الفقِي ومحمد اليعلاوي، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، 1978.
- ● دعائم الإسلام، نشر فيضـي، القاهرة، 1951.
- **ياقوت**: معجم البلدان، بيروت، 1977.
- **اليعلاوي (محمد)**: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.



فهارس الكتاب



1 ـ فهرس القرآن

2 ـ فهرس أيّام العرب

3 ـ فهرس القوافي

صدر البيت	قافيتُه	وزنه	قائلُه	الصفحة
	لُ			
على مكثريهم حقٌّ مَن يعتريهِمُ. . .	والبَذلُ	طويل	زهير	152
أُطيلُ مِطالَ الجوعِ حتى أُمِيتَهُ. . .	فأنهلُ	طويل	الشنفري	205
أحاديث من عادٍ وجرهم جمّة. . .	ودغفل	طويل	مجهول	203
إذا نشرت نفسي تذكرتُ ما مضى. . .	والكواهلُ	طويل	شاعر من فزارة	33
وعاذلةٍ هبّت بليلٍ تلومُنِي. . .	عَذول	طويل	هذيل بن ميسر	33
فزارةُ بيتُ العزّ، والعزّ فيهمُ. . .	نضالُها	طويل	شاعر من فزارة	32
لأمّ الأرض ويل ما أجنَّت. . .	السبيلُ	وافر	ابن غنمة الضبّي	136
	لِ			
وما منعَ الحكّامَ من بعد أن بدَا. . .	ومجولِ	طويل	الحطيئة	148
تمنّى من يدٍ زيداً فلاقى. . .	العوالي	وافر	زيد الخيل	122
ولقد أبِيتُ على الطوى وأظلُّه. . .	المأكلِ	كامل	عنترة	189
وهل وجدتُمْ حاملاً كحاملٍ. . .	كافلِ	رجز	سيّار بن عمرو	107
	لَ			
لا يطلب الثأرَ إلاّ كابن ذي يزنٍ. . .	أحوالا	بسيط	أميّة بن أبي الصلت	187
ألا يا صخرُ إن أبكيتَ عيني. . .	طويلا	وافر	الخنساء	213
الدلوُ تأتي الغرَب.	المزلة	رجز	هاتف	135
ثمّ تعود بعدهـا.	مبتلة	رجز	هاتف	135
	لْ			
تَحِنّ قلوصي في معدٍّ وإنّما. . .	بني ثُعَلْ	طويل	سالم بن دارة	120
	مُ			
لعمرُك لقد فازت يداك بعامرٍ. . .	حاتمُ	طويل	الحطيئة	150
يقرّ له بالفضلِ من لا يوَدُّه. . .	يُنجِّمُ	طويل	المتنبي	66

4 ـ فهرس الأعلام

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ن

هـ

و

ي

5 ـ فهرس القبائل والفئات

6 ـ فهرس البلدان والأماكن

7 ـ فهرس الكتب المذكورة في المتن وفي الحواشي

أ

ب

ت

ج

خ

د

ـ ر ـ

س

ش

ط

ع

م

ن

و

فهرس المواضيع

الصفحة

en arabe qu'en français - guidé dans sa recherche par son parent par alliance, H.H. Abdelwahab, auquel il dédia son étude en un vif témoignage de reconnaissance, l'auteur élargit singulièrement son propos: il remonte aux sources les plus anciennes pour reconstituer, par exemple, la généologie fazārite - au demeurant contestée - du poète Kairouanais, ou pour éclaircir certaines obscurités de la qaṣīda ou du commentaire par des citations dont il n'indique pas toujours l'origine.

* * *

Bien que les ouvrages consacrés aux «Journées des Arabes», cette Geste antéislamique, se soient multipliés depuis l'époque - vraisemblement les années cinquante - où M. Zmerli composa son livre, son étude garde toute sa valeur aussi bien culturelle que didactique; elle porte aussi témoignage des préocupations d'un lettré tunisien à la veille de l'indépendance: affirmer l'appartenance de son pays à l'aire culturelle arabo-musulmane et se prévaloir du patrimoine linguistique, historique et littéraire que les propagateurs de la Foi ont introduit en Ifriqiyya avec l'Islam.

* * *

Nous nous sommes astreints, M. Sahli et moi-même, à établir aussi exactement que possible le texte des trois auteurs successifs pour ainsi dire, à savoir: le poète, le commentateur et M. Zmerli; nous avons complété, précisé ou corrigé les emprunts et les citation; nous avons enfin confectionné les index nécessaires.

Il nous reste à espérer que ce travail, que nous avons entrepris comme un hommage posthume à l'un de nos maîtres - qui nous enseigna naguère la traduction administrative au Collège Sadiki - trouvera bon accueil et bienveillance chez les lecteurs.

Tunis le 29 Juillet 1994
Mohammed Yalaoui

documentée des grandes personnages de la littérature et de l'histoire pré - islamiques: héros légendaires des fameuses «Journées des Arabes», tels Bistām des Šaybān, ᶜAntar des ᶜAbs, Hārith des Murra, ou parangons des vertus chevaleresques comme Hātim des Ṭayy, Kaᶜb des Iyād, ᶜAmr des Zabīb, Aḥnaf des Tamīm, etc. C'est à ce titre aussi que la qaṣīda est passée à la postérité; à ce titre aussi qu'on lui attribua le nom de son auteur, comme en hommage à sa profonde connaissance de la mythologie arabe et comme en témoignage de l'arabisation complète et définitive de l'Ifriqiyya.

* * *

C'est à ce titre enfin qu'elle suscita probablement gloses et commentaires, nous est parvenue une exégèse: celle d'un certain Abderrahman al - ᶜUtaqī dont tout donne à penser qu'il était au service des califes fatimides: il était vraisemblablement le père de Muhammad al. ᶜUtaqī, historien en Egypte du 5 éme calife, al - ᶜAziz. Comme les commentateurs des diwāns; mais sans s'appesantir sur la grammaire ou le style, notre exégète expose la génealogie du héros du moment, il développe les circonstances qui l'ont mené à la célébrité et reproduit les morçeaux que les anthologues lui ont consacrés, en soulignant, dans de longues digressions, les analogies avec d'autres évènements ou personnages.

* * *

Qaṣīda et commentaire attirèrent l'attention de l'erudit tunisien Mustpha Zmerli (1901 - 1976) qui, bien que juriste de formation - il fut chargé sa vie durant des services contentieux des Habous -s'intéressait vivement à la littérature et à l'histoire: outre la présente étude sur le poème de Fazārī, il composa un essai, encore inédit, sur l'histoire des Fatimides.

Puisant largement dans sa propre culture et dans sa riche bibliothèque - qui comportait, dit - on, plus de 3000 volumes, tant

PRESENTATION

La Qaṣīda Fazāriyya est un panégyrique de 67 vers dédié par le poète Kairouanais Abū - l - Qāsim al - Fazārī (mort en 345/956) au troisième calife fatimide al - Manṣūr (mort en 341 / 952); cette pièce consacre le ralliement tardif d'al - Fazārī à la dynastie chiite après l'écrasement de la révolte Khārijite d'Abū Yazid. Comme nombre de ses concitoyens sunnites, le poète a été tenté de choisir entre deux maux le moindre, le mouvement berbère de l'Homme à l'âne, malgré son radicalisme, lui paraissant plus supportable que l'hérésie ismaélienne. Aussi trouvons - nous dans la maigre production que nous avons pu réunir de lui(1) des satires contre les maîtres schismatiques de l'Ifriqiyya et de vibrants hommages à sa cité natale, Kairouan, berceau de la résistance mālikite.

Mais le poète sunnite, sans doute gêné de la louange toute nouvelle, n'a consacré au panégyrique proprement dit que la deuxième partie de la pièce - vers 37 à 67 - dans laquelle il ne développe du reste que les thèmes classiques de la générosité de la clémence et de la claivoyance; les thèmes proprement dynastiques, comme l'appartenance à la Maison du Prophète par l'aïeule Fātima, y sont à peine effleurés; retardant comme à dessein le pensum laudatif, il consacre les 36 premiers vers à une évocation très

---

(1)Of notre recueil en arabe: la littérature en IFRIQIYYAA sous les Fatimides ᶜUbaydides, Beyrouth, 1986. La Qaṣīda Fazāriyya y est reproduite p.p. 221 - 235.

Sur Fazāri, of notre notice dans le supplément de l'Encyclopédie de l'Islam, p. 306.



دَار الغَرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصَاحبهَا: الحَبيب اللمْسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود

تلفون البناية: 340131/ تلفون مباشر : 350331 ص . ب . 113-5787 بيروت ، لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم 285 / 1000 / 8 / 1995

التنضيد : كومبيوتايب للصف الطباعي الألكتروني

الطباعة: دار صادر، ص . ب . 10- بيروت

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
B. P. : 113-5787- BEYROUTH

Abū-l-Qāsim al-Fazārī
(m. 345/956)

LA QAṢĪDA FAZĀRIYYA

Dédiée au calife fatimide al-Manṣūr

Etude et édition critique
de
Mustapha Zmerli
(1901-1976)

Présentation et notes
de
H. Sahli et M. Yalaoui



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI



LA QAṢĪDA FAZĀRIYYA

Dédiée au calife fatimide al Manṣūr

Abū-l-Qāsim al-Fazārī
(m. 345/956)

LA QAṢĪDA FAZĀRIYYA

Dédiée au calife fatimide al-Manṣūr

Etude et édition critique
de
Mustapha Zmerli
(1901-1976)

Présentation et notes
de
H. Sahli et M. Yalaoui



Dar al-Gharb al-Islami